إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والثلاثين من القرآن الكريم

(سورة المؤمنون من الآية 1 إلى آخر السورة، والنور من الآية 1 – 20)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **Alaa' Rawhy Dwedar**

Signature:

Date: 15/3/2015

اسم الطالب: **آلاء روحي دويدار**

التوقيع: آلاء دويدار

التاريخ: 2015/3/15م

الجامعة الإسلامية – غزة

عمادة الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والثلاثين من القرآن الكريم

(سورة المؤمنون من الآية "١" إلى آخر السورة، والنور من الآية ١-٢٠)

The analytical study of the purposes and objectives of the part's thirty five of the Quran (Al-momenon: verses 1-118) and (Al-nor: verses 1-20)

إعداد الطالبة

آلاء روحي دويدار

إشراف الدكتور

محمود هاشم عنبر

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ..... ج س غ/35/
التاريخ Date 2015/03/15م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ آلاء روحي زهدي دويدار لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والثلاثين من القرآن الكريم (سورة المؤمنون من الآية "1" إلى آخر السورة، والنور من الآية "1-20")

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 24 جمادى الأولى 1436هـ، الموافق 2015/03/15م الساعة الواحدة ظهراً بمبنى الليحدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. محمود هاشم عنبر	مشرفاً ورئيساً	.....
أ د. صبحي رشيد اليازجي	مناقشاً داخلياً	.....
د. عبد الرحمن يوسف الجمل	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤] .

الإهـداء

إلى طب القلوب ودوائها

وعافية الأبدان وشفائها محمد ﷺ

من اشتاقت الروح للقياه، وورود حوضه، والشرب من يده الشريفة.

إلى من زرع في قلبي حب الدين والوطن، وعلمني معنى الثبات وقت المحن، إلى من كلل العرق جبينه، وشققت الأيام يديه، إلى من حرم نفسه ليعطيني، وضعف جسده ليقويني إليك أبي الغالي.

إلى من دعمتني بالحب والحنان، ودفعتني نحو العلم والسير للأمام، إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة صنعتها من أوراق الصبر، وطرزتها في ظلام الدهر على سراج الأمل إليك أمي الحبيبة.

إلى من أشدد بهم أزري، وأسند بهم ظهري، إلى من حبهم يجري في عروقي، ويلهج بذكراهم فؤادي إخوتي: جمعة، وأحمد، وعلي، ومحمد، ومصعب ... حماهم الله .

إلى من شاركني أفراحي وأتراحي، إلى حبيبات قلبي، أخواتي: سلوى، وضحى، وسندس حفظهن الله.

إلى الذين رفع الله قدرهم، وأعلى ذكرهم، وأثنى عليهم في كتابه، إلى أئمة الهدى ومصابيح الدجى إلى شيوخي ومعلمي.

إلى زميلاتي في كلية الدعوة، والدراسات العليا، إلى من بادلتهم المحبة والأخوة فبادلوني فكانوا نعم الأخوات ونعم السند ونعم الصحبة.

إلى حراس العقيدة، وحماة الدين، إلى المسرى الحزين، والأسرى الميامين، إن ظلمة الليل آذنت بالرحيل ليسلخ النهار بعد ليل بهيم.

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله الذي لا يطيب اللسان إلا بذكره وشكره، ولا يطيب القلب إلا بخشيته، ولا يحلو الليل والنهار إلا بعبادته وطاعته، والشكر على إحسانه وتوفيقه، ثم الشكر لصاحب الخلق العظيم صلوات الله عليه وسلامه، ثم الشكر لمن صحبه وتبعه وحمل رسالته وسار على هديه.

واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ...﴾ [إبراهيم:٧] ، وامتثالاً لقوله ﷺ : **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)** (١).

فامتناناً لنعمة ربي، واتباعاً لسنة نبيي ﷺ أتقدم بخالص الشكر لأستاذي الجليل فضيلة **الدكتور/ محمود هاشم عنبر حفظه الله ورعاه** الذي لم يدخر جهداً في نصحي وإرشادي وتقويم بحثي على طول فترة إشرافه عليّ.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأستاذيَّ الفاضلين المناقشين لهذا البحث:

الدكتور/ عبد الرحمن يوسف الجمل مناقشاً خارجياً... حفظه الله ورعاه.

والدكتور/ صبحي رشيد اليازجـــي مناقشاً داخلياً ... حفظه الله ورعاه.

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من جهد ووقت، أسال الله أن ينفعني بملاحظاتهما التي سيبديانها لي لتحسين هذا البحث؛ ليخرج في أجمل حلة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور/ زكريا ابراهيم الزميلي الذي تكرم بترجمة ملخص رسالتي إلى اللغة الإنجليزية، وللأستاذ عبد الله أبو موسى (أبو عامر) الذي قام بطباعة هذا البحث ليصل به إلى المستوى الراقي.

والشكر موصول إلى منارة العلم والعلماء الجامعة الإسلامية ممثلة برئيسها، وعميد كلية أصول الدين، وأساتذتي الكرام، وأعضاء الهيئة التدريسية، وكذلك عمادة الدراسات العليا.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ٣٣٩/٤، ح (١٩٥٤)، قال الترمذي: حسن صحيح.

والشكر موصول لمكتبة الجامعة الإسلامية، والعاملين فيها لما بذلوه من جهد ونصح وتوجيه لي، ومساعدتي في الوصول إلى المراجع والكتب بسهولة .

هؤلاء من تذكرت فشكرت، أما من سهوت عن ذكرهم، فلهم مني كل الشكر والامتنان مع دعائي لله أن يوفقني في هذا العمل، ويتقبله مني، فيكفيني أني بذلت فيه ما استطعت من جهد، والله لا يضيع أجر العاملين، ولست ممن بلغوا الكمال، فقد خص الله به نفسه، وإن قصرت فمن نفسي ولا عذر لي سوى ما قاله خالقي – جل شأنه –: ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾ [البقرة:٣٢] .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله نستفتح خزائن علمه، ونطرق أبواب حكمته، وبحمد الله نستقبل مواطن فضله، ونرجو المزيد من غيوث رحمته، وبالصلاة والسلام على رسول الله نتزود بخير زاد التقوى في صحبتنا لكتاب الله تعالى الذي نزل به الروح الأمين على قلبه هدى ورحمة للعالمين، فكشف به ظلمات الجهل وأسباب العذاب وأماط به عن نفائس العلوم وذخائرها الحجاب، وكشف به عن حقائق الدين، وأسراره ومحاسنه النقاب، وأخلص به العبادة للعزيز الوهاب، وفتح به لنيل مآرب الدارين الباب، وأغلق باتباعه والعمل به دون الشر جميع الأبواب، تحيى بوابل علومه القلوب النيرة أعظم مما تحيى الأرض بوابل السحاب، ويتميز بتدبر آياته الخطأ من الصواب، والقشور من اللباب، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩].

لا شك أن علم التفسير، بل وكافة علوم القرآن الكريم من أفضل العلوم على الإطلاق لتعلقها بكلام الله تعالى، ألا وهو القرآن الكريم وتكمن أهمية هذا العلم في أنه يحقق المقاصد الأساسية للقرآن الكريم في حياة المسلمين، فالمتدبر في هذا الكتاب العظيم يجد أنه لا توجد فيه آية بدون معنى أو فائدة أو حكمة أو تشريع سواء استطعنا معرفتها والاهتداء إليها أم لا، فهو كلام الله تعالى المعجِز الذي لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

لذلك فقد أنزل الله – تعالى – كتابه الخالد معجزة النبي ﷺ إلى يوم القيامة أنزله عليه هداية للبشر، وإخراجاً لهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإسلام والهداية، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وخالقهم، وقد حث الله – تعالى– عباده المؤمنين على تدبر القرآن، وفهم آياته ومعانيه وتفسيره، وتعلم علومه، والغوص في أعماقه للكشف عن آلائه المكنونة فيه.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤] ، فهو كلام الله تعالى المعجَز، فكل سورة في كتاب الله تعالى تحتوي على الكثير من المقاصد والأهداف التي تمثل منهج حياة للمسلمين في جميع المجالات، تشخص مشاكلهم وهمومهم، وتقدم العلاج الشافي لتلك المشاكل والهموم، بما يتفق مع هذه المقاصد والأهداف القرآنية، لذلك كانت رسالتي بعنوان: **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والثلاثون من القرآن الكريم "سورة المؤمنون والنور من الآية ١–٢٠"** .

أولاً: أهمية الموضوع:

١– يعدّ علم التفسير من أشرف العلوم وأعظمها، لأنه يتعلق بأشرف الكتب، ألا وهو القرآن الكريم.

٢– يقدم القرآن الكريم الحلول المناسبة للمشاكل المعاصرة التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم.

٣- التعرف على مقاصد وأهداف الآيات والسور هو المنهج الأسلم الذي يوضح كيفية كون كلام الله تعالى مؤتلفاً منتظماً، وقد بلغ الكمال في لفظه ونظمه ومعناه، وتكون معه المناسبات، والوحدة الموضوعية في السورة، كالبناء المرصوص من خلال وحدة بنائها وترابطها.

٤- بيان المقاصد والأهداف للآيات يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والتحاكم إليه.

٥- الدراسة التحليلية لأهداف والمقاصد تصقل شخصية الإنسان المسلم، وتبني قدراته في فهم آيات الله تعالى فهمًا دقيقاً يؤهله للتأصيل، والاستنباط.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١- ابتغاء مرضاة الله – تعالى- من خلال التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم .

٢- إبراز مقاصد وأهداف آيات الدراسة في كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية جميعاً.

٣- إبراز ما تناولته سورتي (المؤمنون والنور")، من موضوعات متنوعة مختلفة، في التربية الإيمانية، وتصحيح المفهوم الإسلامي عند الأمة، وذلك من خلال ربطها بواقعنا المعاصر.

٤- اكتساب ملكة الاستنباط وذلك من خلال الدراسة التحليلية لأهداف السور ومقاصدها .

ثالثاً: أهداف البحث:

١- إظهار المقاصد والأهداف الأساسية (لسورتي المؤمنون والنور) .

٢- بيان بعض جوانب الإعجاز القرآني ، وذلك من خلال الوقوف على مقاصد وأهداف السور .

٣- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث علمي محكم يتناول دراسة تحليلية شاملة للمقاصد، والأهداف المستنبطة من آيات الدراسة.

٤- صقل الخبرة الذاتية للباحثة بالدراسة التحليلية المتعمقة الدقيقة لآيات الدراسة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، والبحث عبر شبكة الإنترنت، وسؤال الإخوة المختصين لم أعثر على أية رسالة علمية سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه قد تناولت هذا الموضوع .

وقد تناولت هذا البحث للمشاركة في سلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد، والأهداف المتنوعة والمختلفة لسور القرآن الكريم .

ولقد استفدت استفادة كبيرة في موضوع القراءات من سلسلة الرسائل في القراءات القرآنية (تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر) بالجامعة الإسلامية .

خامساً: منهجية البحث:

اعتمدت الباحثة مستعينة بالله – تعالى– على المنهج الموضوعي القائم على التحليل وذلك من خلال النقاط التالية:

١- وضع مقدمة لسورتي "المؤمنون والنور"، وبيان أسماء السورة، وفضلها، وترتيبها، ومكان وزمان نزولها، ومحورها الرئيس .

٢- قامت الباحثة بتقسيم آيات الدراسة في سورتي "المؤمنون والنور" إلى مقاطع مختلفة، حسب موضوع آيات المبحث نفسه.

٣- استنباط ما تحتويه آيات كل مقطع من مقاصد، وأهداف وتحليلها، والاستشهاد لهذه الأهداف والمقاصد بالمنهج التحليلي بما فيه من أدوات متعددة ، تخدم هذا المنهج من: علوم القرآن، وعلم اللغة، وإعجاز القرآن والسنة المطهرة وغيرها.

٤- ربط المقاصد، والأهداف المستنبطة بواقع الأمة، وحالها المعاصر بما يساهم في حل مشاكلها التي تعاني منها.

٥- عزو الآيات القرآنية المستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وذلك كله في متن الدراسة، وليس في حواشي الصفحات، بهدف التخفيف عن الحواشي.

٦- تخريج الأحاديث المستشهد بها في البحث تخريجاً علمياً، مع بيان حكم العلماء عليها إلا إذا كان في الصحيحين.

٧- بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث.

٨- الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورة في البحث.

٩- الاكتفاء في التوثيق بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة، وترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع، وذلك تخفيفاً عن الحاشية.

١٠- عند إحالة القارئ إلى فكرة، أو جزئية، أو حديث قد سبق ذكره في البحث أشرت إلى ذلك بعبارة سبق الإشارة إليه مع تحديد مكانه على صفحات البحث .

١١- عمل الفهارس اللازمة للوصول إلى المعلومة بأقرب طريق وأسهله .

سادساً: خطة البحث:

تحقيقاً لأهداف البحث سابقة الذكر، وضعت هذه الخطة، والتي تتكون من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، ومجموعة فهارس، وبيان ذلك فيما يلي:

المقدمة: وتشتمل على العناصر الآتية:

١- أهمية الموضوع .

٢- أسباب اختيار الموضوع .

٣- أهداف البحث .

٤- الدراسات السابقة .

٥- منهجية البحث .

٦- خطة البحث .

التمهيد

تعريف عام بسورتي "المؤمنون- والنور"، مناسباتهما، وبيان مقاصدهما وأهدافهما

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بسورة "المؤمنون".

المبحث الثاني: التعريف العام بسورة "النور" .

المبحث الثالث: تعريف مقاصد وأهداف السورة القرآنية.

المبحث الرابع: التعريف بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السورة القرآنية.

المبحث الأول

التعريف العام بسورة "المؤمنون"

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية.

المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها.

المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

المطلب السادس: المناسبة في سورة المؤمنون .

المبحث الثاني

التعريف العام بسورة النور

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية.

المطلب الثالث: : فضائل السورة، وجو نزولها.

المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

المطلب السادس: المناسبة في سورة النور .

المبحث الثالث

تعريف الأهداف و المقاصد وأهميتها

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف .

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات .

المبحث الرابع

المقصود بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السور القرآنية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية .

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية .

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون"

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول :الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من الآية (١-٢٢) .

المبحث الثاني:الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من الآية (٢٣-٥٠)

المبحث الثالث:الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من الآية (٥١-٩٠)

المبحث الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من الآية(٩١-١١٨)

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من آية (١-٢٢)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: خصال المؤمنين.

المقطع الثاني: من أدلة وجود الله –تعالى–خلق الإنسان ومراحله.

المقطع الثالث: خلق السموات وإنزال الأمطار وتسخير الأنعام.

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من آية (٢٣-٥٠)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: قصة نوح عليه السلام.

المقطع الثاني: قصة هود عليه السلام.

المقطع الثالث: قصص صالح – ولوط – وشعيب – عليهم السلام.

المقطع الرابع: قصة موسى وهارون عليهما السلام.

المقطع الخامس: قصة عيسى عليه السلام وأمه.

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من آية (٥١-٩٠)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: من مباديء التشريع أكل الطيبات .

المقطع الثاني: صفات المسارعين في الخيرات .

المقطع الثالث: إنكار أعمال الكفار، ومشركي قريش وأسبابها .

المقطع الرابع: من نعم الله –تعالى – على عباده .

المقطع الخامس: إثبات البعث بالأدلة القاطعة وإنكار المشركين له .

المبحث الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من آية (٩١-١١٨)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: نفي الولد والشريك لله – تعالى – .

المقطع الثاني: إرشادات إلى النبي ﷺ .

المقطع الثالث: تمني الإنسان عند الموت الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً .

المقطع الرابع: موازين النجاة في حساب الآخرة .

المقطع الخامس: التنبيه على قصر مدة اللبث في الدنيا، وعقاب المشركين والرحمة بالمؤمنين .

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "النور" من الآية (١-٢٠) .

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "النور" من آية (١-٥) .

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "النور" من آية (٦-٢٠) .

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "النور" من (١-٥)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: مكانة سورة النور ، وعظم شأنها.

المقطع الثاني: حد الزنا وحكم الزناة .

المقطع الثالث: حد القذف .

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة النور من آية (٦-٢٠)

ويشتمل على مقطعين:

المقطع الأول: حكم اللعان .

المقطع الثاني: قصة الإفك .

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة: وتشتمل على الفهارس الآتية:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

التمهيد

تعريف عام بسورتي "المؤمنون والنور"

مناسباتهما، وبيان مقاصدهما وأهدافهما

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بسورة "المؤمنون".

المبحث الثاني: التعريف العام بسورة "النور".

المبحث الثالث: تعريف مقاصد وأهداف السورة القرآنية.

المبحث الرابع: التعريف بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السورة القرآنية.

المبحث الأول

التعريف العام بسورة "المؤمنون"

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية.

المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها.

المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

المطلب السادس: المناسبة في سورة المؤمنون.

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية

أسماء السورة:

لقد ثبت أن السور القرآنية لها أسماء توقيفية وأسماء اجتهادية.

أولاً: الاسم التوقيفي للسورة:

(سورة المؤمنون):

١- سورة "المؤمنون" من المئين؛[١] وهي من السور التي زاد عدد آياتها على مائة حيث قال ﷺ: **(أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلني بالمُفَصَّل)** [٢].

وجه التسمية:

١- على اعتبار اضافة السورة إلى المؤمنين لإفتتاحها بالإخبار عنهم بأنهم أفلحوا، وجاءت التسمية لما رواه عن عبد الله بن السائب[٣]. **قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بمكة فاستفتح سورة (المؤمنين) حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر موسى وعيسى أخذت النبي سعلة فركع"** [٤].

٢- والثاني على حكاية لفظ "المؤمنون" ، الواقع أولها في قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فجعل ذلك اللفظ تعريفاً للسورة .

---

(١) المئين: هي السور التي تلي السبع الطوال، وإنما سميت بالمئين لأن كل سورة فيها تزيد على مائة آية أو تقاربها، والمثاني: آيات سورة الفاتحة وسماها مثاني لأنها تثنى في كل صلاة، وفي كل ركعة، أما المفصل: فهو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت مفصلاً لقصرها وكثرة الفصول فيها، انظر: غريب الحديث والأثر، لابن قتيبة الدنيوري، ٢٤٣/١.

(٢) "شعب الإيمان"، للإمام أبي بكر بن الحسين البيهقي، ٤٨٧/٢، ح٢٤٨٤، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني، ٤٦٩/٣.

(٣) هو عبد الله بن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ويكنى أبا عبد الرحمن، أمه رملة بنت عروة من بنين هلال بن عامر بن صعصعة، أسلم عبد الله يوم الفتح، ولم يزل مقيماً في مكة إلى أن توفي في زمن عبد الله بن الزبير، انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٤٤٥/٥.

(٤) "صحيح مسلم"، باب القراءة في الصبح، ٣٧٦/١، ح (٤٥٥).

ثانياً: الأسماء الاجتهادية:

١- (قد أفلح)، قال ابن جرير تفسير سورة (قد أفلح المؤمنون) [١].

وقال مكي ابن أبي طالب القيسي: (سورة المؤمنون قد أفلح)[٢].

ثالثاً: وجه التسمية:

١- قال ابن عاشور: والاسم الثاني على حكاية لفظ (المؤمنون)، الواقع أولها في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فجعل اللفظ تعريفاً للسورة [٣] .

٢- **(سورة الإيمان):** وقد أطلق عليها سيد قطب – رحمه الله – سورة "الإيمان".

وجه التسمية:

لأن السورة تحدثت عن الإيمان بكل قضاياه ودلائله وصفاته، التي تميز شخصية المؤمن [٤] .

٣- **(سورة الفلاح):** قال ابن عاشور:"مما جرى على الألسنة يسمونها "قد أفلح"، ويسمونها أيضاً سورة الفلاح [٥] .

وجه التسمية:

وقد يطلق عليها اسم الفلاح، وذلك لما اشتملته من صفات المؤمنين مثل: الخشوع في الصلاة وحفظ الأمانة، وحفظ الفروج، والإعراض عن اللغو وغيرها التي ما تمسك بها المؤمن إلا أفلح في الدنيا والآخرة ،وقد وردت تسمية هذه السورة في السنة عن عبد الله بن السائب قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بمكة فاستفتح سورة (المؤمنين) حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر موسى وعيسى أخذت النبي سعلة فركع" [٦].

ولقد اتفق الجميع على تسمية السورة بهذا الاسم الجليل تخليداً للمؤمنين، وإشادة بمآثرهم وفضائلهم الكريمة، التي استحقوا بها ميراث الفردوس الأعلى في جنات النعيم .

---

(١) انظر: ""جامع البيان، للطبري، ١٧/٥.

(٢) انظر: "العمدة في غريب الحديث، ص٢١٥.

(٣) انظر: "التحرير والتنوير"، ابن عاشور ١٨/٥.

(٤) انظر: "في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٢٤٥٢/٤.

(٥) "التحرير والتنوير"، ابن عاشور ١٨/٥.

(٦) "صحيح مسلم"، سبق تخريج الحديث ص٣ من نفس البحث .

المطلب الثاني: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية

أولاً: ترتيب سورة "المؤمنون":

هي السورة الثالثة والعشرون من القرآن الكريم من حيث ترتيب السور في المصحف الشريف، أما ترتيبها من حيث النزول: فهي السورة السادسة والسبعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة "الطور" وقيل: سورة "المُلك" [(١)]، وقيل: نزلت بعد سورة "الأنبياء" [(٢)].

ثانياً: عدد آياتها:

اختلف العلماء في عدد آيات سورة "المؤمنون" إلى عدة أقوال منها:

١- يقول أبو السعود – رحمه الله-: " هي عند البصريين ١١٩ آية، وعند الكوفيين ١١٨ آية "[(٣)].

٢- ويقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله-: "وآياتها ١١٧ آية في عد الجمهور، وعدها أهل الكوفة ١١٨ آية، فالجمهور عدوا ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون:١٠-١١] آية، وأهل الكوفة عدوا ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ**﴾ آية وما بعدها آية أخرى"[(٤)].

وأرجح: كما هو مكتوب في المصاحف العثمانية، ١١٨ آية.

ثالثاً: مكية أو مدنية:

ذهب معظم المفسرين إلى أن سورة "المؤمنون" هي من السور المكية، وتوقف بعضهم عند الآية التي ذكرت فيها الزكاة.

يقول الإمام ابن الجوزي – رحمه الله- : "سورة (المؤمنون) مكية في قول الجميع" [(٥)]، ويقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله-: "هي مكية بالاتفاق ولا اعتداد بتوقف من توقف في ذلك بأن الآية التي ذكرت فيها الزكاة وهي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**﴾ [المؤمنون:٤] ، يقين أنها مدنية لأن الزكاة فرضت في المدينة، فالزكاة المذكورة فيها هي الصدقة، لا زكاة النصب المعنية في الأموال، وإطلاق الزكاة على الصدقة مشهور في القرآن، قال تعالى: ﴿**وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ [فصِّلت:٦-٧] ، وهي من سورة مكية بالاتفاق، وقال تعالى:

---

(١) انظر: "التحرير والتنوير"، ابن عاشور، ٦/١٨.

(٢) انظر:" الكشاف"، الزمخشري، ١٧٤/٣، و"التسهيل لعلوم التنزيل"، ابن جزي الكلبي، ٤٨/٢٢.

(٣) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، ١٢٣/٦.

(٤) "التحرير والتنوير"، ٦/١٨، وانظر:"في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٢٤٥١/٤.

(٥) "زاد المسير"، ابن الجوزي، ٢٥٤/٣.

﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [مريم:٥٤-٥٥]، ولم تكن زكاة النصب مشروعة في زمن إسماعيل عليه السلام" [١].

وأقول: وعلى فرض وجود آية أو بعض آيات مدنية، فهذا لا يخرجها عن كونها مكية، حيث عني التشريع المكي في مبدأ الإسلام بغرس أصول الإيمان والعقيدة الحقة، وتخلق المؤمنين بمحاسن الأخلاق وأكرم الشيم والآداب، وذلك من أجل بناء الفرد المسلم، وتسلحه بقواعد الإسلام والتزامه بأركان هذا الدين الإلهي، ونجد هذا الاتجاه واضحاً في السور القرآنية المكية ومنها سورة (المؤمنون).

المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها

أولاً: فضل سورة (المؤمنون):

لقد تمتعت سورة (المؤمنون) بفضائل جمة وكثيرة: وذلك أن سورة (المؤمنون) هي التي وصفتهم بالفلاح، ولقد جاءت هذه السورة لتنتصر للمؤمنين من الكفار الذين اتخذوا المؤمنين سخرياً، فالله تعالى جزى المؤمنين مقابل هذا الاستهزاء بالجنة.

سبب النزول:

عن يزيد بن بانوس [٢]: قال: **قلنا لعائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين، كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: (كان خلق رسول الله ﷺ القرآن) ثم قالت: تقرأ سورة المؤمنين؟ اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [المؤمنون:١]، **حتى بلغ العشر فقالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ)** [٣].

ويقول عبد الله بن السائب: "**صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بمكة فاستفتح سورة (المؤمنون) حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر موسى وعيسى أخذت النبي سعلة فركع**"[٤].

---

(١) "التحرير والتنوير"، ابن عاشور، ١٨/٥-٦.

(٢) هو يزيد بن بانوس البصري، روى عن عائشة زوج النبي ﷺ ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وروى له البخاري في الأدب، وقال: وكان ممن قاتلوا علياً، انظر: تهذيب الكمال، للمزي، ٩٢/٣٢.

(٣) "المستدرك على الصحيحين"، للحاكم النيسابوري، باب تفسير سورة (المؤمنون)، ٤٢٦/٢، ح٣٤٨١، حكم الذهبي صحيح .

(٤) سبق تخريجه، انظر: البحث ص ٣.

ثانياً: جو نزول السورة:

جو السورة كلها جو البيان والتقرير، وجو الجدل الهادئ، والمنطق الوجداني، واللمسات الموحية للفكر والضمير، والروح السارية في السورة: هي روح الإيمان، ففي مطلعها مشهد الخشوع في الصلاة، وفي وسطها مدح للإيمان والإحسان، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠] ، وفي اللمسات الوجدانية تجد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون:٧٨] ، وكلها مظللة بذلك الظل الإيماني اللطيف [١].

المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة

لقد تعددت موضوعات هذه السورة تعدداً واضحاً، يخدم هدفها الأساسي وموضوعها الرئيس، وهو موضوع الإيمان القائم على: [٢].

١- ما يتصل بالعبادة:

- فتذكر: عبادة الوحدة في الألوهية ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.
- فتذكر عبادة التكافل الإجتماعي وهو الزكاة فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ .

٢- ما يتصل بالسلوك الفردي:

- فتذكر: الجد في الحياة، وتجنب اللغو في كل مجال من مجالاتها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ .

٣- ما يتصل بالسلوك الإجتماعي:

- المنظم لعلاقات أفراد الجماعة مع بعضهما البعض، أو لعلاقات الجماعات والدول كذلك .
- فتذكر: الوفاء في الأداء للأمانة والرعاية للعهد، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.
- وتجنب الاعتداء على الأعراض، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

فلكل سورة من سور القرآن الكريم شخصيتها الخاصة، وبصمتها التي تميزها عن غيرها ومحورها الذي تلتقي عنده جميع موضوعاتها، فلو وقفنا على سورة (المؤمنون) نجد أن

---

(١) انظر: "في ظلال القرآن" ، سيد قطب، ٢٤٥٣/٤، و"تفسير القرآن الكريم"، عبد الله شحاته، ٣٤٥٢/١٨.

(٢) انظر: "سلسلة المفاتيح الدعوية لسور القرآن الكريم"، د. عبد الحي الفرماوي .

آيات السورة تدور حول محور تحقيق الوحدانية، وإبطال الشرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه.

يقول الأستاذ سيد قطب – رحمه الله–: "هذه سورة (المؤمنون) ... اسمها يدل عليها، ويحدد موضوعها، فهي تبدأ بصفة المؤمنين، ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق، ثم إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله صلوات الله عليهم، من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ خاتم الرسل والنبيين، وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة، واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم في وجهها، حتى يستنصر الرسل عليهم السلام بربهم، فيهلك المكذبون، وينجي المؤمنون، ثم يستطرد إلى اختلاف الناس بعد الرسل في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد، ومن هنا يتحدث عن موقف المشركين من الرسول ﷺ ، ويستنكر هذا الموقف الذي ليس له مبرر، وتنتهي السورة بمشهد من مشاهد القيامة يلقون فيها عاقبة التكذيب، ويؤنبون على ذلك الموقف المريب، ويختم بتعقيب يقرر التوحيد المطلق والتوجه إلى الله ﷻ بطلب الرحمة والغفران، فهي سورة (المؤمنون)، أو هي سورة (الإيمان) بكل قضاياه ودلائله وصفاته، وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل" [1].

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة

والواضح من اسم سورة "المؤمنون"، أنها تركز على قضية الإيمان بدرجة كبيرة، ومن ذلك: [2]

١- تبين حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله ﷻ من لدن نوح عليه السلام، إلى محمد ﷺ .

٢- تبين شبهات المكذبين .

٣- تبين اختلاف الناس حول هذه الحقيقة الواحدة، التي لا تتعدد، ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٢-٥٤].

٤- تبين نتائج الالتزام بهذه الحقيقة والتنكر لها، وتصور ذلك في مشهد من مشاهد يوم القيامة، يلقى الكافرين عاقبة التكذيب، ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾ [المؤمنون:١٠١-١٠٤].

---

(١) "في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٢٤٥٢/٤.

(٢) " انظر المرجع السابق، نفس الصفحة.

من أعظم أهداف هذه السورة المباركة:

أولاً: تقرير الفلاح للمؤمنين، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١] ، وبيان صفات المؤمنين الذين كتب لهم الفلاح، ومن ثم يعرض دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق، فيعرض أطوار الحياة الإنسانية منذ نشأتها الأولى إلى نهايتها في الحياة الدنيا متوسعاً في عهد أطوار الجنين، مجملاً في عهد المراحل الأخرى، ثم يتابع خط الحياة البشرية إلى البعث يوم القيامة.

وبعد ذلك ينتقل من الحياة الإنسانية إلى الدلائل الكونية، في خلق السماء، وفي إنزال الماء، وفي إنبات الزرع والثمار، ثم إلى الأنعام المسخرة للإنسان والفلك التي يحمل عليها وعلى الحيوان(١).

ثانياً: الانتقال من دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق، إلى التأكيد على حقيقة الإيمان الحقيقة الواحدة التي توافق عليها الرسل دون استثناء قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩] ، قالها نوح عليه السلام وقالها كل من جاء بعده من الرسل عليهم السلام، حتى انتهت إلى محمد ﷺ وكان اعتراض المكذبين دائماً ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون:٢٤] ، وكان اعتراضهم كذلك ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون:٣٥] ، فتكون العاقبة دائماً أن يلجأ الرسل عليهم السلام إلى ربهم يطلبون نصره، وأن يستجيب الله ﷻ لرسله، فيهلك المكذبين، وينهي هذا الدرس بنداء للرسل عليهم السلام جميعاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١] (٢).

ثالثاً: بيان موقف الناس من حقيقة الإيمان، حيث تفرقوا بعد الرسل وتنازعوا حول الحقيقة الواحدة التي جاءوا بها، كما أنهم غفلوا عن ابتلاء الله ﷻ لهم بالنعمة، واغتروا بما هم فيه من متاع، بينما المؤمنون مشفقون من خشية ربهم يعبدونه ولا يشركون به شيئاً، وهم مع ذلك دائموا الخوف والحذر.

رابعاً: توجيه الخطاب للنبي ﷺ أن يدفع السيئة بالتي هي أحسن ويستعيذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم، فلا يغضب ولا يضيق صدره بما يقولون.

---

(١) انظر: "لتفسير المنير"، أد. وهبة الزحيلي، ٦/١٨-٧ ، و"التفسير الواضح"، محمد محمود حجازي، ٦١١/٢.

(٢) انظر: ""التفسير الواضح"، محمد محمود حجازي، ٦١١/٢، و"في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٢٤٥٣/٤،

خامساً: نفي الفلاح عن الكافرين مع إثباته للمؤمنين، والتوجه إلى الله ﷻ طلباً للرحمة والغفران ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١١٨] (١).

المطلب السادس: المناسبة في سورة "المؤمنون"

أولاً: مناسبة سورة (المؤمنون) لما قبلها (الحج):

إن القرآن الكريم هو وحدة متكاملة تتناسق سوره وآياته مع بعضها البعض، فالسورة قد تتناسب مع ما قبلها، ومع ما بعدها، وأيضاً يتناسب أولها مع آخرها، فتكون العلاقة بين البداية والنهاية، وفي هذه السورة (المؤمنون) تناسب مع سورة (الحج) التي سبقتها، فمن مناسبة سورة (المؤمنون) مع سورة (الحج) ما يلي: (٢)

١- إن سورة الحج ختمت بنداء الذين آمنوا، وأمرهم بأمور الدين الخاصة والعامة، وافتتحت سورة (المؤمنون) بذكر أوصاف هؤلاء المؤمنين الذين كتب لهم الفلاح لأنهم فعلوا أمر دينهم.

٢- سورة (الحج) ختمت بجملة من الأوامر الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، منها قوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧] ، وهو مجمل فصّل في فاتحة هذه السورة، فذكر تعالى خصال الخير التي من فَعَلها فقد أفلح فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١].

٣- ذكر في أول سورة (الحج) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الحج:٥] ، الآية لإثبات البعث والنشور، ثم زاد هنا بياناً إضافياً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٣-١٤].

٤- إذا كانت سورة الحج تحدثت عن قصص الأنبياء وأممهم لتذكر الحاضرين، ووعظ الآتين في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ *وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[الحج:٤٢-٤٤]، فقد تحدثت سورة "المؤمنون" عن قصص الأنبياء كذلك لنفس الهدف، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون:٢٣].

---

(١) انظر: ""في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٢٤٥٣/٤،

(٢) انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، للبقاعي، ١٠٥/١٣، و"التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/١٨.

٥- تحدثت سورة الحج عن وحدانية الله -تعالى- وقدرته في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ مَا نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذلِكَ بِأَنَّ اللَّـــهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى وَأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج:٥-٦][(١)].

ثانياً: مناسبة سورة (المؤمنون) لما بعدها (النور)[(٢)]:

١- إن سورة "المؤمنون" هي المقدمة التي تؤدي دورها في التحذير من طرق الضلال، بالتذكير والتعليم والتربية والتوضيح للسورة التي بعدها وهي سورة النور .

ولا غرابة فإن سورة "النور" مليئة بالأحكام الإسلامية، التي تحتاج من يخضع لها ويلتزم بها إلى مزيد من التربية والعناية والإعداد، وهو ما تقوم به سورة "المؤمنون" .

فسورة (المؤمنون) لها علاقة مع ما بعدها، فنحن إذا تأملنا بما جاء في مطلع سورة (النور) فقد ذكَر الله ﷻ بالنعم التي أنعمها عليهم، وهذه النعم وجدت في مطلع سورة (المؤمنون)، مرققة، وما اشتملت عليه أيضاً من القصص المحذرة، فهذا الذي نصب لكم هذا الحكم لا يترككم سدى، فتقبلوا جميع أوامره وانتهوا عن نواهيه، وذلك ليغفر لكم ويرحمكم برحمته، ثم يشرع في مطلع سورة (النور) بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:١] ، أي: تذكروا هذه النعم وهذه الرحمة قبل أن تقعوا في الفواحش، وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير [(٣)] في برهانه [(٤)] لما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:٥] ، ثم قال تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾ [المؤمنون:٧] ، استدعى الكلام بيان حكم العادي في ذلك، ولم يبين فيها، فأوضحه في سورة (النور) فقال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى

---

(١) انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، للبقاعي، ١٠٥/١٣.

(٢) انظر: "نظم الدرر"، البقاعي، ٢٠٣/١٣.

(٣) هو أبو جعفر بن الزبير، العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير، الإمام الأستاذ الحافظ أبو جعفر الثقفي العاصمي الغرناطي، وهو أحد نحاة الأندلس ومحدثيها، ولد أواخر سنة سبع وعشرين وستمائة، وهو مقرئ ومفسر، انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٧٩/١٤.

(٤) "البرهان في تناسب سور القرآن"، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ٢٥٩/١.

(٤) انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، للبقاعي، ١٠٥/١٣.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٣] ، ثم أتبع ذلك بحكم اللعان والقذف بقصة الإفك، تحذيراً للمؤمنين من زلل الألسنة رجماً بالغيب قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥] ، وأتبع ذلك بوعيد محبي إشاعة الفاحشة، في المؤمنين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:٢٣] ، ثم بالتحذير من دخول البيوت إلا بعد الاستئذان المشروع، ثم بالأمر بغض الأبصار للرجال والنساء ونهى النساء عن إبداء الزينة إلا لمن سمى الله ﷻ في الآية [٤] .

ثالثاً: مناسبة أول سورة (المؤمنون) بآخرها: [١]

إن أول سورة (المؤمنون) وآخرها مفهماً أن الفلاح مختص بالمؤمنين، ولما كان الأمر كذلك أمر ﷻ نبيه ﷺ بالاجتهاد في إنقاذ عباده حتى بالدعاء لهم في إصلاحهم ليكون الختم بالرحمة للمؤمنين، كما كان الافتتاح بفلاحهم، فقال عاطفاً على قوله ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون:٩٦] ، فإنه لا إحسان أحسن من الغفران، أو على معنى ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [المؤمنون:١١٢] ، الذي بينته قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي بالأمر، (وقل)، أو يكون التقدير: فأخلص العبادة له (وقل) لأجل أن أحداً لا يقدره حق قدره، ﴿رَبِّ﴾ أيها المحسن إليّ ﴿اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ [المؤمنون:١١٨] ، أي أكثر من تعليق هاتين الصفتين في أمتي لتكثرها، فإن في ذلك شرفاً لي ولهم، فأنت خير الغافرين، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١٠٩] ، فمن رحمته أفلح بما توفقه له من امتثال ما أشرت إليه أول السورة، فكان من المؤمنين وكان من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، فقد انطبق على الأول هذا الأخير بفوز كل مؤمن، وخيبة كل كافر.

والخلاصة: أن سورة (المؤمنون) افتتحت وختمت بالحديث عن الفلاح، فأثبت الفلاح للمؤمنين في مطلعها، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، ونفته عن الكافرين في خاتمها ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] ، وهذا ربط واضح واتساق قوي بين المطلع والختام، فلما ذكر الفلاح للمؤمنين في مطلعها، قد يتوهم البعض باحتمال الفلاح لغيرهم فنفى ذلك الوهم في ختام السورة.

وقد اتسم مطلع السورة بأسلوب الترغيب في التوحيد والإيمان، وبأسلوب الترهيب من الشرك في آخرها، للجمع بين الترغيب والترهيب باتساق مطلع السورة وختامها.

---

(١) انظر: "التفسير المنير" ، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧/١٨.

المبحث الثاني

التعريف العام بسورة (النور)

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية.

المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها.

المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

المطلب السادس: المناسبة في سورة النور.

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية

اسم السورة:

أولاً: الاسم التوقيفي:

سورة النور: سميت سورة (النور) بهذا الاسم بتوقيف من النبي ﷺ ولا يعرف لها اسم آخر [١].

قال ابن عاشور – رحمه الله-: "وهذه تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة ولا يعرف لها اسم آخر" [٢].

وجه التسمية باسم سورة النور: لكثرة ذكر النور فيها" [٣]، وسميت بالنور لتنويرها طريق الحياة الاجتماعية للناس، عن طريق بيان الآداب والفضائل، وتشريع الأحكام والقواعد، ولتضمنها الآية المشرقة، قوله تعالى: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ...﴾ [النور:٣٥] ، أي منورها، فبنوره أضاءت السماوات والأرض، وبنوره اهتدى الحيارى والضالون إلى طريقهم [٤]، وقوله تعالى: ﴿**نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ** ...﴾ [النور:٣٥] ، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ [النور:٤٠] [٥].

وسبب تسمية سورة (النور) يظهر من عدة وجوه: [٦].

١- لورود لفظ النور فيها متصلاً بذات الله ﷻ ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ...﴾ [النور:٣٥]، وقد ورد لفظ النور أربع مرات في كتاب الله تعالى.

٢- لأنها تنور العقل، فكما أن نور الله ﷻ ينير السموات والأرض، فما في السورة من أحكام وتشريعات وآداب وسلوكيات وأخلاق تنير درب الأمة، وتبعدها عن الانحراف، وكما أن النور يضيء للإنسان في الظلمات، ويجعله يرى طريقاً واضحاً فلا يضل ولا يتيه فهي تنور الحياة بشرع الله للناس.

---

(١) انظر: "تأملات في تفسير سورة النور"، د. محمد أحمد القاسم، ص٥.

(٢) "التحرير والتنوير": ابن عاشور، ١٣٩/٩.

(٣) "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، للفيروز أبادي، ٣٣٤/١١.

(٤) "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١١٨/١٨.

(٥) انظر" تفسير القرآن الكريم"، د. عبد الله شحاته، ٣٥٢٦/١٨.

(٦) انظر" في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٣٤٨٥/٤-٣٤٨٦.

يقول الأستاذ سيد قطب – رحمه الله–: "هذه سورة النور... يذكر فيها النور بلفظه متصلاً بذات الله ﷻ ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ [النور:٣٥] ، ويذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة، وهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية واجتماعية، تنير القلب، وتنير الحياة، ويربطها شفافية في الضمائر، مستمدة كلها من ذلك النور الكبير" (١).

ثانياً: الأسماء الاجتهادية:

ولقد أطلق العلماء على هذه السورة عدة أسماء منها:

١–**الطهر والعفاف:**

ووجه تسميتها بسورة الطهر والعفاف الأمور الآتية:

١– اشتمال السورة على آداب وأحكام وحدود وتشريعات تساعد على نشر الطهر والعفاف بين أفراد المجتمع والقضاء على الفساد الأخلاقي والانحراف السلوكي، فمن موضوعاتها التي تناولتها: بيان حد الزنـــا وحد القذف، وحكم اللعان، وآداب الاستئذان... وغير ذلك ممـــا يساعد على العفة، وعلى العمـــــوم ففي هذه السورة أسس الحياة المنزلية وآداب الحيـــاة الزوجية الصحيحة، وما يتصل بذلك، وفيها آية النور اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وغيـــر ذلك كثير.

ولا شك أن في هذه السورة من الأحكام المفصلة، والآيات البينة ما لو تذكرها المسلم لنجا من مزالق النفس ومسالك الشيطان والهوى، وهي مدعاة للذكرى وإن الذكرى تنفع المؤمنين (٢).

٢– **سورة التربية الأسرية:**

ووجه تسميتها بسورة التربية الأسرية الأمور الآتية" (٣).

- ❖ اهتمامها بالأسرة التي هي النواة الأولى لتكوين المجتمع
- ❖ حيث دعت السورة إلى التشجيع على الزواج، وحثت عليه وهو وسيلة بناء الأسرة.
- ❖ بينت آداب استئذان الأبناء على الآباء، والاستئذان بشكل عام.
- ❖ بينت حكم اللعان بين الزوجين حفاظاً على الأسرة، والعلاقة بين الزوجين.
- ❖ حذرت من مخاطر القذف ونشر الشائعات في المجتمع وبينت كيفية التعامل معها حفاظاً على كرامة الفرد والأسرة والمجتمع المسلم.

---

(١) "في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٢٤٨٥/٤.

(٢) "انظر: "التحرير والتنوير"": ابن عاشور، ١٤٠/١٨، والتفسير الواضح، لحجازي، ٦٥٠/٢.

(٣) "انظر: "التحرير والتنوير"": ابن عاشور، ١٤٠/١٨،

المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية

أولاً: ترتيب سورة (النور):

سورة (النور) "هي السورة الرابعة والعشرون في ترتيب المصحف" [١]، وهي السورة السابعة عشر في ترتيب السور المدنية، بعد سورة (النصر)، وقبل سورة (الحج) [٢]،

وعدت السورة المائة في ترتيب نزول سور القرآن [٣].

ثانياً: عدد آيات السورة:

عدد آيات سورة (النور) عند الحجازيين ٦٢ آية"، وعند الكوفي والبصري والشامي "٦٤ آية" [٤].

وقال د. محمد محمود حجازي: "عدد آياتها ٦٣ آية" [٥].

والراجح كما هو مكتوب في المصاحف العثمانية ٦٤ آية .

وبالتالي يكون المختلف فيه ثلاث آيات [٦]:

١- قوله تعالى: ﴿... **بِالغُدُوِّ وَالآَصَالِ**﴾ [النور:٣٦] عدّها الكوفي والبصري والشامي آية، وترك الحجازيون عدّها.

٢- قوله تعالى: ﴿... **يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**﴾ [النور:٤٣] عدّها الكوفي والشامي والبصري آية، وترك الحجازيون عدّها.

٣- قوله تعالى: ﴿**يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ**﴾ [النور:٤٤] ترك الحمصي عدّها، وعدّها غيره [٧].

---

(١) "البحر المحيط"، لأبي حيان الأندلسي، ٣٩٢/١.

(٢) "البرهان في علوم القرآن"، للزركشي، ١٩٤/٥.

(٣) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٤٠/١٨.

(٤) انظر: "مفاتيح الغيب"، فخر الدين الرازي، ٣٠١/٢٣، و" مدارك التنزيل وحقائق التاويل"، النسفي، ٤٨٦/٢، و"تفسير المراغي"، المراغي، ٦٦/١٨.

(٥) "التفسير الواضح"، محمد محمود حجازي، ٦٤٩/٢.

(٦) انظر:" بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل"، للإمام الشاطبي، ص١٢١-١٢٢.

(٧) انظر: "مجمع البيان في تفسير القرآن"، للشيخ أبو علي الطبرسي، ١٩٣/٧.

ثالثاً: مكية أو مدنية:

أجمع العلماء على أن سورة (النور) من السور المدنية واختلف بعضهم في بعض الآيات، فمنهم من ذهب إلى أنها (مدنية كلها)، ومنهم من قال أنها نزلت بالمدينة عدا قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ...﴾ [النور:٥٥]، فإنها (مكية) [(١)].

إن من خصائص القرآن المدني أنه به شرعت الحدود والتشريعات ففي هذه السورة بين الله ﷻ كثيراً من الحدود والتشريعات وهذا لم يكن في العهد المكي، لأنه كان بداية الدعوة، فجاءت سورة (النور) المدنية لتتحدث عن هذه التشريعات التي لم تكن موجودة كغض البصر، والأمر بالاستئذان، وحفظ الفروج والحجاب وغيرها من هذه الحدود والتشريعات.

المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها

أولاً: فضل السورة:

إن في هذه السورة أنساً وشعوراً بالطمأنينة، لأن المؤمن يرتاح للعفة والطهر، ويشمئز من الفحش وسوء الظن والاتهام، عن المسور بن مخزمة[(٢)] **أنه سمع عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "تعلموا سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحج، وسورة النور فإن بهن الفرائض"**[(٣)].

لذلك فإن سورة النور أخذت هذه الفضيلة، وذلك لما فيها من الفضائل الكثيرة.

ثانياً: جو نزولها:

من المفيد في هذا المقام أن نسلط الأضواء على المرحلة التاريخية التي نزلت فيها هذه السورة، لأهميته البالغة في فهم الأحكام والتشريعات التي حظيت بها سورة (النور)، فقد ظهرت في

---

(١) انظر: "زاد المسير"، لأبي الفرج الجوزي، ٢٧٥/٣، و"مفاتيح الغيب"، للرازي، ٣٠١/٢٣، و"المحرر الوجيز"، لابن عطية، ١٦٠/٤، و"بيان المعاني"، لعبد القادر العاني، ١٤٦/٦.

(٢) هو المسور بن مخزمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وأمه امرأة من بني زهرة، يكنى أبا عبد الرحمن، وهو صحابي، مات بمكة سنة أربع وستين، انظر: طبقات خليفة بن خياط، لأبي عمرو خليفة بن خياط، ٤٦/١.

(٣) "المستدرك على الصحيحين"، للحاكم النيسابوري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور، ٤٢٩/٢، ح٣٤٩٣، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، يقول الذهبي : صحيح على شرط البخاري ومسلم.

هذه المرحلة قوة المسلمين بعد انتصارهم في غزوة بدر، وتأكدت هذه القوة بعد انتصارهم الساحق على المشركين في غزوة الأحزاب، ذلك الانتصار الذي جعل المشركين والمنافقين واليهود يحسبون لتلك القوة ألف حساب، بعد فشلهم الذريع في تحقيق النصر في غزوة الأحزاب رغم القوة الكبيرة التي حشدوها لسحق المسلمين واستئصالهم، فقد تأكد أعداء الإسلام أن النصر على المسلمين لن يتحقق بقوة السلاح وكثرة العدد والعتاد، فكل المعارك السابقة التي خاضوها مع المسلمين، كان الكفار فيها هم المتفوقون عدداً وعدة، ومالاً واقتصاداً، عندها أدركوا أن السبب في انتصار المسلمين عليهم ليس قوة السلاح، إنما هو تفوقهم في ميدان الأخلاق والفضائل، على مستوى الفرد والجماعة، الذي وثق الروابط الاجتماعية بين المسلمين، ووحد صفوفهم وأهدافهم [١].

وانطلاقاً من هذا الاستنتاج حوّل أعداء الإسلام الكثير من طاقاتهم في هذه المرحلة من الأعمال الحربية إلى أعمال خفية لإحداث الفتن والقلاقل بين صفوف المسلمين، وقد تولى المنافقون تنفيذ تلك الخطة مستغلين بعض الأحداث الهامة التي ابتدأت في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة عندما تزوج النبي ﷺ مطلقة متبناه زيد بن حارثة – زينت بنت جحش حيث روجوا للإشاعات وتفننوا فيها حتى فتن بها بعض المسلمين.

ثم جاءت الفتنة الثانية التي أحدثها المنافقون في غزوة بني المصطلق، وذلك لبث الفرقة والاختلاف في صفوف المسلمين في تلك الغزوة، التي شارك فيها زعيم المنافقين، عبد الله بن أبي ابن سلول مستغلاً خلافاً حدث بين غلام لعمر بن الخطاب، يقال له جهجاه، وبين سنان بن وَبَر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جَهْجَاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول فقال: أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعددنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ... [٢].

وهكذا حاول المنافقون تمزيق مجتمع المسلمين من خلال تلك الفتنة العنصرية البغيضة، ولكن الرسول ﷺ وأدها في مهدها بحكمته البالغة، وسلّم المسلمين من شرورها.

ثم جاءت الفتنة المزلزلة في نفس هذه الغزوة والتي بلغت في خطورتها حداً كادت تعصف بالمجتمع الإسلامي الأول وتقتلعه من جذوره، وذلك عندما تجرأ المنافقون في هذه المرة على عرض رسول الله ﷺ نفسه، فاتهموا زوجته الطاهرة عائشة رضي الله عنها بارتكاب فاحشة الزنا.

---

(١) انظر: "السيرة النبوية"، لابن هشام، ٤/٢٥٣-٢٥٤.

(٢) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين،٥/ ١٦٧.

هذه الظروف والأحوال التي عاشها المسلمون عند نزول سورتي (الأحزاب) وسورة (النور) بتشريعاتهما الأخلاقية والاجتماعية والتي جاءت رداً على محاولات المنافقين للنيل من المسلمين تمهيداً لهزيمتهم، ولكن كان رد الله ﷻ على تلك المحاولات تشريع العديد من الأحكام التي تسد الثغرات، وتصلح مواضع الخلل في الجبهة الخلقية، والتي جاءت متكاملة في سورتي (الأحزاب والنور)[١].

المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة

المحور الأساس الذي تدور حوله سورة (النور) هو التربية الأخلاقية والآداب الاجتماعية للفرد والجماعة، وفي هذا المحور تشتد وسائله إلى درجة الحدود، وترقى إلى درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة، التي تصل القلب بنور الله ﷻ وآياته المبثوثة في تضاعيف الكون وثنايا الحياة، والهدف واحد في الشدة واللين وهو تربية الضمائر، واستجاشة المشاعر ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة حتى تشف وترق وتتصل بنور الله ﷻ.

وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب الجماعة والقيادة بوصفها نابعة كلها من معين واحد هو العقيدة في الله تعالى متصلة كلها بنور واحد هو نور الله تعالى وهي في صميمها نور وشفافية، وإشراق وطهارة، تربية عناصرها من مصدر النور الأول في السموات والأرض، نور الله تعالى الذي أشرقت به الظلمات، في السموات والأرض، والقلوب والضمائر، والنفوس والأرواح [٢]

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة

إن لسورة النور أهدافاً عظيمة وأغراضاً سامية، وذلك لكثرة ما ورد فيها من أحكام ومواضيع عدة ومن هذه الأهداف ما يلي [٣]:

أولاً: الإعلان الحاسم الذي تبدأ به السورة، ويليه حد الزنا وتقطيع هذه الفعلة، وتقطيع ما بين الزناة والجماعة المسلمة، فلا هي منهم ولا هم منها، ثم يليه بيان حد القذف وعلة التشديد فيه، واستثناء الأزواج من هذا الحد مع التفريق بين الزوجين بالملاعنة، وكل ذلك للمحافظة على الأسرة، والتي هي النواة الأولى في المجتمع.

---

(١) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين،٥/ ١٦٧.

(٢) انظر:" في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٢٤٨٦/٤.

(٣) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٤٠/١٨، و"تفسير القرآن الكريم"، عبد الله شحاته، ٣٥٣٠/١٨، و" في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٢٤٨٦/٤، ٣٥٣١.

ثانياً: رسم وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنب النفوس أسباب الإغراء والغواية، فيبدأ بآداب البيوت والاستئذان على أهلها، والأمر بغض البصر والنهي عن إبداء الزينة إلا أمام المحارم، والحض على إنكاح اليتامى والتحذير من دفع الفتيات إلى البغاء، وكلها أسباب وقائية لضمان الطهر والتعفف في عالم الضمير والشعور، ودفع المؤثرات التي تهيج الميول الحيوانية، وترهق أعصاب المتحرجين المتطهرين، وهم يقاومون عوامل الإغراء والغواية .

ثالثاً: تشريع الحدود لتطهير المجتمع من الفساد، وذلك مثل حد الزنا، وحد القذف، وحكم اللعان.

رابعاً: عدم الترويج للإشاعات والفتن والخوض في أعراض الناس وذلك من خلال عرض حادثة الإفك التي تعرضت لها السيدة عائشة رضي الله عنها وبراءتها مما ألصقه المنافقون بها.

خامساً: توضيح أسس الآداب الاجتماعية التي ينبغي على المؤمنين التمسك بها في حياتهم الخاصة والعامة، كالاستئذان عند دخول البيوت، وغض البصر، حفظ الفروج، وحرمة اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات وغيرها من هذه الآداب.

سادساً: الحث على تزويج الشباب، وتحرير العبيد بمكاتبتهم وإعتاقهم.

سابعاً: تحذير المنافقين والمخالفين لأمر رسول الله ﷺ في الطاعة والتحاكم، وتصوير أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم، ووعد الله ﷻ لهم بالاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين، والنصر على الكافرين

المطلب السادس: المناسبة في سورة (النور)

أولاً: مناسبة سورة (النور) لما قبلها (المؤمنون):

إن القرآن الكريم وحدة موضوعية، تتناسق سوره مع بعضها البعض، وترتبط مع بعضها البعض حتى تصبح كالبناء الواحد في الموضوعات والأغراض، وهذا الارتباط الوثيق بين سورة (النور) وسورة (المؤمنون) يظهر من عدة وجوه:

١- إن الله ﷻ بين في مطلع سورة (المؤمنون) صفات المؤمنين، ومن هذه الصفات: حفظ الفروج، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**﴾ [المؤمنون:٥] ، وأتبعها بذكر من ابتغى وراء ذلك ووصفهم بالعادين عند قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ**﴾ [المؤمنون:٧] ، وبين الله ﷻ في سورة النور أحكام من لم يحفظ فرجه واعتدى على حدود الله تعالى مثل الزانية والزاني وما اتصل بذلك من حد القذف وحكم اللعان، وقصة حادثة الأفك، والأمر بغض البصر والتشجيع على نكاح العفائف، وذلك لنشر العفاف وكثير من الأحكام.

٢- أن الله ﷻ لما أخبر في سورة (المؤمنون)، أنه لم يخلق الخلق عبثاً قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥] ، وأن هذا كان لحكمة وهي التكليف بالأوامر والنواهي، ذكر في سورة (النور) جملة من هذه الأوامر والنواهي التي تعين صاحبها على القيام بوفق ما أراده الله تعالى [١].

ثانياً: مناسبة سورة (النور) لما بعدها (الفرقان):

سورة (النور) لها مناسبة وارتباط وثيق مع سورة (الفرقان) ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

١- لما ختم الله ﷻ سورة (النور) بسعة الملك، وشمول العلم، وبيان عظمة الله تعالى والتهديد لمن تجاوز في الحد بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٦٤] ، افتتح الله تعالى سورة الفرقان بما يشبه هذه الخاتمة [٢].

٢- سورة النور تضمنت كثيرا من الأحكام والتشريعات... وهذه الأحكام بمجموعها تعتبر فرقاناً يقوى به الإيمان، ولا ينكره مقر بالله ورسوله قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] ، وهو القرآن المفرق بين الحق والباطل المشتمل على الأحكام[٣].

٣- بين الله تعالى في سورة النور موقف المنافقين من الرسول ﷺ وعدم طاعتهم له، وعدم التزامهم بحكمه، وأكد في سورة (الفرقان) أنه رسول الله وأنه تعالى اصطفاه، وأنه يحكم بما أنزل الله تعالى وهو القرآن الكريم[٤].

ثالثاً: مناسبة أول سورة (النور) بآخرها:

بدأت السورة بإعلان قوي عن تقرير نزول السورة، وفرضها بكل ما فيها من أوامر وتعاليم، وحدود وتكاليف، وبكل ما فيها من آداب وأخلاق قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:١] ، فهذا البدء يدل على مدى اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقي في الحياة، ومدى عمق هذا العنصر وأصالته في العقيدة الإسلامية، ثم تأتي خاتمة السورة بإشعار

---

(١) انظر: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، لشهاب الدين الألوسي، ٢٧٣/٩، و"التفسير المنير"، لوهبة الزحيلي، ١١٨/١٨-١١٩، و"نظم الدرر"، للبقاعي، ٢٣٠/٥.

(٢) انظر: "روح المعاني"، للألوسي، ٤٢٠/٩، و"نظم الدرر" للبقاعي، ١٠٤-١٠٦.

(٣) انظر: "نظم الدرر"، للبقاعي، ٢٩١/٥-٢٩٣.

(٤) انظر: "المرجع السابق نفس الجزء والصفحات.

القلوب المؤمنة أن لله ما في السموات والأرض، وبإشعار القلوب المنحرفة بأن الله تعالى مطلع عليها، رقيب على عملها، وهكذا تختتم السورة بتعليق القلوب والأبصار، وتذكير بخشية الله ﷻ وتقواه فهو الضمان الأخير والحارس لتلك الأوامر والنواهي، وهذه هي الآداب.

المبحث الثالث

تعريف الأهداف والمقاصد وأهميتها

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف.

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

المطلب الأول: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الأهداف لغة:

هَدَف: من أَهْدَفْتُ ودنوت منك والاستقبال والانتصاب، من انتصب الأمر؛ أي استوى واعتدل، يقال أَهْدفَ لي الشيء؛ أي قَربوا؛ فهو مستهدف؛ وفي حديث أبي بكر: قال له ابنه عبد الرحمن: "لقد أَهْدَفْتَ لي يوم بدر فضِفْتُ [1] عنك"؛ (**هَدَف** والجمع أهداف، ومنه سمي الغرض هَدَفاً وهو المُنْتَضَلُ فيه بالسهام، ما وضع في الهدف ليرمى والغرض: الهدف ويسمى القرطاس غرضاً وهدفاً على الاستعارة) [2].

الأهداف اصطلاحاً:

الأهداف هي الغايات والرغبات التي تسعى لتحقيقها، منذ نقطة البداية، لأي مخطط أو منهج عاجلةً كانت الأهداف، أم آجلة، واضحة أم خفية، معلومة أم مجهولة [3].

التعريف الشامل:

هي السعي الحثيث لتحقيق المصالح التي تعود على العباد في الدنيا والآخرة، مستخدماً في ذلك كافة الوسائل المشروعة، ضمن خطة مدروسة للوصول إلى نتائج مرجوة ومشرفة" فمثلاً المسلم مأمور بالصلاة وهي فرض عليه، فتكون الصلاة مقصداً وهدفاً، ولا يمكن تحقيقها إلا بوسيلة مشروعة ألا وهي الوضوء .

إن الأهداف محصورة في عموم السلوكيات البشرية التي تتناسب والقدرات الشخصية، المكونة من الأبعاد العقلية والوجدانية والسلوكية والأخلاقية والاجتماعية، بحيث تتجاوب مع الأهداف القرآنية، والتي لا تتحقق إلا من خلال الالتزام بشرع الله تعالى، المرجعية الأساس للمسلمين، فالإسلام ينظر إلى هذه الأبعاد على أنها المحور والمرتكز لتحقيق الأهداف القرآنية وخاصة: الفكرية والإيمانية، حتى تسلم النفس من الهوى والشيطان، من خلال ضبط الشهوات، لئلا تجنح إلى السوء، وتسعى لسمو النفس بفكرها وحسن إيمانها، لتكون بداية لتحقيق المقاصد القرآنية[4].

---

(١) ضفت: من ضاف على الشيء ضَوفاً: عدل، وضفت: عدلت، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٧٥/٢، وانظر: "غريب الحديث والأثر"، لابن قتيبة الدينوري، ٤٩٣/٢.

(٢) انظر: "تاج العروس من جوهر القاموس"، محمد مرتضى الزبيدي، ٦١٧٤/١.

(٣) "الأهداف السلوكية"، د. مهدي محمود سالم، ص١٤ بتصرف.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٥ .

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

إن الوقوف على مقاصد الشريعة ومعرفة عللها وأحكامها، والتي هي جزء من المقاصد القرآنية، يجعل النفس تطمئن بمباشرة اليقين والاستبصار، بعيدا عن أي ظن، لأن مصدرها العليم الخبير، فبين المقصد من خلق الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الداريات:٥٦] وبما أن العبادة قائمة على وجود الإنسان وبقائه حيًّا، وبالتالي، فالمقاصد القرآنية تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسم متعلق بالله وتوحيده، وقسم متعلق بمن سيوحد الله ويعبده، وقسم متعلق بمكان الإنسان واستمرار حياته وما يضمن سلامته، ولكي تتحقق لدى الإنسان المقاصد الثلاثة لا بد من الالتزام بشعائر الإسلام والعمل الجاد بالعقيدة الصحيحة، ليس شعارا يرفع، لا ليخدم أهدافا سياسية واقتصادية أو فكرية، أو مصالح ذاتية فحسب، وإنما قائم على مجموع مصالح الإنسان عموماً، فلا بد من توافق وترابط المقاصد القرآنية بدرجاتها الثلاث بعضها ببعض وهي: الضرورية، والمتمثلة بحفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، والحاجيَّات: التي ترعى المقاصد الخمسة، ومن ثم المصالح التحسينية: التي تكمل الضروريات والحاجيات[١].

أولاً: تعريف المقاصد لغةً:

قَصَدَ يَقْصَدُ قَصْدَاً فهو قَاصِدٌ وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:٩]، أي علي الله تبيين الطريق المستقيم، وطريق قاصد سهل مستقيم وسر قاصد سهل قريب وفي التنزيل العزيز: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة:٤٢]، أي غير شاق والقصد قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أي تجاهك، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتر يقال فلان مقتصد في النفقة [٢].

ثانياً: تعريف المقاصد اصطلاحاً:

إن العلماء لم يحددوا معنى القصد أو المقصد اصطلاحاً، على الرغم من أنهم نصوا على جملة من المقاصد في مصنفاتهم، وذكروا بعضاً من تقسيماتها، كذكرهم الكليات المقاصدية الخمس (حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال)، وذكر المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، وبعض الحكم والأسرار والعلل [٣] كما أنهم عبروا عن المقاصد بألفاظ مختلفة، وتعابير متباينة على الرغم من كونها دالة عليها، وهذا يفهم من سياقها، فقد عبر بعضهم عنها بالحكمة المقصودة بالشريعة

---

(١) اختصار: موقع الراية http://www.rayah.info/browse.php?comp=viewArticles&file=article&sid=2613

(٢) "لسان العرب"، لابن منظور، ٤٥٣/٣.

(٣) انظر: "مقاصد الشريعة الإسلامية"، محمد الطاهر ابن عاشور، ص٧٥، و"علم المقاصد الشرعية"، د. نور الدين ابن مختار الخادمي، ص٥١.

وقطعه، ومنهم من عبر عنها بلفظ دفع المشقة ورفعها، أو رفع الحرج والضيق وتقرير التيسير والتخفيف، وتارة الكليات الخمس الكبرى [١].

وقد رجح بعض أهل العلم من المعاصرين، أن أول من عني ببيان معنى المقاصد اصطلاحاً هو: العلامة محمد الطاهر بن عاشور في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية)[٢]، وسنسوق بعضاً من التعاريف التي وضعها العلماء للمقاصد حتى يتسنى لنا إدراك معناها ومفهومها[٣].

- عرف المقاصد ابن عاشور بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة، وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظاتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام" [٤].
- وعرفها الدكتور يوسف القرضاوي بقوله: "الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراً وجماعات وأمة" [٥].
- وعرفها الدكتور أحمد الريسوني بقوله: "هي الغايات التي وضعت الشرعية لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد" [٦].
- وعرفها نور الدين الخادمي بقوله: "المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت المعاني حكماً جزئياً، أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد وهو تقرير عبودية الله ﷻ، ومصلحة الإنسان في الدارين" [٧].

---

(١) انظر: "الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته"، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ٤٨/١.

(٢) "بين علمي أصول الفقه والمقاصد"، الشيخ محمد الحبيب الخوجة، ص١٢٠.

(٣) "المفاهيم مفاتيح الفهم ومرايا الحضارة"، د. سيف الدين إسماعيل، مقال منشور على موقع إسلام أون لاين.

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، ص١٦٥.

(٥) "دراسة في فقه المقاصد بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية"، د. يوسف القرضاوي، ص٢٠.

(٦) "نظرية المقاصد عند الشاطبي"، د. أحمد الريسوني، ص٧.

(٧) "الاجتهاد المقاصدي حجيته، ضوابطه، مجالاته"، د. نور الدين الخادمي، ص٥٢، و"علم المقاصد الشرعية"، د. نور الدين الخادمي، ص١٧.

الخلاصة:

إن المقاصد الشرعية هي جملة ما أراده الشارع الحكيم، من مصالح تترتب عليه الأحكام الشرعية، فالصوم هدف ومصلحته المتمثلة ببلوغ التقوى مقصد، كما أن الجهاد هدف فمصلحته المتمثلة بدرء العدوان والذب عن الأمة مقصد، كذلك الزواج هدف ومصلحته التي هي غض البصر، وتحصين الفرج، وإنجاب الذرية، وإعمار الكون وهذه مصالح كثيرة ومتنوعة، وهي تجمع في مصلحة كبرى، وغاية كلية، "هي تحقيق عبادة الله ﷻ وإصلاح المخلوقين وإسعادهم في الدنيا والآخرة" وهذا هو المقصد الأساسي والأسمى [١].

المطلب الثالث: الفرق بين الأهداف والمقاصد

من خلال ما سبق من تعريفات اصطلاحية لكل من الأهداف والمقاصد، نلاحظ الفرق بين كلا الاصطلاحين، وتتمثل بالتالي:

أولاً: الأهداف: [٢].

لكل فكرة انطلاقة ومسار وهدف، "فالانطلاقة" هي البداية السليمة التي تؤدي إلى المسار السليم، والمسار السليم يوصل إلى الهدف النبيل، وبذلك يكون الهدف ليس بداية، وإنما على المسلم من بداية حياته أن يضع له هدفاً، ويسعى للوصول إليه .

- الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعتني في صياغة القيم والاتجاهات والتراث والآمال.
- الأهداف تقوم على تطوير فلسفة المجتمع الممنهجة وفق سياستها التربوية.
- الأهداف العامة والخاصة لا بد أن ترتبط بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.
- الأهداف منها ما هو معلوم التحقيق، ومنها ما هو مجهول، غير قابل للتحقيق .
- الأهداف هي التي يرغبها الإنسان، ويسعى من خلال تحقيقها إلى تنظيم سلوكه الإنساني.
- إن الأهداف تكون قبل نتاج أي عمل، لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.
- كما أنها عبارات تحاول أن تعطي شكلاً واتجاهاً لمجموعة من المقاصد التفصيلية في المستقبل القريب أو البعيد.
- يختلف تعريف الهدف تبعاً لنوعيته، ومستوى عموميته.
- الأهداف تنقسم إلى عدة أهداف سلوكية تطبيقية، ومعرفية مهارية، ووجدانية عاطفية [٣].

---

(١) "الاجتهاد المقاصدي حجيته، ضوابطه، مجالاته"، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ص١٨-١٩ بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحات .

(٣) انظر: "الأهداف السلوكية"، د. مهدي محمود سالم، ص١٤-١٨ بتصرف.

ثانياً: المقاصد تتميز عن الأهداف بالتالي:

- المقاصد هي الحكمة المقصودة والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.
- المقاصد هي الحق المقصود لذاته.
- تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل، ودرء المفاسد ودفع المضار، المقصود الأساس من وراء أي عمل.
- المقاصد هي الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراً وجماعات.
- المقاصد هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة.
- المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام القرآنية والشرعية المترتبة عليها، سواء كانت تلك المعاني حكماً جزئياً أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن تقرير ونتاج واحد هو: العبودية لله ومصلحة الإنسان في الدارين [١].
- المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها اسْتُخْلِفَ الإنسان على الأرض، وهي (التوحيد، والتزكية، والعمران) [٢].

ولتوضيح ذلك:

إن لكل عمل هدفاً يضعه الإنسان نصب عينيه، ويسعى بكل السبل المتاحة للوصول إليه، وما وضعت هذه الأهداف إلا لمقصد نبيل وشريف، أراده الله ﷻ لعباده، ليصلوا إلى المرتقى والمكانة التي تليق به كخليفة الله تعالى في الأرض.

- والمقصد هو الطريق الذي يجب أن يسلكه الإنسان في تحقيق الأهداف .
- والهدف هو الغاية التي يرغب في الوصول إليها، فإذا تحققت أصبحت وسيلة للوصول إلى هدف آخر .

وعلى هذا التعريف تكون المقاصد مقدمة للأهداف، أما إذا اعتبرنا الهدف هو مقدمة للوصول إلى المقصد فيكون بذلك الهدف: هو الطريق الموصل للمقصد .

---

(١) http://www.islamweb.net/ver2/library/ummah_ShowChapter.php?lang=A&Babid4&Chapterid=4&book، اقتباس واختصار بتصرف من موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) انظر: مقاصد الشريعة، مجموعة من المؤلفين، حوار مع د. طه جابر العلواني، ص٨٢.

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

إن علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال القرآن الكريم، وهو التدبر والهداية، فهذا القرآن أنزل لهداية الناس، وهداية الناس لا تتحقق على وجه الكمال إلا بالتأمل الدقيق في القرآن الكريم، ومعرفة ما أنزل القرآن من أجله، وذلك لا يتحقق ويتبين إلا بالنظر في مقصود سور القرآن، فعندما ننظر إلى تفاصيل ما في هذه السور، نهتدي إلى المقصود منها، فالله ﷻ أمرنا بالتدبر لمعرفة مراد الله ﷻ، من كلامه والعمل به [١].

قال البقاعي: "إن من عرف المراد من اسم السورة، عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها، وقصصها وجميع أجزائها، فإن كل سورة لها مقصد واحد، يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقامات الدالة عليه، على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإن كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه"، ثم يقول في بيان أثره في السورة: "تكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغرّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها، ومن حقق المقصود من السورة عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها" [٢].

ويقول محمد دراز [٣] في كتابه النبأ العظيم مؤكداً ذلك ومجليه: "لماذا نقول إن المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقها تمتد شبكة من الوشائج تحيط بها عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعه غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية .

---

(١) "أهمية علم المقاصد"، د. محمد بن عبد العزيز الخضيري، الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن بتصرف.

(٢) انظر: "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، البقاعي، ص ١٤٩.

(٣) محمد دراز: فقيه متأدب مصري أزهري، كان من هيأة كبار العلماء بالأزهر، له كتب منها "الدين"، دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام، وكتاب "النبأ العظيم"، "ومدخل إلى تفسير القرآن"، (ت: ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م)، انظر: الأعلام للزركلي، ٢٤٦/٦.

إن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصلٌ في فهم معاني كلام الله تعالى.

إن معرفة مقاصد السور سبيل للسلامة من الخطأ أو تفسير كلام الله تعالى على غير مراده [١] .

إن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يجعل كلام الله تعالى مؤتلفاً منتظماً على نحو كمال نظمه ومعانيه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص، وكالعقد المتناسق.

تنتظم آيات السورة، وتظهر المناسبات بين آياتها بمعرفة مقصد السورة، فتكون لحمة واحدة يجمعها معنى واحد[٢].

ربط الآيات بالواقع يتحقق بمعرفة علم مقاصد السور، والمتدبّر في مقصد السورة تعمقه ومعاينته تزيد من تفاعل المفسّر والدَّارس، ويساعده على التطبيق.

إنَّ هذا العلم يرسخ الإيمان، ويُنير القلب، وتقرُّ به العين، ويُوضح ما فيه من روائع هذا العلم العظيم.

إدراك المقاصد يساعد الدعاة والباحثين على الفهم الصحيح لغايات كلام رب العالمين، وتحقيق أهدافهم، فلا ينشغلون بالمظاهر الفارغة الجوفاء، ويحفظهم من الزلل والاعوجاج[٣].

---

(١) النبأ العظيم، محمد دراز، ١٨٨/١.

(٢) انظر: "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، للبقاعي، ص١٤٩.

(٣) كتاب" علم مقاصد السور"، لمحمد عبد الله الربيعة، ص١٣.

المبحث الرابع

تعريف الدراسة التحليلية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.

المطلب الأول: التعريف بالدراسة التحليلية

الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً:

إن مصطلح الدراسة التحليلية مركب تركيباً وصفياً، من كلمتين هما (الدراسة) و(التحليلية)، ولكي يتنسى لنا الوقوف على المعنى اللغوي لهذا المركب، لا بد من معرفة المعنى اللغوي لكل كلمة على حدة.

أولاً: تعريف الدراسة لغة:

هي مصدر مأخوذ من الفعل (درس) ومنه قوله تعالى: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ [آل عمران:٧٩] ، ﴿**وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ**﴾ [الأنعام:١٠٥] ، وبعد النظر في بعض المفاهيم اللغوية للوقوف على المعنى اللغوي لكلمة (الدراسة) كانت خلاصة القول كما يأتي:

(درس) درساً ودروساً، عفا وذهب أثره، وتقادم عهده، والثَّوْب ونَحْوه أخلق وبلى، والبَعير جرب، والمرأة حاضت فهي دارس، وجمع: درس، ودوارس، والكتاب ونحوه درساً ودراسة قرأه، وأقبل عليه ليحفظه، ويفهمه.

(تدارس) الكتاب ونحوه، درسه وتعهده بالقراءة والحفظ، لئلا ينساه، والطلبة الكتاب درسه كل منهم على الآخر [١].

ومنه: " تدارسوا القرآن، أي اقرأوه، وتعهدوه، لئلا تنسوه، يقال: درس يدرس درساً، ودراسة، وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد بالشيء" [٢].

وخلاصة القول:

إن الناظر في تصريفات مادة (درس) يتبين أن معناها اللغوي لا يخرج عن كون المقصود عن الحفظ والمداومة، على القراءة، بالدرس، والكشف والبيان، والحفظ لئلا ينساه، والتوضيح وإزالة اللبس والإشكال عن اللفظ المراد، والمجيء بلفظ أيسر وأسهل من لفظ الأصل.

ثانياً: تعريف التحليلية لغة:

أصلها من الفعل الرباعي (حَلَّل) على وزن (فَعَّل) ليكون مصدره على وزن (تَفْعيل).

---

(١) "المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية المعاصرة"، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ٢٧٩/١.

(٢) "النهاية في غريب الحديث والأثر"، فخر الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الجزري، ١١٣/٢.

حلَّل، تحليل مفرد، جمع تحليلات، ومصدر حلَّل، عملية تقسم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصره [١].

قال ابن منظور[٢] في الفعل الثلاثي (حلَّ): "حلّ العقدة يَحُلُّها حلاً: فتحها ونقضها فانحلَّت" [٣]، "(وتحليلية) مفرد اسم مؤنث منسوب إلى تحليل، (دراسة تحليلية)، يتخذ التحليل أساساً لها" [٤].

ومما سبق من بيان المعنى اللغوي لشقي المركب، يمكن تعريف مركب (الدراسة التحليلية) لغة بأنه: "الكشف والبيان عن أجزاء الكلام لمعرفة خباياه، مع المجيء بلفظ أيسر، وأسهل من لفظ الأصل.

التحليل اصطلاحاً:

هو إرجاع ظاهرة مركبة إلى أبسط عناصرها، أو أجزائها، فيستخدم في علوم إنسانية، وطبيعية كثيرة بمعان متعددة لكنها جميعاً تربط بهذا المعنى العام.

في ضوء ما سبق يتبين أن (الدراسة التحليلية) هي: العلم الذي يكشف فيه المفسر أو الدارس، عن معاني آيات القرآن الكريم من خلال المباحث التفصيلية.

وهي تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، وتحليل الآية تحليلاً يفكُّ ما صَعُب فهمه، والتعمق في أسرارها، للتوصل لغايتها، ومعرفة المراد منها.

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية

"البحث العملي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه، والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من اهم ما يجب الاعتناء به، والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله" [٥].

---

(١) "مجمع اللغة العربية"، أحمد مختار عمر، ٥٥٠/١.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن القاسم، ابن منظور، أبو الفضل الأنصاري الأفريقي المصري، ولي قضاء طرابلس، من أشهر كتبه: لسان العرب في اللغة، توفي سنة ٧١١هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ٢٤٨/١.

(٣) "لسان العرب"، ابن منظور، ٢٠٣/١١.

(٤) "تكملة المعاجم العربية"، رينهارت بيتر آن دوري، ٢٦٠/٣.

(٥) "مباحث في علوم القرآن" للقطان، ص ٤٣٩.

فالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد القرآن الكريم تتناول كلام الله تعالى لبيان مراده من كلامه والغاية منها؛ لذلك يتعين على أي باحث أو عامل بالخوض في هذا المجال وأن يعيش معه أن تتوافر فيه متطلبات هذه الدراسة لخدمة كتاب الله ﷻ وهي على النحو الآتي:

أولاً: متطلبات ذاتية مطلوبة في صاحب الدارسة: (١)

١- أن يكون صحيح العقيدة؛ لأن صحة العقيدة وسلامتها لها أثر كبير في نفس صاحبها، وما يحمله المرء من أفكار ومعتقدات تظهر في كلامه منطوقاَ ومكتوباَ، ولا بد أن تؤثر على دراسته وأهدافه التي يستخلصها أثناء بحثه.

٢- أن يكون مؤمناً بالمقصد لينال التسديد، ويكون تقياَ، مقبلاَ على الطاعات، وقاطعا لعلاقته مع المنكرات والمعاصي، ليحظى بتوفيق الله سبحانه، ويفتح عليه ربه من بركاته، فهو يعمل في أجلَ المجالات وأعظمها.

٣- التجرد من الهوى؛ لأن الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم، وإثبات صحتها والتعصب لها ولو كانت على غير حق.

٤- حسن الخلق والتواضع ولين الجانب، فالتكبر يحول بين العالم والانتفاع بعلمه، فلو كان علمه نافعاً لنفعه.

٥- أن يتحلى بالتأني والروية في حديثه، فعليه أن يتأنى حتى يحسن في دراسته ويقويها، ويلم بكل نافع مفيد أيضاً ليحذر أن يسرد كلامه سرداً سريعاً لا يفهمه القارئ والمتلقي، بل عليه أن يفصل الكلام ويبيّنه ويوضحه فيكون مفهومّا.

ثانياً: متطلبات علمية في صاحب الدراسة: (٢).

١- أن الدراسة التحليلية تنصب على معرفة دلالة الكلمة اللغوية، ودلالتها الشرعية .

٢- التعرف على الرابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في السورة .

٣- التعرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية، وبيان وجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية، وإعجاز القرآن .

فالمفسر لا يستطيع أن يعبر عن موضوع الآيات وإبراز جوانب الهداية منها ما لم يلم بهذه التفصيلات.

٤- العلم باللغة العربية وفنونها من أهم الأدوات المطلوبة في الدّارس، ليعلم مدلولات الألفاظ، وهو يحتاج لمعرفة علم اللغة من أفعال وأسماء وحروف، فيأخذها من كتب اللغة المتخصصة،

---

(١) انظر: "مباحث في علوم القرآن، للقطان"، ص ٣٣١- ٣٣٢.

(٢) انظر: "مباحث في التفسير الموضوعي"، مصطفى مسلم، ص٥٢.

وقال أبو حيان الأندلسي: "اعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان" [١].

٥- معرفة علوم القرآن لأنها مفتاح للتفسير، ويستخدمها الدارس لكتاب الله الكريم لمعرفة مدلولات الآيات، وعلوم القرآن وتشمل أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والقراءات إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن.

٦- "أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل منه في موضع فإنه قد فُصّل في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر" [٢].

٧- أن يفسر من السنة والأحاديث النبوية الصحيحة منها، فإن سنة النبي ﷺ شارحة للقرآن موضحة له، فالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، إنما ما يصدر منه هو من ربه، والسنة مبينة لما في القرآن الكريم ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، [النحل: ٤٣-٤٤] ، وقال ﷺ: **(ألا إني أُوتيتُ القرآن ومِثْلَه مَعَهُ)** [٣] يعني: السُّنة، والأمثلة على أن السنة موضحة للقرآن كثيرة منها تفسير السبيل بالزاد والراحلة، وتفسير الظلم بالشرك[٤].

٨- فإذا لم يجد التفسير من القرآن أو السنة، يرجع إلى أقوال الصحابة الذين شاهدوا النبي ﷺ وعايشوه، وشهدوا الأحوال التي نزلت فيها الآيات، فإذا لم يجده فيطلب ذلك من أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، والحسن البصري، وغيرهم من التابعين الذين لقوا أصحاب النبي ﷺ وتلقوا منهم، وتكلموا بعض الأحيان بالاستنباط والاستدلال، أو يأخذ من الأئمة المفسرين الذين برعوا في تفسير القرآن [٥].

---

(١) تفسير "البحر المحيط"، لأبي حيان الأندلسي ١٠٩/١.

(٢) "مباحث في علوم القرآن"، للقطان، ص ٣٣٠.

(٣) "مسند أحمد"، باب حديث المقداد بن معد يكرب الكندي ٤١٠/٨، ح (١٧١٧٤) قال عنه الألباني: إنه حديث مشهور صحيح، انظر: موسوعة الألباني في العقيدة ٣٢٥/٢.

(٤) انظر: "مباحث في علوم القرآن"، ص ٣٣٠.

(٥) انظر: "المرجع السابق، نفس الصفحة.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون"

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من الآية (١-٢٢).

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من الآية (٢٣-٥٠).

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من الآية (٥١-٩٠).

المبحث الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من الآية (٩١-١١٨).

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من آية (١-٢٢)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: خصال المؤمنين.

المقطع الثاني: من أدلة وجود الله ﷻ خلق الإنسان ومراحله.

المقطع الثالث: خلق السموات وإنزال الأمطار وتسخير الأنعام.

المقطع الأول: خصال المؤمنين

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١].

أولاً: المناسبة:

لما ختمت سورة (الحج) بنداء الذين آمنوا، وأمرهم بأمور الدين الخاصة والعامة، ناسب أن تفتتح سورة (المؤمنون) بذكر أوصاف هؤلاء المؤمنين الذين كتب لهم الفلاح، لأنهم فعلوا أمر دينهم، وكذلك ختمت سورة (الحج) بالصلاة والزكاة والعصمة به ﷻ وابتدأت هذه السورة بما يثمر الاعتصام به ﷻ في الصلاة وغيرها [١].

ثانياً: سبب النزول:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ **(كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت** ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [المؤمنون:٢] ، **فطأطأ رأسه)** [٢].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

﴿ **أَفْلَحَ** ﴾ من الجذر الثلاثي (فَلَحَ)، ولها أصلان صحيحان أحدهما يدل على شَقٍّ والأخر على فوز وبقاء، فالأول: فلحت الأرض: شققتها، والفلاح: البقاء والفوز، وقول الرجل لامرأته استفلحي بأمرك، معناه (فوزي بأمرك)، والفلاح: السحور [٣].

وقال بعضهم: الفلاح في الدنيا البقاء، أن يكون عمره مديداً، والغنى والعز. وقال بعضهم: أما الفلاح في الآخرة فهو: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، وهذا ينطبق على أهل الآخرة [٤].

---

(١) انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، البقاعي، ١٠٥/١٣.

(٢) "المستدرك على الصحيحين"، للحاكم النيسابوري، باب تفسير سورة (المؤمنون)، ٤٢٦/٢، ح(٣٤٨٣)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، قال الذهبي: حديث مرسل .

(٣) انظر:" مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٥٠/٤.

(٤) "تفسير سورة المؤمنون"، أ.د.أحمد راتب النابلسي .

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: الإيمان لغة له عدة معان:

١- **التصديق:** قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ [يوسف:١٧] ، أي بمصدق لنا، وقال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت:٢٦] ، أي صدقه.

٢- **الأمن والأمانة:** وقد آمنت، فأنا آمن، وأمنت غيري، من (الأمن)، والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والتصديق ضد التكذيب ... أمن فلان يأمن أمناً، وأمنةً، وأماناً فهو آمن، وأمن، من باب فَهِم وسَلِم، وقيل أمن أولياؤه عذابه. (١).

الإيمان اصطلاحاً: "هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان" (٢).

الإيمان بالله تعالى: "هو الإيمان بوجود الله تعالى ﷻ وأنه تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه، وأنه وحده المستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، وهو المتصف بصفات الكمال، والمسمى بأعمال الجلال، المنزه عن كل نقص وعيب" (٣).

﴿خَاشِعُونَ﴾ "الخشوع هو السكون والاخبات، وخشوع القلب: ضَراعته وسكونه ويتبعه سكون الجوارح"(٤).

وجاء في تفسير البغوي معان متعددة منها:(٥).

١- قال ابن عباس: مخبتون أذلاء.

٢- قال الحسن وقتادة: خائفون .

٣- قال مقاتل: متواضعون .

٤- قال مجاهد: خفض الصوت.

٥- والخشوع قريب من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في القلب.

وخشع: "الخاء والشين والعين أصل واحد، يدل على التطامن، يقال خشع إذا تطامن وطأطأ رأسه وهو قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في الصوت والبصر وعلاقة ذلك

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٤١٤/١٠، ولسان العرب، ابن منظور، ١٤٠/١، ومختار الصحاح، الشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، ص٢٦.

(٢) أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها، أ.د. محمد أحمد الخطيب، ص٤٤.

(٣) شرح أصول العقيدة الإسلامية، د. نسيم شحدة ياسين، ص٣٨.

(٤) "مخطوطة الجمل"، لحسن عزالدين الجمل، ٤١/٢.

(٥) "انظر: "تفسير البغوي"، ٣٥٦/٣.

بالخشوع في الصلاة التدبر لمعاني الصلاة، والتفكر في عظمة الله ﷻ " [1].

﴿اللَّغْوِ﴾ اللام والغين والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما: يدل على الشيء لا يعتد به، والآخر على اللهج بالشيء، فالأول اللغو: ما لا يعتد به من أولاد الإبل، في الدية...، والثاني: قولهم لغى بالأمر إذا لهج به [2].

﴿مُعْرِضُونَ﴾ من الجذر الثلاثي عَرَض، والعَرَض: ما يعرض من أحداث الدهر، ويزول فلا ثبات له وهو كذلك ما يصيبه الإنسان من حظ في الدنيا، ويعترض له ويزول فلا يثبت [3].

﴿العَادُونَ﴾ له أصل واحد يدل على تجاوز في الشيء، وتقدم لما ينبغي أن يُقتصر عليه والعادي: الذي يعدو على الناس ظلماً وعدواناً، والعُدوان: الظلم والصراخ، والاعتداء مشتق من العدوان [4]، والعادون: المتجاوزون الحلال إلى الحرام، وهم المتجاوزون الحد في المعاصي [5].

﴿رَاعُونَ﴾ الراء والعين والحرف المعتل أصلان: أحدهما المراقبة والحفظ، والآخر: الرجوع [6]، وراعون: من رَعَى الشيء يرعاه رعياً ورعاية: حاطه وحفظه، فهو راعٍ وهم راعون [7].

﴿الفِرْدَوْسِ﴾ الوادي الخصيب، أو الروضة، وقد وردت الفردوس مضافة إلى الجنات، وغير مضافة في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧] [8].

رابعاً: البلاغة: [9].

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قد: لإفادة التحقيق، والإخبار بصيغة الماضي لإفادة الثبوت والتحقق.

---

(١) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٨٢/٢.

(٢) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٥٥/٥، و"مخطوطة الجمل"، لحسن عز الدين الجمل، ١٧٢/٤.

(٣) "مخطوطة الجمل"، لحسن عز الدين الجمل، ١١٧/٣.

(٤) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٤٩/٤.

(٥) "مخطوطة الجمل"، لحسن عز الدين الجمل، ١٠٩/٣.

(٦) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٠٨/٢.

(٧) "مخطوطة الجمل"، لحسن عز الدين الجمل، ٢٠٣/٢.

(٨) انظر: المرجع السابق، ٢٤٩/٣.

(٩) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٨/١٨-٩، و"إعراب القرآن وبيانه"، لمحيي الدين درويش، ٤٩٧/٦-٤٩٨.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ الآيات فيها تفصيل بعد إجمال.

(المؤمنون، خاشعون، معرضون، فاعلون، حافظون، العادون) سجع لطيف غير متكلف.

﴿الوَارِثُونَ﴾ استعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ فيها طباق إيجاب فقد جمع الله ﷻ للمؤمنين في هذا الوصف بين الفعل والترك، إذ وصفهم بالخشوع في الصلاة، وترك اللغو، وهذا كله من طباق الإيجاب المعنوي.

خامساً: الإعراب:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون:٥-٦].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

١- **الوجه الأول:** في موضع نصب بـ (حافظون) في الآية قبلها.

٢- **الوجه الثاني:** أن تكون منصوبة في موضع حال، أي حفظوها في كل حال إلا في هذه الحال(١).

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

١- **المعنى الأول:** بدأت هذه السورة ببيان جملة من صفات المؤمنين المفلحين الذين يرثون الفردوس ويخلدون فيها، ومن هذه الصفات: حفظهم لفروجهم، أي: من اللواط والزنا ونحو ذلك، وبين أن حفظهم فروجهم لا يلزمهم عن نسائهم الذين ملكوا الاستمتاع بهن بعقد الزواج، أو بملك اليمين (٢).

٢- **المعنى الثاني:** أي والذين يحفظون فروجهم فلا يستعملونها في شيء إلا في أزواجهم التي أحلها لهم النكاح، أو في ملك أيمانهم، يعني: الإماء، فليس يلامون على ذلك، أي: يحفظونها في كل الأحوال إلا في حالهم مع أزواجهم فلا يلامون على ذلك (٣).

---

(١) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، العكبري، ٩٥٠/٢.

(٢) انظر: "الجدول في الإعراب"، لصافي، ١٦٠/١٨، و"أضواء البيان"، للشنقيطي، ٣٠٩/٥، و"التفسير الوسيط"، محمد سيد طنطاوي، ٣٠٠٠/١.

(٣) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، مكي بن أبي طالب، ٤٩٤٤/٧، و"إعراب القرآن وبيانه"، لدرويش، ٤٩٥/٦، و"معالم التنزيل"، البغوي، ٤١٠/٥.

أثر الاختلاف:

في كلا الوجهين كانت الحركة المقدرة في موضع نصب، ولكن مسوغ نصبها في الأول أنها في موضع نصب مفعول به، وفي الثاني أنها في موضع نصب حال مما أفاد معنيين.

سادساً: القراءات:

القراءات في قوله: (لأماناتهم):

١- قرأ ابن كثير [١]: (لأمانتهم) بغير ألف على التوحيد على إرادة الجنس [٢]:

٢- وقرأ الباقون: (لأماناتهم) بالألف على الجمع [٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن القراءة الأولى: (لأمانتهم) تشير إلى أمانة واحدة تجمع كل ما يحمله المسلم من أمر دينه و دنياه قولاً وفعلاً، وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد ، فهذه القراءة تعبر عن جنس الأمانة، والأمانة أعم من العهد، وكل عهد فهو أمانة، من قول أو فعل أو عقيدة [٤].

أما القراءة الثانية: (لأماناتهم) "فإنها تتعلق بجميع أمانات المؤمن التي تكون بينه وبين خالقه من العبادات كالصوم والصلاة وغيرها، وما تكون بين العباد كالودائع والصنائع، فعلى العبد الوفاء بجميعها" [٥].

وبالجمع بين القراءتين تتبلور صورة جميلة للمؤمن الذي يحفظ ويرعى جميع أماناته التي تكون بينه وبين خالقه، والتي تكون بينه وبين الناس، فهو بذلك يحفظ عهده وأمانته بحفظ أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، فالأمانة جنس واحد لا يقبل التجزئة، ولا التبعيض، إما أن تكون حافظاً للأمانة راعياً لها، أو أن تكون مضيعاً لها والعياذ بالله.

---

(١) ابن كثير المكي (٤٥-١٢٠هـ)، هو أبو معبد، عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله المكي الداري أصله فارسي وأحد القراء السبعة، ثقة إمام أهل مكة في القراءة، ولد بمكة، ولقي بها عدد من الصحابة، منهم: عبد الله بن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، كان فصيحاً مفوهاً، عليه السكينة والوقار عالم بالعربية، أخذ القراءة عنه خلق كثير، وأشهر من روى عنه بواسطة اثنان هما: البزي وقنبل، انظر: غاية النهاية، ومعرفة القراء.

(٢) انظر:" المبسوط في القراءات العشرة، أحمد النيسابوري، ٣١١/١.

(٣) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٨/٢،

(٤) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٠٧/١٢، وبحر العلوم، للسمرقندي، ٤٧٤/٢.

(٥) "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، للبغوي، ٤١٠/٥، وتفسير ابن عطية، ١٣٧/٤.

القراءات في قوله: (على صلاتهم):

١- قرأ حمزة [١] والكسائي [٢] وخلف [٣] (على صلاتهم) بغير واو على واحدة لإرادة الجنس [٤] .

٢- وقرأ الباقون (على صلواتهم) بالجمع [٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (على صلاتهم) بالإفراد على إرادة التوحيد، ليفاد الخشوع في جنس الصلاة، أي صلاة كانت، ووجه الإفراد أن الصلاة في الأصل مصدر كالعمل والأمانة، فذكر المصدر ويعني المحافظة على كل صلاة من الصلوات المفروضة [٦]،

أما قراءة (على صلواتهم) بالجمع لتفاد المحافظة على أعداد الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة، فالمحافظة على أعداد الصلوات كلها وعدم تضييع أي منها كما تفيد تعظيم الصلاة، وتعظيم من يحافظ عليها، وتعظيم جزائه من الله ﷻ [٧]، وبالجمع بين القراءتين يستشعر المؤمن أهمية المحافظة على الصلاة المفروضة إلى جانب النافلة، فبعد ثناء الله تعالى على المؤمنين في صلاتهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢] ، أثنى عليهم مرّة أخرى، لمحافظتهم على جميع صلواتهم، مما يدل على تفرد الصلاة واختصاصها معالم يختص به غيرها من العبادات على الإطلاق، كما يدل على جزيل ثوابها، وعظيم صفة المحافظة

---

(١) حمزة الكوفي (٨٠-١٥٦هـ)، هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي التيمي مولاهم الزيات القارئ العلامة، أحد القراء السبعة، إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم ثقة، حجة، مجوداً لكتاب الله، عالماً بالفرائض والعربية، حافظاً للحديث، أدرك بعض الصحابة أشهر من روى عنه خلف وخلاد، وأخذ عنه القراءة خلق كثير، انظر: معرفة القراء، لابن الجزري، ٦٦/١، وشذرات الذهب، لأبي الفلاح الحنبلي، ٢٤٠/١، وغاية النهاية، ٢٦١/١-٢٦٣.

(٢) الكسائي الكوفي (١١٩-١٨٩هـ)، هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان النحوي المكي الأسدي مولاهم الكسائي، وقيل له الكسائي لأنه أحرم في كساء، انتهت له رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، كان إمام الناس في القراءة في زمانه أعملهم بها، انظر: معرفة القراء، ٢٩٦/١، وغاية النهاية، لابن الجزري، ٥٣٥/١، وما بعدها، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ١٧٢/١.

(٣) خلف (١٥٠-٢٢٩هـ)، هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن خلف بن ثعلب الأسدي البزار أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، كان ثقة زاهداً عابداً عالماً، وقد اختار له قراءة انفرد بها، انظر: معرفة القراء، ٤١٩/١، وغاية النهاية، لابن الجزري، ٢٧٢/١-٢٧٣.

(٤) انظر:" المبسوط في القراءات العشرة، أحمد النيسابوري، ٣١١/١.

(٥) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

(٦) انظر:" المبسوط في القراءات العشرة، أحمد النيسابوري، ٣١١/١.

(٧) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٨/١٨، و"النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

عليها [1].

سابعاً: المعنى الإجمالي:

افتتحت سورة "المؤمنون" بالحديث عن صفات المؤمنين، وهذا افتتاح بديع لأنه من جوامع الكلم، فإن الفلاح غاية كل ساعٍ إلى عمله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي فازوا وسعدوا لاتصافهم بصفة الإيمان، أي التصديق بالله ﷻ ورسله واليوم الآخر.

هذه صورة قرآنية صادقة للمؤمنين الذين استحقوا أن يحكم الله لهم بالفلاح، في قواه تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فلاح في الدنيا والآخرة .

فمن يا ترى هؤلاء الذين يستحقون هذه المكانة، إنهم الذين وصفهم الله–تعالى– في كتابه:

١– ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ فالخشوع هنا خشوع القلب، وهو الخضوع والتذلل مع الخوف وسكون الجوارح، والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فزع قلبه لها، واشتغل بها عما عداها وهو حضور القلب بين يدي الله تعالى مستحضراً جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أولها إلى آخرها فتنتفي بذلك الوساوس [2].

قال رسول الله ﷺ: **(حبب إليَّ من الدنيا الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة)**[3]، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب لا قيمة لها، وإن كانت مجزئة مثاباً عليها، فالثواب على حسب ما يعقل القلب منها [4].

٢– ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ هو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة وذلك يشمل الكذب والهذل والسب وجميع المعاصي، ومالا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢] .

فقد أدبنا الإسلام بأدب الصمت حتى لا يقع اللسان في اللغو، ولقد جاء على لسان نبي البرية وإمام الهدى، وما ذكره العلماء في التأدب [5].

---

(١) انظر:" الكشاف"، للزمخشري، ١٧٧/٣.

(٢) انظر: "التفسير الموضوعي"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٢٤/٥.

(٣) "مسند أحمد بن حنبل"، باب مسند أنس بن مالك ﷺ، ٤٣٣/٢١، ح١٤٠٣٧، إسناده حسن، حكم الألباني: صحيح.

(٤) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢/١٨.

(٥) انظر: "في رحاب التفسير"، الشخ عبد الحميد كشك، ٢٦٨٩/٤–٢٦٩٠.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ **قال: قلت :" يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟، قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده"** (١).

عن عقبة بن نافع قال: **قلت يا رسول الله : ما النجاة؟ قال: "أمسك عليك لسانك ولْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ** (٢).

لذا قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حين وصاه بوصايا قال: **(ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه وقال: كف عليك هذا، قال: وهل نحن مؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله، قال: ثكلتك أمك وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)** (٣).

ومع الأسف الشديد استبد اللهو في عصرنا في أفعال وأقوال كثير من الناس برؤية التلفاز وقراءة المجلات غير النافعة واللعب واللهو والعبث، وضياع الوقت فيما لا يجدي من إذاعة التمثيليات، والأفلام المشتملة على القصص الفاجرة، التي تبرز فيها الرذيلة، وتسلط الأضواء على ممثلات الإغراء الجنسي، وتسمع فيها العبارات المخجلة، والأصوات المعزية بالإثم، وترى فيها الصور المفسدة لأخلاق الذكور والإناث، الكبار منهم والصغار، فذلك يبغضه الله تعالى ولا يحبه، بل إنه تعالى يعاقب عليه أشد العقاب لخطورته على الأخلاق.ومن الجهر بالسوء نشر كتب الجنس وصوره التي تحرض الشباب على الفسق والانحلال الخلقي، وتستأصل المناعة الخلقية في شبابنا المسلم من أصولها (٤).

٣- ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**﴾ قال ابن كثير: "الأكثرون على أن المراد بالزكاة هنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة، فالظاهر أصل الزكاة كان واجباً في مكة، والذي فرض بالمدينة هو ذات النصب والمقادير الخاصة، قال تعالى: ﴿**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ [الأنعام:١٤١]وهي مكية ويحتمل أن يكون زكاة النفوس وزكاة الأموال"(٥) .

٤- ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**﴾:بعدما زكى الله –تعالى– قلوبهم بالإيمان، ونفوسهم بالصلاة،

---

(١)" صحيح البخاري"، كتاب الإيمان ، باب أي المسلمين أفضل، ١١/١، ح١١ .

(٢) "سنن الترمذي"، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، ٢٣٨/٢، ح ٧٨٤.صححه الألباني.

(٣)" سنن ابن ماجه"، باب كف اللسان في الفتنة، ١٣١٤/٢، ح٣٩٧٣، و"سنن الترمذي"، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ٣٠٨/٤، ح٢٦١٦، ، صححه الألباني.

(٤) انظر: "التفسير الوسيط"، لمجمع البحوث الإسلامية، الحزب الحادي عشر، ص٩٥٠.

(٥) "تفسير القرآن العظيم"، ٤٦٢/٥.

وألسنتهم عن اللغو، وأموالهم باخراج الزكاة، زكى أعراضهم بالحفاظ عليها إلا في حدود ما أمر الله ﷻ [1].

نعم إن المؤمنين هم الذين حفظوا فروجهم من الحرام فلم يقعوا فيما نهاهم الله عنه ﷻ من الزنا، واللواط، فلا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها لهم، أو ما ملكت أيمانهم من السراري، التي أخذت في الحروب [2]...، فهولاء عاشوا حياتهم الطاهرة النظيفة فاستحقوا أن يكونوا ورثة الفردوس [3].

٥- ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾ أي فمن طلب غير ذلك من الزوجات والإماء فأولئك هم المتناهون في العدوان المتجاوزون لحدود الله تعالى وهذا يدل على تحريم الاستمناء باليد[4].

٦- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: أي مراعون لها حريصون على أدائها وتنفيذها وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق الله تعالى والتي هي حق للعباد، فعلى العبد مراعاة الأمرين وأداء الأمانتين، وكذلك العهد الذي بينهم وبين ربهم، ويحرم على التفريط فيها أو إجمالها فلا يكونوا كالمنافق الذي يخلف العهد، ويخون الأمانة، قال النبي ﷺ: **(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان)** [5]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧] ، ٦-،﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ :

أي يواظبون عليها في مواقيتها، كما قال ابن مسعود ﷺ سألت النبي ﷺ فقلت: **(يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله، قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله)** [6]، وقد افتتح الله ﷻ هذه الصفات الحميدة بالصلاة، واختتمها بالصلاة، فدلّ على أفضليتها.

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٣/١٨.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٣/١٨، و"تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٤٦٢/٥.

(٣) "في رحاب التفسير"، الشيخ عبد الحميد كشك، ٢٧١٠/٤.

(٤) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٣/١٨، و"تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٤٦٢/٥.

(٥) "صحيح البخاري"، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ١٦/١، ح٣٣.

(٦) "صحيح البخاري"، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة على وقتها، ١١٢/١، ح٥٢٧.

قال ﷺ: **(استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)** [١].

والنتيجة المرجوة لأمثال هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات ، وأولئك الذين تحلوا بتلك الخلال السامية جديرون بأن يتبوءوا أرفع مراتب الجنات، لأنهم زينوا أنفسهم بالأخلاق الفاضلة والآداب العالية فيبقون خالدين في الفردوس أبداً، لا يخرجون منها ولا يموتون [٢].

﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أولئك البعيدون في درجات الكمال المتصفون بهذه الصفات الحميدة، هم المستحقون النزول في جنات الفردوس الماكثون فيها أبداً على الدوام، قال رسول الله ﷺ : **(إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن)** [٣].

ولقد ذكر هذه الصفات التي هي في غاية الأهمية، لأنها تؤدي إلى صلاح الفرد في المجتمع وتغييره تغييراً إيجابياً في المجتمع الذي يعيش فيه، لهذا حق لمن اتصف بهذه الصفات أن يكون من أهل الصلاح، وذلك إذا سار عليها وتمسك بها فإن ذلك ينعكس على المجتمع فيصبح مجتمعاً صالحاً خيّراً.

ثامناً: الهدايات المستنبطة من الآيات: [٤].

١- وعد الله المؤمنين بالفلاح، الفلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، فلاح الفرد والجماعة.

٢- وصف الله عباده المؤمنين المستحقين للفلاح والفوز بصفات، وأوجب عليهم أن يتصفوا بها فلا فلاح بدونها؛ لأنها صفات تميز حياة الإنسان عن الحيوان.

٣- من يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص .

٤- الاعراض عن اللغو، للتفرغ لذكر الله وطاعته، ويجوز للمؤمن أن يروح عن نفسه بين الحين والحين، ولكن هذا شيء آخر غير الهذر واللغو.

إيتاء الزكاة، طهارة للقلب والمال، فهي تأمين اجتماعي للأفراد، ووقاية للجماعة كلها من التفكك والانحلال.

---

(١) "المستدرك على الصحيحين"، للحاكم، كتاب الطهارة، ٢٢١/١، ح٤٤٩، قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، حكم الألباني صحيح.

(٢) "في رحاب التفسير"، الشيخ عبد الحميد كشك، ٢٧٤٩/٤.

(٣) "صحيح البخاري"، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ٨٦/١، ح٢٧٩ .

(٤) "انظر: "التفسير المنير"،أ.د.وهبة الزحيلي، ص١٨.

٥- تحريم الزنا طهارة للروح والبيت والجماعة، ووقاية النفس والأسرة والمجتمع، والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة في سلم البشرية.

٦- النسوة اللواتي يجئن إلى المعسكر الإسلامي أسيرات، تقضى قاعدة التعامل بالمثل باسترقاقهن إلا أن يتحررن بسبب من الأسباب الكثيرة التي جعلها الإسلام سبلاً لتحرير الرقيق، ولعل هذا الاستمتاع ملحوظ فيه تلبية الحاجة الفطرية للأسيرات أنفسهن، كي لا يشبعنها عن طريق الفوضى القذرة في المخالطة الجنسية كما يقع في زماننا هذا مع أسيرات الحرب، وهذا ما حرمه الإسلام، وذلك حتى يأذن الله فيرتفعن إلى مرتبة الحرية.

٧- يشترط في حل المملوكة أن تكون كلها في ملكه، فلو كان له بعضها لم تحل، لأنها ليست مما ملكت يمينه، بل هي ملك له ولغيره، فكما أنه لا يجوز أن يشترك في المرأة الحرة زوجان، فلا يجوز أن يشترك في الأمة المملوكة سيدان.

٨- أداء الأمانات إلى أهلها، هي صفة دائمة لهم في كل حين، وما تستقيم حياة الجماعة إلا أن تؤدى فيها الأمانات، وترعى فيها العهود، والأمانات والعهود تشمل كل ما بين العبد وخالقه وما بين العبد والمخلوقين.

٩- كرر الصلاة مرة أخرى لأهميتها، فلا يفوتونها كسلاً، ولا يضيعونها إهمالاً، ولا يقصرون في إقامتها كما ينبغي أن تقام، إنما يؤدونها في أوقاتها كاملة الفرائض والسنن، ولقد بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة؛ للدلالة على عظيم مكانتها في بناء الإيمان بوصفها أكمل صورة من صور العبادة والتوجه إلى الله.

١٠- جعل الله ﷻ ثواباً لمن يتصف بتلك الصفات أن يدخله الفردوس الأعلى، وتلك غاية الفلاح الذي كتبه الله للمؤمنين.

المقطع الثاني: من أدلة وجود الله ﷻ خلق الإنسان ومراحله

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٦].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله ﷻ صفات المؤمنين الفالحين، وأمرهم بالعبادات أورد ما يدل على معرفته ﷻ حيث لا يجوز الاشتغال بعبادة الله قبل معرفته فذكر أربعة أنواع من دلائل وجوده وقدرته

تعالى، وبصفات الجلال والوحدانية، وتلك الأدلة هي: خلق الإنسان، وخلق السموات السبع، وإنزال الماء من السماء، وخلق الحيوانات لنفع الإنسان، والمقصود من ذلك كله إبطال الشرك بالله ﷻ لأن ذلك الأصل الأصيل في ضلال المعرضين عن الدعوة المحمدية [١].

ثانياً: سبب النزول:

عن أنس ﷺ قَالَ عُمَرُ ﷺ: " **وَافَقْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْبَعٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ صَلَّيْتَ خَلْفَ الْمَقَامِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾** [البقرة: ١٢٥] **وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ ضَرَبْتَ عَلَى نِسَائِكَ الْحِجَابَ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾** [الأحزاب: ٥٣] ، **وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾** [المؤمنون: ١٢] الْآيَةَ، **فَلَمَّا نَزَلَتْ قُلْتُ أَنَا: تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فَنَزَلَتْ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾** [المؤمنون: ١٤] **وَدَخَلْتُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُنَّ: لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَيُبْدِلَنَّهُ اللَّهُ بِأَزْوَاجٍ خَيْرٍ مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ ﴾** [التحريم:٥][٢].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

﴿ سُلَالَةٍ ﴾: اسم سُلَّ من الشيء واستخرج منه، والنطفة: سلالة الإنسان، وانسلّ من بينهم خرج، وتسلل الماء في الحلق: جرى [٣].

﴿ النُّطْفَةَ ﴾: الماء الصافي قلّ أو كثر، والجمع (نِطاف) بالكسر، و(نطَفان) الماء سيلانه[٤].

﴿في قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: المستقر من الأرض، والقرار في المكان: الاستقرار فيه، ومنه قولهم: فلان ما يتقار في مكانه أي: ما يستقر والمقصود هنا هو الرحم، أن الله –سبحانه– هيأه ليكون قراراً، وليكون متيناً [٥].

﴿عَلَقَة﴾: (العَلَق) الدم الغليظ، والقطعة منه (علقة) والجمع (عَلَق) [٦].

---

(١) انظر: "مفاتيح الغيب"، للفخر الرازي، ٢٦٤/٢٣، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٨/١٨.

(٢) انظر: " تفسير الجلالين"، ص٢٦٧، وفي رحاب التفسير، الشخ كشك، ٢٧٥٠/٤.

(٣) انظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٥٢/١، و"روح البيان"، للمولى أبو الفداء، ٧١/٦، و"البحر المحيط"، لأبي حيان، ٣٩٣/٦.

(٤) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٤٠/٥، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣١٣/١.

(٥) انظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٥٠/١.

(٦) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٢٥/٤، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢١٦/١.

﴿الْمُضْغَةَ﴾: قطعة اللحم قدر ما يمضغ .

﴿خَلْقًا﴾: الخَلْقُ: التقدير، يقال: خلق الأديم إذا قدّره قبل القطع، والخليقة: الطبيعة واختلقه: افتراه، ومن قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧] (١).

ثالثاً: البلاغة: (٢):

"المخالفة في حروف العطف المتتابعة في هذه الآيات أسرار لطيفة المأخذ، دقيقة المعنى، فقد ذكر تعالى تفاصيل حال المخلوق في تنقله فبدأ بالخلق الأول وهو خلق آدم من طين، ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي، وحيث صار إلى التقدير الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخٍ عطفه بالفاء، ولما انتهى إلى جعله ذكراً أو أنثى وهو آخر الخلق عطف بثم، ونحن نعلم أن الزمن الذي تصير فيه النطفة علقة طويل، ولكن الحالتين متصلتان، فأحياناً ينظر إلى طول الزمان فيعطف بثم وأحياناً ينظر إلى اتصال الحالتين ثانيهما بأولهما من غير فاصل بينهما بغيرهما فيعطف بالفاء وشيء آخر وهو أن صيرورة التراب نطفة أمر مستبعد في ظاهر الحال، ومثل ذلك صيرورة النطفة علقة لاختلاف إحداهما عن الأخرى اختلافاً ظاهراً، ولكن صيرورة العلقة مضغة لا غرابة فيه لتقاربهما فلهذا الوجه عطف في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ [الحج:٥]، وفي الآية التي نحن بصددها لوحظت أطوار الخلق وتباعد كل طور".

في قوله تعالى: ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ :استعارة تصريحية، فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به، والمشبه هو الرحم، وقد شبهه بالقرار، أي: موضع الاستقرار ثم وصفه بمكين بمعنى متمكن، لتمكنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال، أو لتمكن ما يحل فيه (٣). **وفي قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾: إنزال غير المنكرين منزلة المنكرين، فهم لا ينكرون الموت، ولكن لغفلتهم عنه، وفقدهم العمل الصالح من علامات الإنكار، فأكد الخبر بمؤكدين: إنّ واللام.

في قوله تعالى: ﴿طِينٍ، مَكِينٍ، الْخَالِقِينَ﴾: سجع سائغ غير متكلف (٤).

---

(١) انظر:" مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢١٣/٢، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٩٥/١.

(٢) "إعراب القرآن وبيانه"، لمحي الدين درويش، ٤٩٩/٦-٥٠٠.

(٣) انظر: "إعراب القرآن وبيانه"، لمحي الدين درويش، ٤٩٩/٦-٥٠٠.

(٤) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٧/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٧٩/٢.

رابعاً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

أوجه الإعراب:

قوله (أحسنُ) يحتمل وجهين من الإعراب:

١- **الوجه الأول:** مرفوع على أنه بدل من لفظ الجلالة.

٢- **الوجه الثاني:** مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف [(١)].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب: [(٢)].

١- **المعنى الأول:** بين الله ﷻ مراحل تطور الجنين في بطن أمه حيث ينتقل من مرحلة إلى أخرى، وهذا من الدلائل العلمية على صدق الوحي والنبوة، فهو الخالق المدبر، المتصرف الذي يصور في الأرحام كيف يشاء، وهو العزيز الحكيم، وكأنه قال ﷻ: فتبارك أحسن الخالقين، فبهذا يكون بدلاً من لفظ الجلالة.

٢- **المعنى الثاني:** الحديث هنا عن مراحل الخلق وهم أجنة في بطون أمهاتهم، حيث بيّن المراحل من النطفة إلى المضغة والعلقة والعظام، ثم تكتسي العظام لحماً، ثم ينشأ خلقاً طيب الصور، حسن المنظر والهيئة، فيُذكر هنا بأنه هو الخالق البارئ والمصور كأنه قال: تبارك الله هو الله، هو أحسن الخالقين.

أثر الاختلاف:

اختلف الإعراب هنا بحق الكلمة الواحدة، حيث كانت مرة بدلاً والتقدير: فتبارك أحسن الخالقين، ومرة على أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: فتبارك الله هو أحسن الخالقين وكلا المعنيين صحيح، وهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

خامساً: القراءات:

القراءات في قوله تعالى:**(عظاما فكسونا العظام):**

---

(١) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، العكبري، ٩٥١/٢.

(٢) انظر: "الجدول في الإعراب"، صافي، ١٦٢/١٨، و"روح المعاني"، للألوسي، ١٧٨/١٧، و"إرشاد العقل السليم"، لأبي السعود، ١٢٧/٦، و"البحر المحيط"، لأبي حيان، ٥٥٢/٧.

١- قرأ ابن عامر [١] وأبو بكر عن عاصم [٢]: (عَظْماً فكسونا العَظْمَ) بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف على التوحيد فيها [٣].

٢- وقرأ الباقون: (عِظَاماً فكسونا العِظَامَ) بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع [٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (عَظْماً فكسونا العَظْمَ) بالإفراد خلق الله تعالى لجنس العظام وكسوته لحماً وقد وحّد نسبة إلى لفظ إفراد الإنسان والنطفة والعلقة.

بينما تفيد قراءة (عِظَاماً فكسونا العِظَامَ) بالجمع أصل العظام وتعدُّد أنواعها فمنها الدقيقة والغليظة وغيرها، كما أفادت أن هذا أمر عام في جميع الناس [٥].

يقول ابن جني [٦]- رحمه الله- في توجيه القراءتين: "أما من وحَّد فإنه ذهب إلى لفظ إفراد الإنسان والنطفة والعلقة، ومن جمع فإنه أراد أن هذا أمر عام في جميع الناس" [٧].

وبالجمع بين القراءتين تبين أن الله تعالى يخلق المضغة التي هي طور من أطوار خلق الإنسان عظماً مكسواً لحماً، وأنَّ هذا العظم الموجود في كل إنسان أنواع مختلفة بين دقيقة وغليظة

---

(١) ابن عامر الشامي (٨-١١٨هـ) هو أبو عمران، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي كان غماماً عالماً ثقة، وهو من التابعين، إمام أهل الشام في القراءة، جمع بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء في دمشق، وأجمع الناس على قراءته، وأشهر من روى عنه القراءة: هشام، وابن ذكوان، انظر: غاية النهاية، لابن الجزري، ٤٢٣/١-٤٢٤، ومعرفة القراء، الذهبي، ٨٣/١ وما بعدها.

(٢) شعبة بن عياش (٩٥-١٩٣هـ) المعروف بالحناط الأسدي النهشلي الكوفي، كان إماماً كبيراً وعالماً عادلاً، حجة من أئمة السنة، ختم القرآن ثمانِ عشرة ألف ختمة، كان أجل أصحاب عاصم، وعرض القراءة عليه ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب، وأسلم المنقري، انظر: غاية النهاية، لابن الجزري، ٣٢٥/١، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ١٥٦/١.

(٣) انظر:" المبسوط في القراءات العشرة، أحمد النيسابوري، ٣١١/١، والسبعة في القراءات، ابن مجاهد ٤٤١/١.

(٤) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

(٥) انظر:" المبسوط في القراءات العشرة، أحمد النيسابوري، ٣١١/١، والمحتسب، ابن جني، ٨٧/٢.

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الأستراباذي السمرقندي، المؤرخ أبو سعد، كان محدث سمرقند، وتوفي بها سنة: ٤٠٥هـ، نسبة إلى جده إدريس، من مصنفاته: تاريخ أستراباذ وهي بلد أبيه، وتاريخ سمرقند، وكان ثقة، انظر: الأعلام، للزركلي، ٣٢٥/٣.

(٧) "المحتسب"، لابن جني، ٨٧/٢، وانظر: "طلائع البشر"، و"الحجة في القراءات السبع"، لحسين بن خالوية، ٢٥٦/١.

ومستديرة ومستطيلة، وهذا عام في جميع الناس [1].

سادساً: المعنى الإجمالي:

بعدما ذكر الله ﷻ أولاً أحوال أهل الإيمان السعداء عقب بعد ذلك بذكر مبدئهم ومآل أمرهم، وفي ذلك إعظام للمنة عليهم، وحث على الاتصاف بالصفات الحميدة، وتحمل مؤن التكليفات الشديدة، ولما ذكر إرث الفردوس عقبه بذكر البعث لتوقفه عليه، كذلك لما حث ﷻ على عبادته وامتثال أمره عقبه ما يدل على ألوهيته، لتوقف العبادة على ذلك [2].

أخبر الله ﷻ عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين، وهو آدم عليه السلام خلقه الله تعالى من حمأ مسنون، وبيّن تقلبه في أطوار تسعة وهي:

أولاً: مراحل خلق الإنسان:

خلق من سلالة من طين:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ أي أوجدنا الإنسان وقلبناه في أطوار الخلقة وأطوار الفطرة، والمراد به جنس الإنسان وأصله من خلاصة سلت من طين لا كرر فيه، والراجح أن المراد بالإنسان هنا آدم عليه السلام لأنه استل من الطين وخلق منه كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الرُّوم:٢٠] ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ أي جعلنا نسله أو جنس الإنسان نطفة من مني في أصلاب الذكور، ثم قذفت إلى أرحام الإناث، فصار في حرز متمكن حصين ابتداء من الحمل إلى الولادة " [3].

خلق من نطفة:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفة العلقة وهي الدم الجامد أو صيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة – وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى السرة – صيرناها علقة حمراء بشكل مستطيل.

خلق من مضغة:

﴿فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي صيرنا الدم الجامد قطعة لحم بقدر ما يمضغ لا شكل فيها.

---

(١) "المحتسب"، لابن جني، ٨٧/٢، و"الحجة في القراءات العشر"، لحسين بن خالوية، ٢٥٦/١.

(٢) "روح المعاني"، للألوسي، ٢١٥/٩.

(٣) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ٢٨٢٢/١.

خلق العظام:

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ أي صيرناها عظاماً ذات يدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها.

كسوة العظام باللحم :

﴿فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا﴾ ثم غطينا العظام بما يستره ويشده ويقويه وهو اللحم.

ثانياً: الإعجاز العلمي في مراحل خلق الإنسان: (١).

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ مبايناً للخلق الأول بأن نفخنا فيه الروح، فتحرك وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب (٢)، وفي الحديث الصحيح: **(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً بأربع كلمات، فيكتب عمله ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ....)** (٣)، ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾أي تعالى الله ﷻ وتعاظم وكثر خيره وتقدس الله سبحانه أحسن المقدرين والمصورين، فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن وأجمل مخلوقاته على الإطلاق كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين:٤] .

كل هذه الأطوار تحدث في عالم الرحم، ولابد من معرفة علمية كاملة بهذا القرار الذي نشأنا فيه، ولابد أن نتحدث عن أربطة الرحم، حتى نقف مسبحين بحمد ربنا، مقرين له بالجلال والكمال والعظمة المطلقة (٤).

وهنا دليل الإعجاز في بيان عظمة الله، فهذا هو الإنسان الذي إن دل خلقه على شيء، فإنما يدل على وجود الله، ووحدانيته وعلمه وإرادته وقدرته، فتبارك ربنا أحسن الخالقين.

ثالثاً: الموت والحساب:

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ أي أنتم بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ أي تبعثون من قبوركم للنشأة الآخرة للحساب والجزاء ثواباً وعقاباً، وفي

---

(١) انظر: " في رحاب التفسير"، الشيخ عبد الحميد كشك، ٢٧٥٦/٤.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٨/١٨، و"التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ٢٨٢٢/١.

(٣)" صحيح البخاري،" باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ١٣٣/٤، ح٣٣٣٢.

(٤) انظر: " في رحاب التفسير"، الشيخ عبد الحميد كشك، ٢٧٥٦/٤.

هاتين الآيتين جعل الله ﷻ الإماتة التي هي إعدام الحياة، والبعث الذي هو إعادة الحياة بعد الإفناء والإعدام دليلين على قدرته بعد الإنشاء والاختراع، وفي ذلك تذكير للإنسان بأنه سيقف بين يدي الله – سبحانه– ، وسيحاسبه على كل أعماله، وفي ذلك مدعاة للاستقامة. [١].

سابعاً: من هدايات الآيات: [٢].

١- دلت الآيات على خلق الإنسان وخلقه ومروره في مراحل متعددة دليل واضح على وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته العظيمة.

٢- بعد مرور الإنسان في مراحل خلقه وولادته وتمتعه بالحياة المقدرة، أي بعد الخلق والحياة تحدث نهاية للإنسان بالموت، ثم يأتي البعث بعد الموت، وكل من الخلق الأول (النشأة الأولى) ثم الإماتة (إعدام الحياة) ثم البعث (إعادة ما أفني وأعدم) دليل قاطع على قدرة الله تعالى .

٣- هذه الآيات الصريحة بأن الله وحده هو الخالق وهو المحيي وهو المميت وهو الباعث ووعده بالبعث حق من أدلة إثبات البعث الذي ينكره المشركون والملحدون الذين يرون أن الدنيا هي نهاية المطاف، وألا حياة بعدئذ.

٤- بينما تمثل هذه الآيات واقع المؤمنين الذين يشكرون ربهم الذي أنعم عليهم بهذه النعم وأداء ما كلفوا به إلى حين مجيء يوم القيامة والبعث بعد الموت لتسلم الجائزة الكبرى على العمل الصالح، ومجازاة المؤمنين بالجنة.

٥- روى ابن أبي شيبة[٣] في مسنده أن ابن عباس استنبط شيئاً من هذه الآية فقال لعمر حين سأل مشيخة الصحابة عن ليلة القدر، فقالوا: الله أعلم، فقال عمر: ما تفعل يا ابن عباس؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى خلق السموات سبعاً والأرضين سبعاً، وخلق آدم من سبع، وجعل رزقه في سبع، فأتاها في ليلة سبع وعشرين، فقال عمر ﷺ: أعجزتم أن تأتوا بمثل ما آتى هذا الغلام الذي لم تجتمع شئون رأسه. أراد ابن عباس بقوله: (خلق آدم من سبع) مراحل خلق الإنسان المفهومة من هذه الآيات [٤].

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٨/٢٠٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة .

(٣) أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، ابن القاضي، الإمام العلم سيد الحفاظ، له مؤلفات كثيرة أهمها: (المسند)، (المصنف)، (التفسير)، ولد في بيت علم، كان ثقة حافظ للحديث، توفي سنة خمسين وثلاثين ومائتين . انظر: سير أعلام النبلاء، ١١/١٢٢-١٢٦.

(٤) انظر: "التفسير المنير"، ١٨/٢١-٣٣.

المقطع الثالث: خلق السموات، وإنزال المطر وتسخير الأنعام

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ * فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٧-٢٢].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله ﷻ مراحل خلق الإنسان كآيات دالة على وجوده وقدرته أتبعه بدليل آخر للتذكير بما هو أكبر من خلقهم، وبتدبرهم بخلقه، وخلق ما فيه من المنافع لاستبقائهم، خلق السموات وإنزال الأمطار، وتسخير الأنعام لهم [(١)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿طَرَائِقَ﴾: من الجذر الثلاثي طَرَقَ، والطريق: كل ما كانت طبقات بعضه فوق بعض، وسميت السموات طرائق؛ لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل [(٢)]. والمراد بها السماوات، وسميت طرائق لأنها متطابقة، يطابق بعضهم بعضاً، أو سميت كذلك لأنها طريق الملائكة تغدو فيها وتروح [(٣)].

﴿طُورِ﴾ : مفرد، وجمعه: أطوار، وهو اسم الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عنده، ويضاف إلى سيناء أو سنين، فيقال: طور سيناء، طور سنين، ويقال عنه كذلك، جبل الطور ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص:٢٩][(٤)].

﴿بِالدُّهْنِ﴾: الدال والهاء والنون أصل واحد يدل على لين وسهولة، والدِّهان: ما يدهن به، و(دَهن): إذا تطلى بالدهن [(٥)].

---

(١) انظر: "نظم الدرر" ،للبقاعي، ١١٨/١٢.

(٢) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٥٠/٣، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٨٩/١، و"الكشاف"، للزمخشري، ١٧٩/٣، و"المحرر الوجيز"، لابن عطية الأندلسي، ١٣٩/٤.

(٣) انظر: "في رحاب التفسير"، الشيخ عبد الحميد كشك، ٢٨١٩/٤.

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ١٤٢٠/١.

(٥) انظر:" مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٠٨/٢، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي،١٠٨/١.

﴿الأَنْعَامِ﴾: واحدها النَّعَم، وهي الأموال الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل، لما فيها من الخير والنعمة، وهي الإبل والبقر والغنم [١].

﴿ الْفُلْكِ ﴾:السفينة، وهي جمع يذكر ويؤنث، وكان سيبويه يقول: الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد [٢].

ثالثاً: البلاغة: [٣].

قوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ استعارة تصريحية، حيث شبه الإدام من المائعات بالصبغ ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به بجامع التلون بلونه إذا غمس به.

قوله تعالى: ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ استعارة، حيث شبه السموات بطبقات النعل؛ لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل، وكل شيء فوقه مثله، فهو طريقة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾ تنكير (ذهاب) إيماء إلى كثرة طرقه، ومبالغة في الإبعاد به.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ فيها تهديد .

رابعاً: القراءات:

القراءات في قوله :﴿ طُورِ سَيْنَاءَ﴾

١- قرأ نافع [٤] وأبو جعفر [٥] وابن كثير وأبو عمرو [٦] (طور سيناء) بكسر السين [٧].

---

(١) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٤٦/٥، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣١٤/١.

(٢) "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٤٣/١.

(٣) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٣/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٨٠/٢.

(٤) نافع المدني (٧٠-١٦٩هـ) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي أحد القراء السبعة الأعلام، ثقة صالح، كان عالماً بوجوه القراءات، أخذ القراءة عرضاً من جماعة من تابعي أهل المدينة انتهت له رئاسة الإقراء بالمدينة، أشهر الرواة عنه: قالون، وورش، انظر: غاية النهاية، لابن الجزري، ٣٣٠/٢، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ٩٢/١-٩٣، ومعرفة القراء، للذهبي، ٦٤/١.

(٥) أبو جعفر المدني (ت: ١٣٠هـ) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع، الإمام المخزومي المدني، تابعي جليل، وأحد القراء العشرة، كان كثير العبادة يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويصلي في جوف الليل، انتهت له رئاسة الإقراء بالمدينة، كان ثقة صالحاً، أشهر من روى عنه: عيسى بن وردان، وسليمان بن جماز، انظر: معرفة القراء، للذهبي، ٤٠/١، وغاية النهاية، لابن الجزري، ٣٨٢/٢، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ١٧٨/١.

(٦) أبو عمرو بن العلاء البصري (٦٨-١٥٤هـ) هو زبان بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة، شيخ الإقراء بالبصرة، أكثر القراء السبعة شيوخاً، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية صادقاً ثقة زاهداً كثير العبادة صاحب كرامات، اشتهر بالرواية عنه: الدوري والسوسي، انظر: غاية النهاية، لابن الجزري، ٢٨٨/١، ومعرفة القراء، للذهبي، ٥٨/١.

(٧) انظر: "المبسوط في القراءات العشر"، أحمد النيسابوري، ٣١١/١.

٢- وقرأ الباقون: (طور سيناء) بفتحها.

القراءات في قوله: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾:

١- قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس [١]: (تنبت بالدهن) بضم التاء وكسر الباء.

٢- وقرأ الباقون: (تنبت بالدهن) بفتح التاء وضم الباء [٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (طور سيْنَاء) بكسر السين على أن (طور سيناء) (والسيناء)، (والسنين) الحسن وكل جبل ينبت الثمار فيه فهو سنين[٣].،خروج شجرة الزيتون من جبل الطُّور المسمى (طُورِ سَينَاء) فهذه القراءة أخبرتنا باسم المكان الذي تنبت فيه شجرة الزيتون.

بينما تفيد قراءة (طور سَينَاء) وصف البقعة التي تخرج منها شجرة الزيتون، بأنها بقعة مرتفعة مباركة كثيرة الشجر، وحسنة المنظر .

وبالجمع بين القراءات هما لغتان من لغات العرب أصله سرياني، فالطور والسيناء والجبل الحجارة المباركة [٤].

يقول الماوردي – رحمه الله-: وفي طور سيناء خمسة تأويلات: [٥]

أحدها: أن سيناء البركة فكأنه قال: جبل البركة، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني: أنه حسن المنظر، قاله قتادة .

الثالث: أنه الكثير الشجر، قاله ابن عيسى .

الرابع: أنه اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ، قاله أبو عبيدة .

الخامس: أنه المرتفع مأخوذ من السَّناء، وهو الارتفاع، فعلى هذا التأويل يكون اسماً عربياً، وعلى ما تقدم من التأويلات يكون اسماً أعجمياً.

---

(١) رويس (ت: ٢٣٨هـ) هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري مقرئ حاذق ضابط، قرأ على يعقوب، وهو من أحذق أصحابه، تصدر للإقراء، أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي، توفي بالبصرة، انظر: معرفة القراء، للذهبي، ٤٢٨/١، وغاية النهاية، لابن الجزري، ٢٣٤/٢، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ١٨٦/١-١٨٧.

(٢) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

(٣) انظر: "حجة القراءات"، ١لابن زنجلة، /٤٨٤.

(٤) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) "النكت والعيون"، ٥٠/٤.

واختلف القائلون بأعجميته على ثلاثة أقاويل: **أحدها:** أنه سرياني ، قاله ابن عباس. **الثاني:** نبطي. **الثالث:** حبشي.

ويقول الزمخشري [١] – رحمه الله- : (وطور سيناء) وطور سينين، لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة باسمها سيناء وسينون، وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس، وكبعلبك فيمن أضاف، فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث؛ لأنها بقعة، وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف؛ لأن الألف للتأنيث كصحراء، وقيل: هو جبل فلسطين، وقيل: بين مصر وإيلة، ومنه نودي موسى عليه السلام[٢].

أما قراءة **(تُنْبِتُ بالدُّهْن)** فقد أفادت إنبات شجرة الزيتون للدهن الذي هو الزيت المستخرج من ثمرها وملازمة الإنبات للدهن [٣].

بينما أفادت قراءة **(تَنْبُتُ بالدُّهْن)** نَبْتَ هذه الشجرة ومعها الدُّهن الذي هو زيت الزيتون الذي يحوي ثمرها [٤].

وبالجمع بين القراءات الأربع نعرف ما خص الله به شجرة الزيتون حيث تنبت في أرض مرتفعة مباركة كثيرة الشجر حسنة المنظر وهي المسماة بطور سيناء، والتي تنبت ثمر الزيتون الذي نستخرج منه الدهن المعروف بزيت الزيتون، فهذه الشجرة تخرج من طور سيناء وتُخرج ثمرها الذي هو حب الزيتون المليء بالزيت [٥].

القراءات في قوله:(نسقيكم):

١- قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب [٦]، وشعبة (نَسْقِيكُمْ) بفتح النون.

---

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، إمام كبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان إمام عصره من غير مدافع، سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر، له الكثير من المصنفات، توفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم، انظر: وفيات الأعيان، ١٦٨/٥-١٧٤.

(٢) "الكشاف"، ١٨٠/٣.

(٣) انظر: "القراءات وأثرها في علوم العربية"، لمحمد محيسن، ٤٦٢/١.

(٤) انظر: "أضواء البيان"، للشنقيطي، ٣٣٠/٥، و"البحر المحيط"، لأبي حيان، ٥٥٥/٧.

(٥) "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، للنيسابوري، ١١٤/٥.

(٦) يعقوب الحضرمي البصري (١١٧-٢٠٥هـ) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مولاهم البصري، أحد القراء العشرة، أمام أهل البصرة ومقرئها، انتهت له رئاسة الإقراء بعد أبي عمرو، كان إماماً كبيراً ثقة عالماً صالحاً ديناً وأروى الناس لحروف القرآن، وحديث الفقهاء، أشهر من روى عنه: رويس وروح، انظر: غاية النهاية، ٣٨٦/٢، والنشر في القراءات العشر، ١٨٦/١.

٢- وقرأ أبو جعفر (تَسْقِيكُم) بالتاء المفتوحة.

٣- وقرأ الباقون (نُسْقِيكُم) بضم النون [١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى (نَسْقِيكُمْ) بنون العظمة أى الساقي نحن وهو الله ﷻ [٢].

تفيد القراءة الثانية (تَسْقِيكُم) أن الأنعام هي التي تسقينا اللبن، يقول الزمخشري – رحمه الله – قرئ (تَسْقِيكُم) بتاء مفتوحة، أي تسقيكم الأنعام" [٣].

وتفيد القراءة الثالثة (نُسْقِيكُم) ديمومة سقيا اللبن من الأنعام، فهي تعطينا اللبن باستمرار وبدون انقطاع، فتعطينا القشدة والسمن والجبن ونحوها، من الخيرات بتقدير الله ونعمته [٤].

يقول الخطيب التبريزي [٥] – رحمه الله –: "قال قوم: سقى وأسقى لغتان في معنى واحد.

وقال آخرون سَقْيتُه: ناولته شربة، وأسقيته: جعلت له سقيا، وأجازوا القراءة بالضم؛ لأنه شرب دائم"[٦].

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبين أن الله تعالى بعظمته خلق للناس الأنعام وهيأها لتكون مصنعاً يخرج لهم اللبن فتستقيهم منه بكثرة واستمرار سُقيا دائمة إلى ما شاء الله تعالى.

خامساً: المعنى الإجمالي:

لما ذكر الله تعالى خلق الإنسان ذكر سكنه وتوفر النعم عليه من كل وجه، فقال:

---

(١) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري ،٣٠٤/٢.

(٢) " انظر المحتسب"، لابن جني، ٩٠/٢.

(٣) "الكشاف"، ١٨١/٣.

(٤) انظر: " تفسير المراغي"، للمراغي، ١٦/١٨.

(٥) الخطيب التبريزي: يحيى بن علي بن محمد بن الحسن الشيباني نشأ في أذربيجان وتوفي بالعراق (٥٠٢هـ) عن عمر يناهز الثمانين، وحمل اسم موطنه وخلّده بعلمه وعمله، شد رحاله يضرب في الأرض طلباً للعلم والعلماء منذ نعومة أظفاره، كان نجيباً مخلصاً في حب العلم، وكان قاضياً، من أبرز شيوخه ابن عبد الوهاب بن رهان، وأبو العلاء المعري، والتنوخي والجرجاني والجوهري وغيرهم فقد تلقى العلم من كبار اللغويين والمحدثين والأدباء والنحويين، من أشهر مصنفاته: شرح ديوان أبي تمام، وشرح ديوان الأخطل وامرئ القيس، وكتاب الوافي في علمي العروض والقوافي، ومقدمة في النحو، انظر: إرشاد الأريب، ٢٨٦/٧-٢٨٧، وفيات الأعيان، ٢٣٨/٥-٢٤٣.

(٦) "الملخص في إعراب القرآن"، ١٤٢/٢، وحجة القراءات، لابن زنجلة، ٤٨٥/١.

أولاً: خلق السماوات:

خلق السماوات دليل على قدرة الله وابداعه، ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ**﴾ أي سقفاً للبلاد ومصلحة للعباد.

﴿**سَبْعَ طَرَائِقَ**﴾ : أي سبع سموات طباقاً بعضها فوق بعض كالقُبة [١].

- **خلق السماوات زينه:** وقد زينت بالنجوم والشمس والقمر، وأودع فيها من مصالح العباد ما أودع، ﴿**وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ**﴾ فكما أن خلقنا عام لكل المخلوقين، فربنا أيضاً محيط بما خلق، فلا يغفل مخلوق ولا ينساه، وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين خلقه وعلمه، لأن خلق المخلوقات من أقوى الأدلة العقلية على علم خالقها وحكمته [٢]، قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الحديد:٤] .

ثانياً: إنزال المطر:

- **الله نزل المطر لتوفير سبل الراحة للبشر،** ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ**﴾ أي أنزلنا من السحاب مطراً بقدر الحاجة والكفاية للشرب والسقي، رزقاً لكم ولأنعامكم، فلا ينقص فتختل الحياة ولا يزيد زيادة لا تحتمل، أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند التضرر من دوامه، ثم أنزلناه على الأرض فسكن واستقر، ﴿**وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**﴾ أي نزله أولاً فيذهب في أغوار الأرض ولا يصل إليها.
- **إنشاء الجنات:** ﴿**فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ**﴾ يعني في الجنات فواكه كثيرة، ومنها تأكلون شتاءً وصيفاً، وخص النخيل والأعناب بالذكر؛ لأنهما كانا أعظم ثمار أهل الحجاز وما والاها وكانت النخيل لأهل المدينة، وكانت الأعناب لأهل الطائف فذكر القوم بما يعرفونه من النعم [٣].
- **انبات الشجرة للاستفادة منها:** ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ**﴾ وهي شجرة الزيتون، وخصت بالذكر لأن مكانها خاص في أرض الشام ولمنافعها، فهي تثمر زيتوناً يصنع منه الزيت الذي يدهن بها، ويتخذ إداماً للآكلين، قال رسول الله ﷺ : **(كلوا الزيت وادهنوا**

---

(١) انظر: "بحر العلوم"، للسمرقندي، ٤٧٦/٢.

(٢) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن"، اعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٣٠/٥.

(٣) انظر:" زاد المسير"، لابن الجوزي، ٢٥٩/٣، و"الجامع أحكام القرآن"، للقرطبي، ١١٣/١٢.

به، فإنه من شجرة مباركة) [1].

ثالثاً: تسخير الأنعام:

- **العبرة من خلق الأنعام:** ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ إن في خلق الأنعام لعبرة فضلاً عن كونها نعمة، ووجه العبرة تحول الدم المتوالد من الأغذية في الغدد التي في الضرع إلى شراب طيب لذيذ الطعم صالح للتغذية، ثم فصّل منافعها وذكر منها أربعاً: [2]
- **أخذ اللبن:**﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ أي تنتفعون بألبانها على ضروب شتى فتتخذون منها القشدة والسمن والجبن ونحوها، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾.
- **والانتفاع بصوفها:** فتأخذون أصوافها وأشعارها وأوبارها، وتتخذونها ملابساً وفرشاً للدفء وبيوتاً في الصحاري.
- **الأكل من لحومها:** ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي وتأكلون منها بعد ذبحها، فكما تنتفعون بها وهي حية تنتفعون بها بعد الذبح للأكل.
- **للركوب والحمل:** ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ أي وتركبون ظهورها، وتحمّلونها الأحمال الثقيلة إلى البلاد النائية.

سادساً: من هدايات الآيات: [3].

١- بيان قدرة الله ﷻ وعظمته في خلق السموات طرائق، وعدم غفلته عن سائر خلقه فسار كل شيء لما خلق له، فثبت الكون وانتظمت الحياة.

٢- نزول المطر من السماء نعمة عظيمة، وهو ينزل بقدر، بحكمة وتقدير، لا أكثر فيغرق ويفسد، ولا أقل فيكون الجدب والمحل، ولا في غير أوانه فيذهب بدداً بلا فائدة، وما أشبهه وهو مستقر في الأرض النطفة وهي مستقرة في الرحم بتدبير الله لتنشأ عنها الحياة، وهذا مما يوجب شكر الله ﷻ على عباده.

---

(١) "المستدرك على الصحيحين"، النيسابوري، كتاب تفسير سورة النور، ٤٣٢/٢، ح٣٥٠٤،صححه الألباني.

(٢) انظر: "تفسير المراغي"، للمراغي، ١٦/١٨.

(٣) انظر: انظر: "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥١١/٣، و"التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٣١/٥، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٥/١٨.

٣- أنشأ الله ﷻ بالماء جنات من النخيل والأعناب نموذجان من الحياة في عالم النبات كما ينشأ الناس من ماء النطفة في عالم الإنسان نموذجان قريبان لتصور المخاطبين إذ ذاك القرآن يشير إلى نظائرهما الكثيرة التي تحيا بالماء.

٤- خصص سبحانه من الأنواع الكثيرة شجرة الزيتون المباركة، وهي من أكثر الشجر فائدة بزيتها وطعمها وخشبها، وأقرب منابتها من بلاد العرب طور سيناء، عند الوادي المقدس المذكور في القرآن، لهذا ذكر هذا المنبت على وجه خاص .

٥- سخر الله ﷻ بقدرته للإنسان مخلوقات ينتفع بها، فيها عبرة لمن يعتبر، فذكر منها اللبن السائغ اللطيف الذي يشربه الناس منها خارجاً من بطونها، فهو مستخلص من الغذاء الذي تهضمه، فتحوله الغدد إلى هذا السائل اللطيف، وهذه معجزة إلهية، وأباح أكل لحم الإبل والبقر والضأن، والماعز، ولم يحل له تعذيبها ولا التمثيل بها، وذلك لأن الأكل يحقق فائدة ضرورية في نظام الحياة.

٦- ربطت الآيات بين حمل الإنسان على الأنعام، وحمله على الفلك بوصفهما مسخرين بنظام الله الكوني، الذي ينظم وظائف الخلائق جميعاً، والكون كله مستسلم لله، يسير وفق سنته وإرادته.

٧- بيان منافع الزيت هو للدهن، والائتدام، والاستصباح .

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة المؤمنون من الآية (٢٣-٥٠)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: قصة نوح عليه السلام.

المقطع الثاني: قصة هود عليه السلام.

المقطع الثالث: قصص الأنبياء صالح ولوط وشعيب وغيرهم – عليهم السلام-.

المقطع الرابع: قصة موسى وهارون – عليهما السلام-.

المقطع الخامس: قصة عيسى عليه السلام وأمه.

المقطع الأول: قصة نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ *فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٣-٣٠].

أولاً: المناسبة:

بعد أن عدد سبحانه ما أنعم به على عباده في نشأتهم الأولى، وفي خلق الماء لهم لينتفعوا به، وفي خلق الحيوان كذلك.

ثم ذكر هنا أن كثيراً من الأمم قد أهملوا التدبر والاعتبار في هذا فكفروا بهذه النعم، وجهلوا قدر المنعم بها وعبدوا غيره، وكذبوا رسله الذين أرسلوا إليهم، فحاق بهم ما كانوا به يستهزئون، وأهلكهم بعذاب من عنده، وفي ذلك تخويف لقريش، وإنذار لهم على ما يفعلون، وأنه سيحل بهم ما داموا على تكذيب رسولهم والكفر به، مثل ما حل بمن قبلهم(١).

فالارتباط بين هذه الآيات وما سبقها ظاهر، فهو جارٍ على وفق العادة في سائر الآيات بالانتقال من دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق إلى حقيقة الإيمان التي جاء بها الرسل جميعاً وبيان كيف كان استقبال الناس لهذه الحقيقة الواحدة التي لا تتبدل على مدار الزمان، وتعدد الرسالات، وتتابع الرسل، وبيان كفران الناس بعد تعداد النعم المتلاحقة عليهم وما حاق بهم من زوالها وتهديد الكافرين وتثبيت المؤمنين(٢).

---

(١) انظر: "في رحاب التفسير"، الشيخ عبد الحميد كشك، ٢٨٢٩/٤.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٣/١٨، و"تفسير القرآن الكريم"، لعبد الله شحاتة، ٣٤٧١/١٨، و"في ظلال القرآن"، لسيد قطب، ٢٤٦٣/٤.

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿**المَلَأُ**﴾: أشراف القوم ووجوههم، وسموا بالملأ؛ لأنهم يملئون العيون لمكانتهم وسمو منزلتهم أو لامتلائهم بما يحتاجون إليه، وربما أطلق على الجماعة بجملتهم، ولا يخص بالأشراف [١].

﴿**كَفَرُوا**﴾: الكفر في اللغة: "أصل الكفر لغة التغطية والستر، ومنه يطلق على الليل الكافر، لأنه يستر الناس ويغطيهم فلا يروا، ومنه تسمية الزارع بالكافر، لأنه يخفي بذور النباتات في الأرض ويسترها، ويغطيها بالتراب" [٢].

وبين ابن منظور: سبب تسمية الكافر بالله تعالى بهذا الاسم فيقول: "إن الكافر لما دعاه الله تعالى إلى توحيده، فقد دعاه إلى نعمة وأحبها له إذا أجابه إلى ما دعاه إليه، فلما أبى ما دعاه إليه من توحيده كان كافراً نعمة الله تعالى أي مغطياً لها بإبائه حاجباً لها عنه" [٣].

﴿**التَّنُّورُ**﴾: **جاء بعدة معان منها:**

*التنور الذي يخبز فيه * وجه الأرض * المرتفع * مفجر الماء، قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾ [هود:٤٠] [٤]، [المؤمنون:٢٧]، ومعنى فار التنور في الآيتين تفجرت الأرض، كما في قوله: ﴿**وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا**﴾ [القمر:١٢] [٥].

﴿**اسْتَوَيْتَ**﴾: استقررت، ومنه استوى على ظهر الدابة: إذا استقر واعتدل عليها، واستوى إلى الشيء: انتهى إليه وقصد إليه بالذات والتدبير [٦].

﴿**لَمُبْتَلِينَ**﴾: ابتليته وأبليته: بمعنى امتحنته واختبرته ويكون بالخير والشر، والنعمة والنقمة، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾ [القلم:١٧] [٧].

﴿**فَاسْلُكْ**﴾: من الجذر الثلاثي سلك، وسلك الطريق: دخل وذهب فيه، قال تعالى: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ**﴾ [المدَّثر:٤٢]، أي يقولون لهم: ما أدخلكم في جهنم وأنفذكم فيها [٨].

---

(١) انظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الرازي، ٢٩٧/١، و"مخطوطة الجمل"، لحسن عزالدين الجمل، ٢٦٤/٤.
(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٠/٦.
(٣) "لسان العرب"، ابن منظور، ٣٨٩٧/٤٣.
(٤) انظر: "اللباب في علوم الكتاب"، سراج الدين الحنبلي، ٤٨٥/١٠.
(٥) "مخطوطة الجمل"، لحسن عزالدين الجمل، ٢٦٣/١.
(٦) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢١١/٣، و"مخطوطة الجمل"، لحسن عزالدين الجمل، ٣٦١/٢.
(٧) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٩٢/١، و"مخطوطة الجمل"، لحسن عزالدين الجمل، ٢١٥/١-٢١٦.
(٨) انظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٥٢/١، و"مخطوطة الجمل"، لحسن عزالدين الجمل، ٣٣١/٢-٣٣٢.

﴿تَرَبَّصُوا﴾: من الجذر الثلاثي ربص، وهو بمعنى انتظر به خيراً أو شراً يحل به، وتربص به: مكث وانتظر، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطُّور:٣١] (١).

ثالثاً: البلاغة: (٢).

في قوله تعالى: ﴿اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ استعارة حيث عبر عن الحفظ والرعاية أو الحراسة بالصنع على الأعين؛ لأن الحافظ للشيء يديم مراعاته في الغالب بعينه.

في قوله تعالى: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ كناية، وهي كناية عن الشدة، مثل: حمي الوطيس، وقيل المراد بالتنور وجه الأرض مجازاً.

قوله تعالى: ﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا﴾ و (تعلمون وعليم) جناس ونوعه جناس اشتقاق .

رابعاً: القراءات:

القراءات في قوله:**(من اله غيرِهِ)** :

١- قرأ أبو جعفر والكسائي: (من إله غيره) بخفض الراء والهاء بعدها.

٢- وقرأ الباقون: (من إله غيرُهُ) برفع الراء وضم الهاء (٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (من إله غيرِهِ) إبطال ألوهية غير الله، فتكون كلمه (غيرِهِ) صفة لـ (إله) حيث إنه مجرور بحرف الجر (من) إتباعاً للفظ.

بينما تفيد قراءة (من إله غيرُهُ) تخصيص الله تعالى بالألوهية، وإثباتها له تعالى وحده حيث إن (من) زائدة، و(غيرُهُ) صفة لـ (إله) على أنه في محل رفع مبتدأ مؤخر خبره (مالكم) (٤).

يقول البقاعي – رحمه الله-: "ودلّ على الاستغراق بقوله: (من إله غيره)" (٥).

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن دعوة نوح عليه السلام لقومه كدعوة سائر الأنبياء فقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده، حيث إنه لا يوجد لهم إله غيره، وكل الآلهة التي يعبدونها من دونه باطلة، لذا

---

(١) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٧٧/٢، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١١٦/١، و"مخطوطة الجمل"، لحسن عزالدين الجمل، ١٦٦/٢-١٦٧.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣١/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٨٤/٢.

(٣) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٢٧٠/٢.

(٤)" إعراب القرآن وبيانه"، درويش، ٥٠٥/٦.

(٥)" نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، ١٣٠/١٣.

يجب عليهم تخصيص العبادة له وحده؛ لأنه المستحق لها دون جميع تلك الآلهة الباطلة.

القراءات في قوله:**(كذبون)**:

١- قرأ يعقوب (كذَّبوني) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٢- وقرأ الباقون (كذّبون) بحذف ياء المتكلم وصلاً ووقفاً [١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى (كذبوني) التصريح بطلب النصر من الله تعالى مع كمال التجاء نوح عليه السلام لربه، وإلقائه بنفسه كلها بين يديه؛ ليأخذ بيده وينصره على قومه الذين كذبوه بشدة واستمرار.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: "وذلك أن المقام يستدعي إبراز ياء المتكلم لأنه مقام التجاء وخوف وخشية، والخوف يستدعي أن يلصق الإنسان بمن يحميه، ويُلقي نفسه كلها عليه ويستدعي أن يلتجئ إلى من ينصره ويأخذ بيده بكل أحاسيسه ومشاعره التجاءً كاملاً [٢].

بينما تفيد القراءة الثانية (كذبون) الطلب الضمني من الله تعالى بإهلاك الكافرين كلياً، فقد اختصر الكلام، واكتفى بالتصريح الضمني وبأقصر الكلام حيث الاجتزاء بالكسرة يدل على الاجتزاء في الكلام.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: "فصرح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح وحذف الضمير، واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح، وهو تناظر جميل، ففي الطلب الصريح صرّح بالضمير، وفي الطلب غير الصريح لم يصرح بالضمير" [٣].

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن نوحاً عليه السلام دعا ربه وهو في كمال التجائه إليه ليأخذ بيده وينصره على قومه بعد أن أوحى إليه ربه أنه لن يؤمن أحد من قومه بعد ذلك وكان دعاؤه الله بأن ينصره دعاءً صريحاً يشمل دعاءً ضمنياً بإنجاز الله تعالى وعده إياه بتعذيب الكفار وإهلاكهم.

١- **القراءات في قوله:(من كل)** : قرأ حفص [٤]: (من كلٍ) بالتنوين.

٢- وقرأ الباقون: (من كلِّ) بغير تنوين على الإضافة [٥] .

---

(١) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٢/٣٣٠.

(٢) "التعبير القرآني"، ص٨٤.

(٣) "بلاغة الكلمة"، ص٢٨.

(٤) حفص بن سليمان بن المغيرة بن ابي داوود الأسدي الكوفي ، قارئ أهل الكوفة ، ولد سنة ٩٠هـ ، وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم، توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: معرفة القراء الكبارعلى الطبقات والأعصار، للذهبي، ١/٥٤ .

(٥) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٢/٢٨٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن قراءة التنوين (من كُلٍ) تفيد أمر الله تعالى لنوح ﷺ أن يحمل معه في السفينة من كل شيء زوجين اثنين، وتكون (اثنين) هنا صفة لـ (زوجين) تفيد التوكيد كما تفيد هذه القراءة شمول الأمر جميع المخلوقات بلا استثناء.

بينما قراءة (من كُلِّ) تفيد أمر الله ﷻ لنوح ﷺ أن يحمل في السفينة اثنين من كل زوجين، أي من كل صنفين، بمعنى واحداً من صنف الذكور وواحداً من صنف الإناث فتكون هذه القراءة مبينة لتلك بأن الزوجين من كل أمة هما من صنفين مختلفين.

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله ﷻ أصدر أمره لنوح ﷺ بأن يحمل معه من كل أمة من المخلوقات زوجين اثنين ذكراً أو أنثى بلا استثناء، وذلك حفاظاً على حياة الأجناس جميعها.

القراءات في قوله: **(أنزلني منزلا)** :

١- قرأ أبو بكر: (أنزلني مَنْزِلاً) بفتح الميم وكسر الزاي.

٢- وقرأ الباقون: (أنزلني مُنْزَلاً) بضم الميم وفتح الزاي [١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (أنزلني مَنْزِلاً) موضع النزول، بمعنى جعله اسماً للمكان كأنه قال: أنزلني داراً مباركاً (والمنزل) اسم لكل ما نزلت فيه [٢]. .

وأفادت القراءة الثانية (أنزلني مُنْزَلاً) فعل النزول، بمعنى أن يكون فعل النزول مباركاً، على المصدر لمعنى الإنزال تقول: أنزلته إنزالاً مباركاً [٣].

يقول الماوردي – رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا**﴾: "قراءة الجمهور بضم الميم، وفتح الزاي، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم وكسر الزاي، والفرق بينهما أن المُنزل بالضم فعل النزول، وبالفتح موضع النزول" [٤].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى يأمر نبيه نوحاً ﷺ أن يدعو حين يستوي على ظهر السفينة أن يكون منزله مباركاً فعلاً وموضعاً، أي: أن يبارك الله مكان نزوله وفعل نزوله.

---

(١) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٢٨٨/٢.

(٢) انظر: "حجة القراءات"، لابن زنجلة، ٤٨٧/١.

(٣) انظر: "المرجع السابق" ، نفس الصفحة .

(٤) "النكت والعيون"، ٥٣/٤.

خامساً: المعنى الإجمالي:

لقد توحدت دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى الناس فكانت الغاية واحدة، وهي تحقيق العبودية لله ﷻ وترك عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل:٣٦] ، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥] ، ودعوة الرسل جميعاً هي الدعوة إلى توحيد الله ﷻ وإخلاص العبادة له وحده، كما جاء في قوله تعالى على لسان نوح وهود وصالح وشعيب: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [هود:٥٠] [(١)].

أولاً: حاجة الناس إلى الرسل والرسالات:

أرسل الله ﷻ رسله إلى عباده، لهدايتهم وإرشادهم طريق الصواب، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وترغيبهم في امتثال أوامر الله ﷻ ونواهيه، وفعل الطاعات والأعمال الصالحة، وتبشيرهم بما يلاقونه عند ربهم من الأجر والثواب العظيم، وجنات النعيم، وترهيبهم من عصيان أوامر الله ﷻ ونواهيه، وتذكيرهم بالأمم الماضية، التي عصت أوامر ربها، وما حل عليهم من العذاب في الدنيا، وتخويفهم بما يلاقونه يوم القيامة من العذاب الشديد في نار جهنم، وكانت الحاجة ماسة إلى إرسالهم، وذلك بسبب بُعدِ الناس عن الله ﷻ وانغماسهم في ملذات الدنيا وشهواتها، بانتهاك محرمات الله تعالى وانخراطهم في الذنوب والمعاصي، وأكل حقوق العباد، ولا يوجد بينهم ناصح أو مرشد يرشدهم إلى الطريق الصحيح، وبطبيعتهم وبعقولهم القاصرة لا يهتدون من ذاتهم إلى معرفة الخير، وكانت الحكمة البالغة أن يبعث الله ﷻ الرسل، وينزل عليهم الرسالات، على فترات من الزمن، بحسب ما تحتاجه كل أمة من الأمم السابقة من الإصلاح، وهدايتهم وحفظهم وحفظ مصالحهم، وأمورهم [(٢)].

وأيضاً الحكمة من إرسال الرسل، حتى لا يكون للناس حجة بعدم إرسال الرسل لهدايتهم، والأخذ بأيديهم إلى الطريق الصحيح، وكانت بعثة الأنبياء عليهم السلام إلى الناس ضرورة، لتقطع عليهم الحجة والمعذرة [(٣)]، فقال تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ**

---

(١) انظر: "بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً، وبعث به خاتمهم محمداً ﷺ"، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ٤٣/١.

(٢) انظر: "أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي"، ص ٤٩، "الإسلام أصوله ومبادئه"، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، ٧٨/٢.

(٣) انظر: "بحر العلوم"، للسمرقندي، ٣٥٨/١، و"التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٦/٦.

الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]. وكانت الحكمة البالغة أن يبعث الله ﷻ الرسل، وينزل عليهم الرسالات، على فترات من الزمن، بحسب ما تحتاجه كل أمة من الأمم السابقة من الإصلاح، وهدايتهم وحفظهم وحفظ مصالحهم، وأمورهم [١].

ثانياً: وحدة الرسالات السماوية:

جاءت وحدة الرسل والرسالات من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣] .

وينبع من هذه الوحدة ثلاثة أمور وهي:

١- **وحدة المصدر**: هو المصدر الذي يتلقى منه الرسل التكليف، وهو من عند الله ﷻ خالق جميع البشر، ولو كان من عند غير الله، لوجدوا فيه أخطاء واختلافاً وتناقضاً، فمن رحمة الله تعالى أن كانت جميع الرسالات من عند الله ﷻ ولما انحرفوا وأضلوا الطريق بعث إليهم رسله [٢].

٢- **وحدة الغاية**: إن الغاية والمهمة التي بعث الله ﷻ جميع رسله وأنبيائه، هي الدعوة إلى الله ﷻ وحده لا شريك له، وطاعته وعبادته على أكمل وجه، وإقامة شرائع هذا الدين، والإيمان برسله جميعهم وبكتبه واليوم الآخر، وهو خطاب تكليفي، وتوحيدي لجميع الرسل، للمحافظة على هذا الدين والعمل به [٣]، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشُّورى:١٣] ، إذاً تكون وحدة هذه الرسالات في الاعتقاد وأصول التوحيد، وليس في الأحكام الفرعية، ويندرج تحتها ما يلي:

١- **عبادة الله ﷻ وتوحيده وعدم الإشراك به.**

٢- **الإيمان بالأسماء والصفات.**

٣- **الإيمان ببعثه جميع الرسل**، والكتب المنزلة والملائكة واليوم الآخر.

---

(١) انظر: "أعلام النبوة"، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ص ٤٩، "الإسلام أصوله ومبادئه"، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، ٧٨/٢.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣١٣٩/٥.

(٣) انظر: "التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي"، ٤١٣/١، و"التفسير الواضح"، د. محمد محمود حجازي، ٤٦١/١، و"الإسلام أصوله ومبادئه"، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، ٩١/٢.

٤- **صيانة الكليات الخمس،** وهي حفظ العقل، والدين والنفس والمال والعرض، ،الحفاظ عليها من أي إخلال بها.

٥- **الدعوة إلى مكارم الأخلاق،** قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى:١٤-١٩] (١).

٣- **وحدة الدين:** إن الدين الذي اختاره الله ﷻ وارتضاه لعباده منذ أن خلق الخلق إلى قيام الساعة هو الإسلام، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ**﴾ [آل عمران:١٩] ، وقد بعث الله ﷻ الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الرسالات والشرائع، وأمرهم بالتبليغ بدين واحد وهو الإسلام، والاستسلام والطاعة والاتباع، ولا يرضى بدين غير الإسلام، ولا يقبل من أحد أي دين غير هذا الدين (٢).

ثالثاً: مهام الرسل:

إن الدعوة إلى دين الإسلام، مهمة الرسل وأتباعهم، وقد قاموا بتبليغ ما أمروا به لأممهم، وبينوا الشرائع أتم البيان، وقاموا بإصلاح الاعتقاد الفاسد الذي كانت عليه أممهم، وإصلاح الناس بالقدوة الطيبة، والأسوة الحسنة في كل قول وعمل، وإصلاح أحوالهم وشئون حياتهم، ومعاملتهم مع الآخرين، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب:٢١] .

ويقول ابن تيمية: "والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة"(٣).

---

(١) انظر: "تفسير التحرير والتنوير"، ابن عاشور، ٥٠/٢٥، و"التفسير الوسيط"،محمد سيد طنطاوي، ٢١/١.

(٢) انظر: "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٧٩/٣، و"في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٣٨٠/١.

(٣) "مجموع الفتاوى"، ابن تيمية، ٩٩/١٩.

دعوة نوح عليه السلام:

ذكر الله ﷻ في هذه الآيات الكريمات قصة نوح عليه السلام مع قومه بشيء من التفصيل، حيث بين الله – سبحانه – موقف نوح عليه السلام مع قومه حينما أنذرهم عذاب الله تعالى وبأسه الشديد وانتقا ممن أشرك، وخالف أمره، وكذب رسله، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [هود:٢٥].

وخص الله ﷻ نوحاً عليه السلام بالذكر لكونه أول نبي شرعت على لسانه الشرائع، وأول نذير على الشرك، وأول من عُذبت أمته، لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض بدعوته، وكان أب البشر كآدم، وأطول الأنبياء عمراً، وصبر على أذى قومه طول عمره، وقيل غير ذلك [١].

١- **عناد قوم نوح وتكذيبهم له:** ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود:٢٧] .

٢- **سبب رفضهم لدعوة نوح:** أي قال السادة والأكابر منهم: ما نوح إلا بشر مثلكم، ورجل منكم يريد أن يترفع عليكم ويتعاظم بدعوة النبوة، وليس له ميزة في علم ولا خلق فكيف يكون نبياً يوحى إليه دونكم وهو مثلكم؟! [٢].

وموانع نبوته تتمثل في: [٣].

- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ أي لو أراد الله – سبحانه – أن يبعث نبياً، لبعث أحد الملائكة من عنده، لأداء الرسالة، ولم يكن بشراً، فإنزال الملك أدعى للإيمان، وأدل على الصدق.
- ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ أي ما سمعنا ببعثة البشر في عهد الأسلاف والأجداد في الدهور الماضية، وهذا ناشئ من اعتمادهم في العقيدة على التقليد وإصرارهم على الكفر والعناد.
- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ وما نوح إلا رجل مجنون فيما يزعمه، أن الله – سبحانه – أرسله إليكم، واختصه من بينكم بالرسالة والوحي.
- ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ أي انتظروا به ريب المنون، واصبروا عليه حتى تستريحوا منه، أو ييأس فيرجع إلى دينكم أو يفيق من جنونه، فهم عرفوا نوح برجحان عقله ولكن مكابرة ومعاندة .

٣- **تحمل الأذى في سبيل الله –تعالى–:** ولما يئس نوح من إجابة دعوته، فقد صبر على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يؤمن معه إلا القليل، دعا نوح عليه السلام ربه أن ينصره ﴿قَالَ رَبِّ

---

(١) انظر: "فتح البيان"، صديق بن الحسين القنوجي، ٢٩٨/٣، وتفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ٩٩٦/٦.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٣/١٨.

(٣) انظر: "جامع البيان في تأويل القرآن"، للطبري، ٢٥/١٩، و "تفسير المراغي"، للمراغي، ١٨/١٨.

انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ فأجاب الله ﷻ دعاءه وأمره بصنع السفينة [١].

٤- **صناعة الفلك:** ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ أي أمرناه أن يصنع السفينة بحفظنا ورعايتنا وتعليمنا وإرشادنا كيفية الصنع، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ فإذا حان وقت قضائنا بالعذاب والهلاك، ونبع الماء من وجه الأرض أو من التنور المخصص للخبز، فاحمل في السفينة من كل فردين مزدوجين ذكراً وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وأن يحمل فيها أهله ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ وهم من سبق عليهم القول من الله – تعالى– بالهلاك، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كابنه وزوجته، والله تعالى أعلم [٢].

ثانياً: نهاية الظالمين:

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ فعند معاينة إنزال المطر العظيم لا تأخذك رأفة بقومك وشفقة عليهم، وطمع في تأخيرهم لعلهم يؤمنون، فإني قضيت أنهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فقد امتثل نوح عليه السلام فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه، قال ابن عباس رضي الله عنهما : "كان في السفينة ثمانون إنساناً، نوح وامرأته سوى التي غرقت، وثلاثة بنين: سام وحام ويافث، وثلاثة نسوة لهم، واثنان وسبعون إنساناً، فكل الخلائق نسل من كان في السفينة [٣].

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ وهو من الدعاء المسنون عند النزول ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ إن في هذا الصنع إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين، دلالة واضحة على صدق الأنبياء فيما جاءوا به عن الله – تعالى– وأنه تعالى فاعل لما يشاء قادر على كل شيء، وإنا لمختبرون بهذه الآيات عبادنا لننظر من يتعظ ويعتبر ويتذكر [٤] .

يقول سيد قطب – رحمه الله–:[٥] "وفي نهاية المطاف نقف وقفة خاشعة أمام جلال الله وعظمته، ممثلة في علمه وعدله ورعايته، وفضله، ورحمته وبره بهذا الإنسان الذي يجحد ويطغى،

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٤/١٨.

(٢) انظر: "تفسير القرآن العظيم"، ابن كثير، ٣٢٧/٣–٣٢٨، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٥/١٨.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٥/١٨.

(٣) انظر: "تفسير القرآن العظيم"، ابن كثير، ٣٢٧/٣–٣٢٨، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٥/١٨.

(٤) "في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٦٠١/٦ .

وما أودعه الله تعالى من القوى والطاقات، وما ركب في كينونته من استعدادات للهدى والضلال، ونقف أمام عظمة العدل الذي يرتب للناس حجة على الله ﷻ لو لم يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، هذا مع احتشاد كتاب الكون المفتوح وكتاب النفس المكنون بالآيات الشواهد على الخالق ووحدانيته، وتدبيره وتقديره، ونقف أمام عظمة الرعاية والفضل والرحمة والبر بهذا المخلوق الذي يكرمه الله تعالى ويختاره على ما يعلم به من ضعف ونقص، ويَكل إليه هذا الملك العريض خلافة الأرض، ومن عجب ذلك أن يأتي على هذا الإنسان زمان يزعم لنفسه أنه استغنى عن ربه استغنى عن رعايته وفضله ورحمته... استغنى عن هدايته ودينه ورسله" .

سادساً: من هدايات الآيات: [1].

١- إثبات النبوة المحمدية بذكر أخبار الغيب التي لا تعلم إلا من طريق الوحي.

٢- تأكيد واقرار حقيقة الإيمان التي جاء بها الرسل جميعاً.

٣- شاءت حكمة الله ﷻ أن يكون الرسل بشراً للاقتداء بهم، مع استنكار الكفار أن يرسل الله رسولاً من البشر، والاعتراض على بشريتهم متكرر في كل زمان، تعرض له كل رسول، فهو اعتراض لا وجه له؛ لأن الملائكة لا يمكن الاقتداء بهم؛ لاختلاف صفاتهم عن البشر، فاقتضى أن يكون الرسول من البشر.

٤- أعداء الإسلام يتهمون الرسل والدعاة بأنهم طلاب دنيا ومناصب وهذا مردود عليهم لأن الرسل جميعاً لم يطلبوا الأجر ولا السيادة على دعوتهم، ورسولنا الكريم ﷺ عُرض عليه كل العروض الدنيوية من منصب وجاه وسيادة ومال ونساء فأبى ترك هذه الدعوة.

٥- من أساليب أعداء الإسلام إطلاق الشائعات ضد الرسل والدعاة واتهامهم بالكذب والافتراء كاتهامهم بالجنون والسحر وغير ذلك، فمن يتعرض من الدعاة لمثل هذا عليه أن يصبر ويحتسب أجره على الله ويستمر في دعوته[2].

٦- وعد الله ﷻ عباده المؤمنين بالنصر، وتوعد الظالمين بالهلاك، فاستجاب ﷻ لنوح عليه السلام فأرسل الطوفان الذي يجرف كل شيء، ويطهر الأرض من رجس الشرك، فتنشأ على نظافة وطهارة الإيمان والتوحيد[3].

---

(١) انظر: "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥١٣/٣، و"التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٣٨/٥.

(٢) انظر: "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥١٣/٣.

(٣) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٣٩/٥.

٧- أمر الله ﷻ لنوح عليه السلام بصناعة السفينة دليل وجوب الأخذ بالأسباب، فالمدد والعون الرباني لا يأتي للقاعدين المستريحين المسترخين، الذين ينتظرون ولا يزيدون شيئاً على الانتظار، لذا ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلين جلسا بباب المسجد لا يعملان بالدرة، وقال: إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

٨- على المسلم الحرص على دعاء الركوب والسفر، فهكذا يحمد الله، وهكذا يتوجه إليه، والدعاء دليل على تأكيد العبد لحاجته لربه واللجوء إليه في السراء والضراء.

٩- من سنن الله ﷻ الابتلاء: ابتلاء للصبر، وابتلاء للشكر وابتلاء للأجر، وابتلاء للتوجيه، وابتلاء للتأديب، وابتلاء للتمحيص، وابتلاء للتقويم، وفي قصة نوح عليه السلام ألوان من الابتلاء له ولقومه ولأبنائه القادمين [١].

المقطع الثاني: قصة هود عليه السلام

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون:٣١-٤١].

أولاً: المناسبة:

ووجه المناسبة بين هذه الآيات وما سبقها هو عطف ﷻ قصة هود عليه السلام على قصة نوح عليه السلام في سياق ذكر للحالات المماثلة لكفار مكة المكذبين بالنبي ﷺ.

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿قَرْنًا﴾ **القرن:** القرن في الناس: أهل زمان واحد [٢]، وهو المدة من الزمان التي قد تصل إلى مائة عام، ويراد به هنا أهله الذين وجدوا فيه، وهم عاد قوم هود عليه السلام.

---

(١) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ٥/١٣٨-١٣٩.

(٢) انظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١/٢٥٢.

﴿أَتْرَفْنَاهُمْ﴾: من الترف، والترف: التنعم، والمترف الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش، وأترفته النعمة: أطغته [١].

﴿ هَيْهَاتَ ﴾: كلمة تستعمل للإنباء ببعد الشيء، وهي اسم فعل ماض [٢].

﴿غُثَاءً﴾: يدور معنى المادة على ارتفاع شيء دنيء فوق شيء، وهو ما يحمله السيل من القماش

﴿الصَّيْحَةُ ﴾: الصوت الشديد [٣].

﴿فَبُعْدًا ﴾: البعد خلاف القرب، والبُعْد والبَعَد: الهلاك [٤].

ثالثاً: البلاغة: [٥].

قوله تعالى: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ **فيها طباق.**

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ تشبيه بليغ، أي كالغثاء في سرعة زواله، ومهانة حاله، وحذف وجه الشبه، وأداة التشبيه فصار بليغاً.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أسلوب إطناب، وذلك ذماً لهم وتسجيلاً عليهم القبائح والشناعات.

قوله تعالى: (تتقون، تشربون، لخاسرون، مخرجون، توعدون) فيه سجع لطيف.

قوله تعالى: (أرسلنا، ورسلنا) جناس ناقص لتغيير بعض الحروف مع الشكل .

رابعاً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون:٣٥] .

أوجه الإعراب:

قوله (أنكم) يحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: الضمير في محل جر مضاف إليه لاسم (أن) المحذوف، والتقدير: أن إخراجكم.

---

(١) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٤٥/١، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٤٥/١، و"لسان العرب"، لابن منظور، ١٧/٩.

(٢) "مخطوطة الجمل"، لحسن عز الدين الجمل، ١٨٠/٥، : "مختار الصحاح"، لزين الدين الرازي، ٢٢٤/١.

(٣) انظر: "التفسير الواضح"، لمحمد محمود حجازي، ٦٢٤/٢.

(٤) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٦٨/١، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣٧/١.

(٥) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٨٤/٢.

الوجه الثاني: يحتمل أن يكون اسم أن هو من (الكاف والميم) في محل نصب [1].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول: على هذا المعنى يكون اسم أن محذوفاً تقديره: إخراجكم، حيث إن الآية تتحدث عن البعث وبعض مشاهد القيامة، حيث كان البعض من الكفار ينكرون البعث يوم القيامة وكأنه ردّ عليهم ﷻ: أيعدكم هؤلاء الكفار ويحذرونكم من النبي ﷺ الذي يقول لكم: إن إخراجكم حق، وعليه يكون الضمير في محل جر مضاف إليه [2].

المعنى الثاني: على هذا الوجه يكون اسم (أن) هو الضمير من (الكاف والميم) ويكون عليه قوله (مخرجون) خبرها، والتقدير: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً، أنكم مخرجون [3].

أثر الاختلاف:

لقد جاء ضمير الكاف والميم مرة في موضع جر مضافاً إلى اسم (أن) المقدر، وجاء مرة في محل نصب اسم (أن) ومخرجون خبرها، والتقدير: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم عظاماً وتراباً، وهكذا تنوع المعاني بتعدد مواقعها من الإعراب.

خامساً: القراءات:

القراءات في قوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾:

١- قرأ أبو عمر وعاصم وحمزة ويعقوب: (إنِ اعبدوا الله) بكسر النون.

٢- وقرأ الباقون: (أنُ اعبدوا الله) بضم النون [4].

القراءات في قوله: ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾:

١- قرأ أبو جعفر والكسائي: (من إله غيرِهِ) بخفض الراء وكسر الهاء بعدها.

٢- وقرأ الباقون: (من إله غيرُهُ) برفع الراء وضم الهاء [5].

---

(١) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، للعكبري، ٩٥٣/٢.

(٢) انظر: "الوسيط"، لمحمد سيد طنطاوي، ٣٢/١٠، و"الجدول في إعراب القرآن"، لصافي، ١٧٧/١٨، و"الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٢٢/١٢.

(٣) انظر: "إعراب القرآن وبيانه"، لدرويش، ٥١٠/٦، و"التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ٥٣/١٨، و"الدر المصون"، للسمين الحلبي، ٣٣٣/٨-٣٣٤.

(٤) انظر: "غيث النفع في القراءات السبع"، للصفاقسي، ٤١٥/١.

(٥) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٢٧٠/٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

"جاءت (أنْ) هنا مفتوحة بالاتفاق في قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ ولها توجيه عند المفسرين حيث يقول الألوسي – رحمه الله–: (أنْ) في قوله ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ مفسرة لتضمن من وصلها بفعل الأمر وقبلها حرف جر مقدر أي أرسلنا فيهم رسولاً بأن اعبدوا الله وحده"(١).

أما قراءة (أنِ اعبدوا الله) فتفيد أنّ هذا الدين الحنيف هو دين يُسر، وليس دين عُسر وهو سهل ميسر على المؤمنين، حيث الكسر لالتقاء الساكنين، والكسرة حركة أكثر خفة من الضم فهي تعبر عن التيسير والتسهيل (٢).

بينما تفيد قراءة (أنُ اعبدوا الله) صعوبة عبادة الله وحدها وثقلها على نفوس المشركين حيث الضمة أثقل الحركات، وتدل على ما هو ثقيل على النفس (٣).

وبالجمع بين القراءات الأربع يتضح أن الله ﷻ أرسل رسله إلى عباده، لهدايتهم وإرشادهم طريق الصواب، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وترغيبهم في امتثال أوامر الله ﷻ ونواهيه، وفعل الطاعات والأعمال الصالحة، وتبشيرهم بما يلاقونه عند ربهم من الأجر والثواب العظيم، وجنات النعيم، وترهيبهم من عصيان أوامر الله ﷻ ونواهيه، وتذكيرهم بالأمم الماضية، التي عصت أوامر ربها، وكانت الحاجة ماسة إلى إرسال الله ﷻ رسولاً للذين نجاهم الله من الطوفان من قوم نوح عليه السلام وإنَ من صدَّق الرسل يؤمن بالله بيسر وسهولة بينما يكون إيمان الكافرين به عسيراً صعباً ثقيلاً على نفوسهم.

القراءات في قوله (هيهات هيهات لما توعدون):

١- قرأ أبو جعفر: (هيهاتِ هيهاتِ) بكسر التاء فيهما.

٢- وقرأ الباقون: (هيهاتَ هيهاتَ) بفتحها فيهما (٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (هيهاتَ هيهاتَ) بالفتح على الإفراد معنى: بعداً بعداً لما توعدون بشأن بعث كل إنسان بعد موته.

---

(١) "رسالة الطالبة أمال الفلاح تفسير القرآن بالقراءات العشر"، ص٢٥٩ .

(٢)" روح المعاني": للألوسي، ٢٣١/٩.

(٣)" انظر: "بلاغة الكلمة"، لفاضل السمرائي، ص١١٤.

(٤) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

بينما تفيد قراءة (هيهاتِ هيهاتِ) بالكسر على الجمع بمعنى: البعد البعد لما توعدون بشأن بعث جميع الخلائق بعد موتها[١].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الكفار يستبعدون أمر بعثهم بعد الموت استبعاداً تاماً بمعنى قولهم: إنه يستحيل بعثكم جميعاً بعد الموت، كما يستحيل بعث أيٍّ منكم بعد موته[٢].

القراءات في قوله (انصرني بما كذبون):

١- قرأ يعقوب: (كذبونيّ) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٢- وقرأ الباقون: (كذبون) بحذف ياء المتكلم وصلاً ووقفاً [٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين تبين التجاء نبي الله هود عليه السلام لربه وإلقائه بنفسه كلِّها بين يدي خالقه يسأله بموجز الكلام صراحة أن ينصره على قومه الذين كذبوه، كما يسأله أن يهلك المكذبين من قومه [٤].

سادساً: المعنى الإجمالي:

أولاً: دعوة هود لقومه:

﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آَخَرِينَ**﴾ أي أوجدنا من بعد قوم نوح عليه السلام الهلكى عاد قوم هود عليه السلام، فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم، وقيل ثمود، وإنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنهم لم يأتهم من مكان غير مكانهم، إنما أوحي إليه وهو من بين أظهرهم [٥]، ﴿**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ أي أرسل الله سبحانه وتعالى رسولاً منهم فدعاهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، فكذبوه وخالفوه لكونه بشراً، فقال لهم: أفلا تتقون الله وتخافون عقابه بعبادتكم للأصنام؟! فالعبادة لا تنبغي إلا لله – جل وعلا–.

---

(١) انظر: "المحتسب"، لابن جني الموصلي، ٩١/٢.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، نفس الصفحة.

(٣) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٣٠/٢.

(٤) انظر:" نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، للبقاعي، ١٤٠/١٢.

(٥) انظر: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، لأبي السعود، ١٣٨/٦، و"أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، للبيضاوي، ٨٦/٤.

ما هم فيه من ترف القصور والبيوت الفارهة:

ثم تحدثت الآيات عن دور الملأ وموقفهم المعادي من الدعوة ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ أي قال أشراف قومه المتصفون بصفات ثلاث هي شر الصفات: (١).

أولها: الكفر بالخالق وجحود وحدانيته.

ثانيهما: الكفر بيوم القيامة، والتكذيب بالبعث والجزاء والحساب، والمعاد الجثماني.

ثالثهما: الانغماس في الحياة الدنيا التي أنعم الله –تعالى– بها عليهم، حتى بطروا وجحدوا النعمة عادي مثلكم ولا ميزة له عليكم فهو يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ أي وأقسموا لئن أظهرتم الطاعة لبشر مثلكم واتبعتموه، إنكم حينئذ تخسرون عقولكم، وتصنعون مجدكم بترككم آلهتكم، واتباعكم إياه غير فضيلة له عليكم.

ثم صرحوا بنفي البعث، وأنه افتراء على الله تعالى ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ أي يعدكم أنكم تخرجون وتبعثون من قبوركم أحياء بعد موتكم وصيرورتكم تراباً وعظاماً بالية؟! ثم قرنوا الإنكار استبعادهم الشديد وقوع ما يدعيه بقوله ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ أي بَعُد بَعُد ما توعدون به أيها القوم من حدوث البعث الجثماني، والعودة للحياة مرة أخرى للجزاء والحساب(٢).

ثم أكدوا إنكار البعث بقولهم ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ قالوا: ما الحياة إلا حياة واحدة وهي حياة الدنيا، فالبعض يموت والبعض يحيا، وأنه لا إعادة ولا حشر ولا بعث، وبعد أن طعنوا في صحة الحشر، طعنوا في نبوة هود فقالوا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي ما هذا الرجل الذي يدعي النبوة إلا مجرد رجل اختلق الكذب على الله – تعالى– فيما جاءكم به من الرسالة والإنذار والإخبار بالمعاد، وما نحن له بمصدقين فيما يدعي ويزعم (٣).

---

(١) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٢/١٢٢–١٢٤.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٨/٤٢.

(٣) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٢/١٢٢–١٢٤.

وعندما يئس هود من إيمان قومه بقولهم ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ففزع إلى ربه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي انصرني على قومي بسبب تكذيبهم إياي للإيمان بك، وتوحيدك، وإثبات لقائك، فأجاب الله دعاءه ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ قال ﷻ مجيباً لدعائه، واعداً له بالقبول لما دعا به: عما قليل من الزمان ليصبحن نادمين على ما وقع منهم من التكذيب والعناد والإصرار على الكفر(١).

ثانياً: انتقام الله – تعالى– من قومه:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وحاق بهم عذاب الله – تعالى– ونزل عليهم سخطه، وورد أنه صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة واحدة مع الريح التي أهلكهم الله بها فماتوا جميعاً، وقيل الصيحة في نفس العذاب الذي نزل بهم.

ثم أخبر ﷻ عما صاروا إليه بعد العذاب النازل بهم، فجعلهم صرعى هلكى كغثاء السيل، وهو الشيء التافه الحقير الذي لا ينتفع به بشيء، وذلك بسبب كفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله ﷺ فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم (٢).

سابعاً: من هدايات الآيات(٣):

١- بيان سنن الله – تعالى– في إرسال الرسل، وما تبتدئ به دعوتهم وهو لا إله إلا الله.

٢- جاء في رسالة التوحيد للشيخ محمد عبدو كلام نفيس عن حاجة البشر إلى إرسال الرسل، وعن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، حيث قال: الرسل يرشدون العقل إلى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته، ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان، على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه، ولا يرفع ثقته بما أتاه الله من القوة، الرسل يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم، وتنازعته مصالحهم، ولذاتهم، فيفصلون في تلك المخاصمات بأمر الله الصادع، ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة، ولا يفوت به المصالح الخاصة، الرسل يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة، يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم، كاحترام الدماء البشرية إلا بحق، مع بيان الحق الذي تهدر له، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق، مع بيان الحق الذي يبيح تناوله، واحترام الأعراض، مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبضاع يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذات الفانية، إلى

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٨/٤٢-٤٣.

(٢) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٢/١٢٤.

(٣) انظر: "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٣/٥١٧-٥١٨، .

طلب الرغائب السامية آخذين في ذلك كله بطرق من الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير حسبما أمرهم الله جل شأنه يفصلون في جميع ذلك، ما يؤهلهم لرضا الله تعالى عنهم، وما يعرضهم لسخطه عليهم، ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى، لمن وقف عند حدود الله وأخذ بأوامره، وبهذا تطمئن النفوس وتثلج الصدور، ويعتصم المرْزوء بالصبر، انتظاراً لجزيل الأجر، أو إرضاء لمن بيده الأمر، وبهذا ينحل أعظم مشكل في الاجتماع الإنساني، لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حله إلى اليوم [١].

٣- الترف يفسد الفطرة، ويغلظ المشاعر، ويسد المنافذ، ويفقد القلوب تلك الحساسية المرهفة التي تتلقى وتتأثر وتستجيب، ومن هنا يحارب الإسلام الترف، ويقيم نظمه الاجتماعية على أساس لا يسمح للمترفين بالوجود في الجماعة المسلمة، والمترفون هم من أشد الناس إنكارا للبعث بعد الموت، ويعجبون من هذا الرسول الذي ينبئهم بهذا الأمر الغريب، واستعمال لفظ هيهات هيهات دليل شدة الإمعان في إنكار البعث الذي يعدهم به التعبير بالغثاء وهو ما جرفه السيل من الحشائش والأعشاب وأشياء مبعثرة لا خير فيها، ولا قيمة لها، ولا رابط بينها، دليل على أنه لم يبق فيهم ما يستحق التكريم، فإذا هم كغثاء السيل، ملقى بلا اهتمام وهو دليل على الطرد من رحمة الله ﷻ وهذا مصير كل فرد و مجتمع يبتعد عن منهج الله [٢].

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثباتها هي ما ينكره الملاحدة هروباً من الاستقامة[٣] .

٥- نكأة عامة المشركين، وهي كيف يكون الرسول رجلاً من البشر دفعاً للحق، وعدم قبوله [٤].

المقطع الثالث: قصة صالح ولوط وشعيب - عليهم السلام-

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آَخَرِينَ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٤٢-٤٤].

أولاً: المناسبة:

عطف الله ﷻ قصص بعض الرسل بعد ذكر قصة نوح وهود -عليهم السلام- وذلك في بيان اطراد سنة الله -تعالى- في استئصال المكذبين رسله المعاندين في آياته كما دلّ عليها قوله

---

(١) انظر: رسالة التوحيد، للأستاذ الشيخ محمد عبدو، ص١١٧، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، 3/٣٩٤، تفسير سورة النساء.

(٢) انظر: "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٣/٥١٧-٥١٨.

(٣) انظر: "المرجع السابق"، نفس الصفحات.

(٤) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٨/٦١.

تعالى: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ [1].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿مَا تَسْبِقُ﴾: "السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم، والسَّبَقُ: الخطر الذي يأخذه السابق"[2].

﴿تَتْرَى﴾: أصلها وترى، وأبدلت الواو تاء، يقال جاء القوم تترى أي: واحداً بعد واحد بعضها على إثر بعض وفريقاً بعد فريق، وبين الجائي وسابقه فترة ومهلة [3].

﴿أَحَادِيثَ﴾: واحدها أحدوثة، الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن، والحديث من هذا؛ لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء [4].

ثالثاً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٤٤].

أوجه الإعراب:

قوله (تترا) تحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: منصوبة على الحال، أي: متتابعين.

الوجه الثاني: منصوبة على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره: إرسالاً متواتراً [5].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول:

يبين الله ﷻ للكافرين أنه سبحانه قد أرسل رسله بالهدى ودين الحق، وكان هؤلاء الرسل يرسلون على فترات متواترة، أي: متوالية، ولكن كان بين الواحد والآخر فترة من الزمن وكل هؤلاء الرسل قد أرسلوا حالة كونهم على وتيرة واحدة ومتتابعين [6].

---

(١) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ٦١/١٨، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٦/١٨-٤٧.

(٢) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٢٩/٣.

(٣) انظر: "مخطوطة الجمل"، لحسن عز الدين الجمل، ١٨٩/٥.

(٤) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٦/٢.

(٥) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، للعكبري، ٩٥٥/٢.

(٦) انظر: "روح المعاني"، للألوسي، ٢٣٥/٩، و"تيسير الكريم في تفسير كلام المنان"، للسعدي، ٥٥٢/١، و"إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، لأبي السعود، ١٣٥/٦.

المعنى الثاني:

أي أن الله – تعالى– قد أرسل رسله إلى عباده مبشرين ومنذرين، واصفاً هذا الإرسال بالتواتر والتتابع، وكأنه قال ﷻ: ولقد أرسلنا إرسالاً متتابعاً [١].

أثر الاختلاف:

احتملت الكلمة الواحدة هنا أكثر من معنى، على اعتبار اختلاف إعرابها، فحيث كانت حالاً كان المعنى متتابعين، ولما كانت صفة لمصدر محذوف كان المعنى أرسلنا رسلاً إرسالاً متتالياً.

رابعاً: القراءات:

القراءات في قوله: **(أرسلنا رسلنا تترى)**:

١- قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (تتراً) بالتنوين.

٢- وقرأ الباقون: (تترا) بغير تنوين.

٣- وقرأ الأصحاب [٢]: (تترا) بالإمالة [٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (تتراً) بالتنوين تتابع الرسل المكلفين بالدعوة إلى الله –تعالى– من الله لأقوامهم بعضهم على إثر بعض.

كما تفيد قراءة (تترا) بالإمالة تقارب زمن كل رسول من سلفه فكان بعضهم يدعو بشريعة من سبقهم، ولا يلزم أن يكون كل منهم له رسالة [٤].

بينما تفيد قراءة (تترا) أن الرسل التي كانت تأتي بشرائع جديدة كانت متقطعة متفاوتة حيث كان بين كل اثنين منهما دهر طويل.

وبالجمع بين القراءات يتبين أن الله – تعالى– لم يترك أمة بدون أن يبعث فيها رسولاً يدعوهم لعبادة الله وحده، لذا فقد أرسل الله ﷻ الرسل الذين منهم من كان يدعو إلى شريعة من

---

(١) انظر: "البحر المحيط"، لأبي حيان، ٥٦٤/٧، و"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، للنسفي، ٣٨٣/٢، و"الدر المصون"، للسمين الحلبي، ٣٥٥٧/١.

(٢) الأصحاب هم: حمزة والكسائي، وخلف. انظر: "شرح طيبة النشر، لابن الجزري، ٢٠/١ .

(٣) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري٣٢٨/٢، و"البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢١٩/١.

(٤) انظر: "النكت والعيون"، للماوردي، ٥٤/٤.

قبله، فَرْدًا بَعْدَ فَرْدٍ ولا يُقَالُ تَتْرَى إِلَّا إِذَا كَانَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ تَعَاقُبٌ مَعَ فَتَرَاتٍ وَتَقَطُّعٌ. وَهُوَ تَتَابُعُ. وَأَمَّا التَّعَاقُبُ بِدُونِ فَتْرَةٍ فَهُوَ التَّدَارُكُ. يُقَالُ: جَاءُوا مُتَدَارِكِينَ، أَيْ مُتَتَابِعِينَ ومنهم من كانوا متتابعين تتقارب أزمانهم ومنهم الرسل الذين كان الله ﷻ يرسلهم بشرائع جديدة فهؤلاء كانوا منقطعين؛ حيث كان يمضي بين كل اثنين منهم دهراً طويلاً [1].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَد..." [2]،

خامساً: المعنى الإجمالي:

بيان ذلك وربطه بالمشاكل المعاصرة ومعالجتها:

أولاً: دور الرسل في دعوة أقوامهم:

﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آَخَرِينَ**﴾ ثم أوجدنا من بعد هلاك قوم عاد أمماً وخلائق وأقواماً آخرين، قيل هم: قوم صالح ولوط، وشعيب، كما وردت قصصهم على هذا الترتيب في سور القرآن، كالأعراف وهود، وقيل هم: بنو إسرائيل والقرون الأمم، ﴿**مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾ أي ما تتقدم كل طائفة مجتمعة في قرن آجالها المكتوبة لها في الهلاك ولا تتأخر عنها [3].

﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى**﴾ سلسلة الرسل متصلة مترادفين يتبع بعضهم بعضاً ترغيباً وترهيباً [4]، وقيل غير متواصلين لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً [5].

﴿**كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا**﴾: أي كلما جاء الرسول أمة بتكليفهم بالشرائع والأحكام، كذبه جمهورهم وأكثرهم، سالكين في تكذيبهم أنبيائهم مسلك من تقدم ذكره ممن أهلكه الله – تعالى– بالغرق والصيحة ﴿**يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾.

---

(١) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ٦١/١٨ .

(٢) "صحيح البخاري".، باب من لم يرق، ١٣٤/٧، ح ٥٧٥٢.

(٣) انظر: "فتح القدير"، للشوكاني، ٥٧٣/٣.

(٤) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٢٥/١٢.

(٥) انظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل"، للخازن، ٢٧٢/٣، و"معالم التنزيل في تفسير القرآن"، البغوي، ٣٦٦/٣، و"تفسير الجلالين"، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ٤٥٠/١.

ثانياً: التحذير من القيادات الضالة:

حذر القرآن الكريم اتباع من فسدت فطرتهم واتبعوا أهواءهم واتخذوا سبيل الغي والشيطان لهم مسلكاً، وطريقاً فهم استبدلوا الحق والصواب بما هو أفظع وأشنع، أولئك مأواهم النار وبئس المصير، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وجعلناهم أخباراً وأحاديث للناس، وهي مع أحدوثة، أو اسم جمع للحديث، وهو ما يتحدث به تلهياً وتعجباً [١].

﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي هلاكاً وتدميراً، وبعداً عن رحمة الله ﷻ لقوم لا يصدقون به ولا برسوله، وهذا وارد على سبيل الدعاء والذم والتوبيخ، والوعيد الشديد لكل كافر [٢].

ثالثاً: المؤامرة:

نبه القرآن العظيم أمة الإسلام إلى عظمة أمر الله تعالى، بالوفاء بميثاقه، وما وعد الله تعالى به بني إسرائيل، من خيرات وبركات، إذا وفوا بهذا الميثاق، حيث وجهت الآيات الكريمة إلى التنظيم الشعبي الإيماني للأمة، كما وجهت إلى الاعتصام بالله، وإقامة شرائعه وحين يشتد البلاء وتجتمع كلمة أعداء الإسلام، على حرب الإسلام وأهله، فلا سبيل للمقاومة إلا بالنصرة التي تقتضي التنظيم المقتدي بهداية القرآن، ومنهج الرسول ﷺ [٣].

هناك فرق عظيم بين القلوب اليقظة المسارعة للقيام بالالتزام بشريعة الله تعالى، والجهاد لنصرة دينه والغيرة على شرعه وأحكامها ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصَّف:٤] ، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، وبين القلوب القاسية التي فسدت فطرتها، وتشربت حب الدنيا ولهوها، وحجبت عن نور الهداية وآثرت القعود على الجهاد، والجبن والسلامة على مواجهة الظالمين، وتحمل الشدائد، حتى فقدت الحس بالمصائب والجراح، كما فقدت القدرة على الحركة، لمواجهة أعظم الأخطار التي تهدد وجودها وهويتها، ودينها ومقدساتها [٤]. والذي يتأمل في واقع المسلمين اليوم، واحتلال العدو لبلادهم في فلسطين والعراق،

---

(١) انظر: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، للبيضاوي، ٨٨/٤، و"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، للنسفي، ٤٧٠/٢.

(٢) انظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، للبغوي، ٣٦٦/٣.

(٣) انظر: خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ٦٩.

(٤) انظر:"المرجع السابق، ص ٧٦ .

والشيشان وغيرها من بلاد الإسلام، ويرى هذا الجمود أو قسوة القلوب، التي لا تمتلك القدرة على الإنكار والحركة والتعاون من أجل الإصلاح والتغيير، يعلم عظمة مسئولية العلماء، والمؤسسات التربوية في إزالة هذه القسوة، وإحياء القلوب، وإعادة الأمة للمقاومة قبل أن تهلك، كما هلك بنو إسرائيل.

فالقلب القاسي، كالصخرة القاسية، لا تنتفع بماء، ولا تنبت غرساً، ولا ثمراً، وكذلك القلب القاسي لا ينتفع بهداية الله تعالى، ولا تحركه مصائب الدنيا، ولا يتفاعل مع أهدافها وهمومها، بل همه أن يعيش لمتعه الشخصية، ومصالحه الذاتية، وقد نجح المستعمر منذ مطلع القرن الماضي ببرمجة الجامعات والمدارس والإعلام لإخراج جيل يعيش لنفسه وروحه، صقيل الوجه، مظلم الروح، ثقافته وأخلاقه غربية، محجوب عن القرآن والسنة، فلا يحسن تلاوة القرآن وآدابه ولا فهمه، فكان من نتائج هذا الجيل، هزائمنا، واحتلال أوطاننا، وهيمنة القيم الغربية والقوانين الوضعية على المؤسسات والمجتمع [1].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:١٦-١٧].

سادساً: من هدايات الآيات: [2].

١- أجل الهلاك والعذاب محدد بميقات معين لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

٢- رحمة الله وحكمته وعدله اقتضى إرسال الرسل في كل الأمم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

٣- الإنذار والوعيد الشديد بالهلاك والدمار لكل قوم لا يصدقون بوجود الله وتوحيده، وإرسال الرسل، فإنهم كما أهلكوا في الدنيا، يكون هلاكهم بالتعذيب في الآخرة أمراً منتظراً مؤكداً حصوله وذلك لعدم استعدادهم للهداية إلى الحق، والأعمال الصالحة التي هي طريق الجنة [3]

٤- كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ [الصَّف:٥] ، ثم بين مصيرهم في جهنم هو الخلود فيها، والبقاء فيها على حال واحدة لا تغيير فيها ولا فناء، وهو

---

(١) انظر: خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ٧٦ -٧٧ .

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٨/١٨.

(٣) روح المعاني، الألوسي، ١٩٧/٣.

خلود أبدي، والله أعلم باستمراره بما يتناسب مع أعمالهم، وكان ذلك الجزاء سهلاً على الله تعالى دون غيره، لأنه القادر على كل شيء، الواحد القهار، يفعل بما تقتضيه الحكمة والعدل، وفي هذا تحقير لشأنهم .

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة:١٢] ، تختل حياتهم، وتضرب في الدنيا والآخرة، ويعيشون عيشة الضنك، والهم، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٤] [(١)].

المقطع الرابع: قصة موسى وهارون – عليهما السلام- مع فرعون و ملئه

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٥-٤٩].

أولاً: المناسبة:

يتابع البيان القرآني سرد أخبار فئة عليا من الأنبياء، بحسب الترتيب الزمني وهنا يخبر الله – تعالى- أنه أرسل موسى وأخاه هارون بالآيات الدالة على صدق نبوتهما لفرعون وملئه، وذلك لإقامة الحجة على مشركي قريش [(٢)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿بِآيَاتِنَا﴾ :**آية:** هي العلامة الواضحة، وسمي خلق الكون آية؛ لأنه علامة على قدرة الله [(٣)].

﴿سُلْطَانٍ﴾: السين واللام والطاء أصل واحد وهو القدرة والقهر، والسلطان: الحجة والبرهان [(٤)].

﴿فاسْتَكْبَرُوا﴾: من الكِبْر: أي العظمة، وكذلك الكبرياء، والكبير المتعالي عن صفات الخلق [(٥)].

---

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١١٢/٩.

(٢) انظر: "التفسير الوسيط"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٦٩٥/٢، و"أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥٢١/٣.

(٣) انظر: "موسوعة الجمل"، لحسن عز الدين الجمل، ١٣٣/١-١٣٤.

(٤) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٩٥/٣، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٥٢/١.

(٥) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٥٤/٥، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٦٥/١٢، و"لسان العرب"، لابن منظور، ١٢٥/٥.

ثالثاً: البلاغة:

(عالين، المهلكين) فيها سجع [١].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

عبد بنو إسرائيل العجل من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة، والأدلة القاهرة على يد موسى عليه السلام من فلق البحر، وإهلاك فرعون، وجنوده في اليم [٢].

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:١٥٤] ، فالطور هو الجبل الذي كانوا يقيمون في واديه، وهو من جبال سيناء، وهو جبل المناجاة، أنزلت التوراة على موسى عليه السلام عنده [٣]، الآية تشير إلى جانب من عناد اليهود، وقسوة قلوبهم، فقد جاءهم موسى عليه السلام بألواح التوراة، فاستشغلوا العمل بما جاء فيها من التكاليف، ولم يأخذوها بعزة وقوة، بل بتثاقل وتراخ، وعدم اقتناع، لأن القلوب لا تزال مشدودة إلى عبادة العجل، فلذا رفع الله تعالى فوقهم الجبل، تهديداً لهم، ليقبلوا العمل بالتوراة، ويأخذوها بقوة وعزم، ويعطوا الميثاق والعهد على ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٧١]. هكذا كان شأن اليهود، عصيان لما يؤمرون به، وعقاب أو تهديد بعقاب من الله تعالى حتى يستقيموا على الجادة [٤].

***ارسال موسى إلى فرعون:**

يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصفهم قبل هذه الآية موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتنا: اليد والعصا اللتان اقترن بهما التحدي وهما السلطان المبين وغيرها من الآيات الملزمة للخصم، فاستكبروا عن اتباعها والانقياد والإيمان بما جاءهم به من عند الله، فاستعلوا على رسلهم وعصوا ربهم، وقيل استعلوا على أهل ناصيتهم ومن في بلادهم من بني إسرائيل وغيرهم بالظلم قاهرين لهم [٥].

---

(١) "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٩/١٨.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٤٦/٢، التفسير الموضوعي لسور القرآن، أ.د. مصطفى مسلم، ص٢٥٦.

(٣) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٤٢/٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ٩٨٤/٦.

(٥) انظر: "جامع البيان من تأويل القرآن"، للطبري، ٣٥/١٩، و"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، ابن عطية الأندلسي، ١٤٤/٤.

***سبب رفضهم لدعوة موسى عليه السلام:**

وكانت صفة فرعون وقومه أمرين: **أحدهما:** الاستكبار والأنفة، **والثاني:** أنهم كانوا قوماً عالين، وكانت شبهتهم هي قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ؟ أي قال فرعون وملأه **(أشراف قومه):** كيف ننقاد لأمر موسى وأخيه هارون، وقومهما بنو إسرائيل خدمنا وعبيدنا المنقادون لأوامرنا؟!...

وهذا المعنى ذاته شبيه بما قالته قريش: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف:٣١]، ولم ينتبهوا أن معيار الاصطفاء للنبوة أو الرسالة إنما هو السمو في الفضائل والصفات التي ينعم الله بها عليهم ويؤهلهم لتلقي الوحي وتبليغه إلى البشر.

***مآل الكافرين وعاقبة الأشرار:**

وكان مآل غطرسة فرعون وقومه: التكذيب بنبوة موسى، وإنزال التوراة على موسى، أما الأول فهو قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ أي كذب فرعون وقومه موسى وهارون فأهلكهم الله بالغرق في يوم واحد أجمعين في بحر القلزم –البحر الأحمر– كما أهلك المستكبرين المتقدمين من الأمم بتكذيبهم رسلهم.

أما الثاني قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي لقد أنزلنا على موسى عليه السلام التوراة المشتملة على الأحكام والأوامر والنواهي، بعد إغراق فرعون وقومه رجاء أن يهتدي بها بنو إسرائيل إلى الحق، بامتثال ما فيها من المعارف والأحكام وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٤٣] (١).

خامساً: الهدايات المستنبطة من الآيات: (٢).

١– نداء الله ﷻ لرسله ليمارسوا طبيعتهم البشرية التي ينكرها عليهم الغافلون، فالأكل من مقتضيات البشرية عامة، أما الأكل من الطيبات خاصة فهو الذي يرفع هذه البشرية ويزكيها، ويصلها بالملأ الأعلى، وهو سبب في استجابة الدعاء خاصة وقت الشدة .

٢– شبهة إنكار النبوة من المنكرين وفي هذه القصة وما سبقها هي واحدة، وهي وحدة البشرية أو قياس حال الأنبياء على أحوالهم، لما بينهم من المماثلة في الحقيقة، وهي شبهة زائفة

---

(١) انظر: "تفسير القرآن العظيم"، ابن كثير، ٤٧٥/٥، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٢/١٨.

(٢) "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٤٠/٥.

باطلة؛ لأن النفس البشرية وإن اشتركت في أصل القوى والإدراك فإنها متباينة فيها فالناس يتفاوتون في طاقات المواهب والأفكار والمدارك، وفي الاستعدادات الفطرية، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠].

المقطع الخامس: قصة عيسى عليه السلام وأمه

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون:٥٠].

أولاً: المناسبة: هذه الآية هي حلقة من سلسلة القصص تشير إلى معجزة الله ﷻ في عيسى عليه السلام وأمه، وما كان من عناية الله تعالى بهما وخلق عيسى من غير أب، بإيجاز يقتضيه المقام، وهو الاستدلال على عظيم قدرة الله تعالى على ما يشاء [١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ الهمزة والواو والياء أصلان، أحدهما: التجمع، والثاني: الإشفاق، والمأوى: مكان كل شيء ﴿آيَةً﴾ يأوي إليه ليلاً أو نهاراً [٢].

﴿رَبْوَةٍ﴾: الراء والباء والحرف المعتل يدل على أصل واحد هو الزيادة والنماء والعلو، والربوة المكان المرتفع وهي الأرض المستوية [٣]، قال سعيد بن جبير: الربوة هي بيت المقدس [٤].

﴿وَمَعِينٍ﴾ المعين، الميم والعين والنون أصل يدل على سهولة في جريان، ومنه معن الماء: جرى وماء معين [٥]، والمقصود أن الله جعل مكان سكناهم في بيت المقدس، تلك المنطقة ذات الخصب، والمياه العذبة.

ثالثاً: البلاغة:

(﴿وَمَعِينٍ﴾) مع ما سبقها (عالين، ومهلكين) فيها سجع [٦].

رابعاً: القراءات:

القراءات في قوله تعالى (ربوة ذات قرار):

١- قرأ ابن عامر وعاصم: (رَبْوَة) بفتح الراء.

---

(١) انظر: "التفسير الحديث"، لدروزة محمد عزت، ٣١٥/٥، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٤/١٨.

(٢) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٥١/١، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٦/١.

(٣) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٨٣/٢، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١١٧/١.

(٤) انظر: "تفسير مجاهد"، ٤٨٥/١.

(٥) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٣٥/٥.

(٦) "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٣/١٨.

٢- وقرأ الباقون: (رُبْوة) بضم الراء [١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذكر العلماء أن العلاقة بين قراءتي (رَبْوة) و(رُبوة) هي علاقة لغوية حيث (رَبوة) لغة تميم، و(رُبوة) لغة قريش [٢].

وبعد التأمل والنظر فإن قراءة (رَبوة) بفتح الراء تفيد تيسير الله تعالى هذا المكان لمريم وابنها عليه السلام وكونه منبسطاً في ذاته ويجري الماء فيه تحت أشجار النخيل التي يمتاز ثمرها بأنه الغذاء الوحيد الذي يغني عن كل ما سواه من الغذاء، وكون المكان مرتفعاً يجعله يشعر بالأمان، من حيث ارتفاعه وكونه كاشفاً للمنطقة المحيطة به.

بينما قراءة (رُبوة) ارتفاع المكان حيث يحتاج كل مكان مرتفع إلى جهد في صعوده كما تفيد أن مريم كانت في شدة، ووضع صعب عليها بسبب حملها بعيسى عليه السلام، من غير أب على غير عادة البشر، حيث الضمة أثقل الحركات، وتعبر عن الثقل والصعوبة، والفتح والضم لغتان من لغات العرب للتسهيل والتيسير على الأمة .

وبالجمع بين القراءتين تبين أن الله تعالى جعلاهما ينزلان بمرتفع من الأرض ذى ثمار وماء جار كثير حيث تعهد مريم وابنها عليه السلام بالرعاية فخفف عنهما ما بهما من شدة، ويسّر لهما (رُبوة) على رغم كونها مرتفعة وتحتاج جهداً لصعودها، فإنها لارتفاعها تكشف ما حولها، وتشعر بالأمان، ، فكان هذا المكان الذي آواهما الله تعالى إليه مهيأ لحياتهما فيه من جميع النواحي [٣].

خامساً: المعنى الإجمالي:

أولاً: مولد عيسى عليه السلام آية من آيات الله – تعالى-:

يقول الله تعالى مخبراً عن عبده عيسى بن مريم عليه السلام وأمه أنه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى [٤].

---

(١) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٢/٢٣٢.

(٢) انظر: "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"، لمكي بن أبي طالب، ١/٣١٣، "الحجة في القراءات السبع"، لابن خالويه، ١/١٠٢، و"تفسير الألوسي"، ٩/٢٤٠.

(٣) انظر: "تفسير المراغي"، ١٨/٢٧.

(٤) انظر: " مختصر ابن كثير"، للصابوني، ٢/٥٦٨.

ثانياً: مسكنه: قال تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾: أي ضممناهما إلى ربوة، أي مكان مرتفع عما حوله، قال أبو هريرة: الرملة، وقال ابن المسيب: هي دمشق، وقال ابن عباس وقتادة: هي بيت المقدس، **ويترجح أن «الربوة» بيت لحم من بيت المقدس لأن ولادة عيسى هنالك كانت، وحينئذ كان الإيواء** [1].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ أي ذات أرض منبسطة وساحة واسعة، وذات ماء طاهر لعين الناظر، والمعين هو: الماء الجاري، وهو النهر الذي قال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[مريم:٢٤] [2] .

من المعلوم أن جميع الأنبياء عليهم السلام بعثوا برسالة التوحيد أي دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] ، ومن هؤلاء الأنبياء عيسى عليه السلام الذي بعث إلى قومه ليدعوهم إلى عقيدة التوحيد؛ وعلى هذا فإن من المتفق عليه أن المسيحية الأولى كانت على التوحيد الخالص بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصَّف:٦] ، وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٢٩-٣٢]، يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: "وهكذا يعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله، فليس هو ابنه كما تدعي فرقة، وليس هو إلهاً كما تدعي فرقة، وليس هو ثالث ثلاثة كما تدعي فرقة، ويعلن أن الله جعله نبياً، لا ولداً ولا شريكاً، وبارك فيه، وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته، والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته" [3].

سادساً: من هدايات الآية:

١- "آية ولادة عيسى عليه السلام من غير أب مقررة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وبعث الناس من قبورهم " [4].

٢- معية الله ﷻ لأنبيائه منذ الطفولة.

---

(١) انظر: " المحرر الوجيز"، ابن عطية، ١٤٥/٤.

(٢) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، مكي بن أبي طالب، ٤٩٧٢/٧، و"معالم التنزيل"، للبغوي، ٦٣٤/٥، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٤/١٨.

(٣)" في ظلال القرآن"، ٢٣٠٨/٤.

(٤) "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥٢٢/٣.

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة المؤمنون من آية (٥١-٩٠)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: من مبادئ التشريع أكل الطيبات.

المقطع الثاني: صفات المسارعين في الخيرات.

المقطع الثالث: إنكار أعمال الكفار، ومشركي قريش وأسبابها.

المقطع الرابع: من نعم الله – تعالى – على عباده.

المقطع الخامس: إثبات البعث بالأدلة القاطعة وإنكار المشركين له.

المقطع الأول: من مبادئ التشريع أكل الطيبات

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥١-٥٦].

أولاً: المناسبة:

بعد بيان قصص بعض الأنبياء المتقدمين، بدأ بتصوير حال الناس بعد أمة الرسل، وأوصاهم ﷻ بجملة من المبادئ في الحياة وهي الأكل من الحلال، والعمل بصالح الأعمال وإدراك أن الملة واحدة، وأن الدين الحق واحد، ولكن الأمم فرقت دينها شيعاً، وذلك ليتجنب الإنسان طرق أهل الضلال [١].

ثانياً: سبب النزول:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **(إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١] ، **وقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢] ، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذِّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك)** [٢].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: الطاء والياء والباء أصل واحد صحيح يدل على خلاف الخبث، والطيبات: ما يستطاب ويستلذ من المباحات في المأكل والفواكه [٣].

والطيبات: طيب: يقال: طاب الشيء يطيب طيباً، فهو طيب، وأصل الطَّيِّبِ: "ما تستلذه النفس، والطعام الطيب في الشرع: ما كان متناولاً من حيث ما يجوز، ومن المكان الذي يجوز، فإنه متى كان كذلك، كان طيباً عاجلاً أم آجلاً لا يستوخم، وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً، لم يطب آجلاً،

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٧/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، و"في ظلال القرآن"، لسيد قطب، ٢٤٧١/٤.

(٢) "صحيح مسلم"، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، ٧٠٣/٢، ح١٠١٥.

(٣) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٣٥/٣، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٩٤/١.

كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، وجاء في قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة:٥]، أنها بمعنى الذبائح [١].

﴿زُبُرًا﴾: الزاء والباء والراء أصلان، **أحدهما:** يدل على إحكام الشيء وتوثيقه، **والآخر** يدل على قراءة وكتابة، ومن زبرة الحديد، وهي القطعة منه [٢].

﴿غَمْرَتِهِمْ﴾: الغين والميم والراء أصل واحد يدل على تغطية وستر، ومنه الغمرة: الانهماك في الباطل واللهو، وسميت غمرة لأنها شيء يستر الحق عن عين صاحبها [٣].

﴿نُسَارِعُ﴾: السين والراء والعين أصل صحيح يدل على خلاف البطء [٤].

رابعاً: البلاغة: [٥].

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ فيها استعارة، حيث شبه ما هم فيه من الجهالة والضلالة بالماء الذي يغمر الإنسان من فرقه إلى قدمه.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ﴾ فيها استفهام إنكاري.

قوله تعالى: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ حذف الرابط (به) أي: نسارع لهم به في الخيرات وحسن حذفه لاستطالة الكلام من أمن اللبس.

قوله تعالى: (فاتقون، فرحون، حين، بنين) فيه سجع .

خامساً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣] .

أوجه الإعراب:

قوله: (زبراً) يحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: النصب على أنه حال من قوله: (أمرهم) أو من ضمير الفاعل في (تقطعوا).

الوجه الثاني: النصب على أنه مفعول به ثاني لقوله (تقطعوا) [٦].

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ٥٢٧/١.

(٢) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٤/٣، و"موسوعة الجمل"، لحسن عز الدين الجمل، ٢٤١/٢-٢٤٢.

(٣) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٩٢/٤-٣٩٣.

(٤) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٥٢/٣.

(٥) "صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٨٨/٢، وانظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٦/١٨.

(٦) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، العكبري، ٢٥٣/٢.

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول: أنهم جعلوا دينهم مع اتحاده قطعاً متفرقة مختلفة، قال المبّرد [١]: (زبراً) فرقاً وقطعاً مختلفة، وأحدها زبور، وهي الفرقة والطائفة، فوصف ﷻ الأمم بأنهم اختلفوا فاتبعت فرقة التوراة، وفرقة الزبور، وفرقة الإنجيل، ثم حرّفوا وبدّلوا، وفرقة مشركة تبعوا ما رسمه لهم آباؤهم من الضلال، وكأنه قال ﷻ: وحال أمرهم في اختلافهم أنه كائن زبراً، أي جماعات متفرقة متقطعة، ويعني أيضاً: أنهم تقطعوا حال كونهم زبراً [٢].

المعنى الثاني: أنهم تقطعوا أمرهم بينهم زبراً أي: جماعات حيث إن كلاً منهم سار على منهج يختلف عن غيره، أي جعلوا دينهم أدياناً مفرقة، أي قطعوا كتاب الله – تعالى– قطعاً، وبهذا يكون (زبراً) مفعولاً ثانياً، وللفعل والفاعل في تقطعوا، والمفعول الأول هو (أمر) في قوله أمرهم [٣].

سادساً: القراءات:

القراءات في قوله: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) :

١- قرأ الكوفيون[٤]: (وإنَّ) بكسر الهمزة وتشديد النون.

٢- وقرأ ابن عامر: (وأَنْ) بفتح الهمزة وتخفيف النون.

٣- وقرأ الباقون: (وأَنَّ) بفتح الهمزة وتشديد النون[٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (وإنَّ) استئناف الكلام بالقول للرسل :إنَّ أمتكم أمة واحدة، أو عطف هذا القول لهم على ما سبق لهم من القول.

وتفيد قراءة (وأَنْ) معنى الصلة أي: هذه أمتكم أمة واحدة [٦].

---

(١) هو العلامة محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، ولد سنة: ٢١٠هـ بالبصرة وتوفي سنة: ٢٨٦هـ ببغداد، له مؤلفات كثيرة أشهرها: الكامل، انظر: الأعلام للزركلي، ١٤٤/٧.

(٢) انظر:" فتح القدير"، للشوكاني، ٥٧٦/٣، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٦/١٨.

(٣) انظر: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، لأبي السعود، ١٣٩/٦، و"الصحيح المسبور"، أد. حكمت ابن بشير بن ياسين، ٤٣٢/٣، و"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، للنسفي، ٤٧٢/٢.

(٤) هم عاصم، وحمزة، والكسائي وخلف، انظر: "البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ص٩.

(٥) انظر:" النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٨/٢، و"البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢١٩/١.

(٦) انظر: "معالم التنزيل"، للبغوي، ٤٢٠/٥، و"التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ٦٩/١٨-٧٠.

بينما تفيد قراءة (وأَنَّ) معنى اللام، والتقدير: لأن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون[1].

سابعاً: المعنى الإجمالي:

أولاً: أكل الحلال والتزام العمل الصالح:

فهذه الآية اشتملت على أمرين كريمين:

أولهما: كلوا من الطيبات:

وثانيهما: اعملوا صالحاً:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ يأمر الله عباده المرسلين – عليهم السلام– بالأكل الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدلَّ هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء – عليهم السلام– بهذا أتم القيام وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً ودلالة ونصحاً فجزاهم الله عن العباد خيراً، وقال الحسن البصري في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ أما والله ما أُمِّروا بأصفركم ولا أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه [2].

ثانياً: منهج الأنبياء عليهم السلام واحد:

الأمة هنا بمعنى الملة، فكل الأنبياء عملوا في معسكر واحد هو معسكر التوحيد، وتحت لواء واحد هو قول: "لا إله إلا الله". ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي إن هذه ملتكم وشريعتكم أيها الرسل ملة واحدة وشريعة متحدة يجمعها أصلٌ هو أعظم ما بعث الله به أنبياءه، وأنزل فيه كتبه، وهو دعاء جميع الأنبياء إلى عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وقيل المراد بالأمة هنا: الدين لقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزُّخرف:٢٢] ، فمرجع أعمال الأنبياء جميعاً إلى الله تعالى، أنا ربكم المتفرد بالربوبية، احذروا عقابي ولا تخالفوا أمري [3].

ثالثاً: تفرق صف المشركين وفرقتهم في المنهج:

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي إن أتباع الأنبياء فرقوا أمر دينهم وقطعوه وفرقوه وصاروا فرقاً وأحزاباً وجماعات كل حزب يفرحون بما هم فيه من الضلال،

---

(١) انظر: "المقتضب"، لأبي العباس المبرد، ٣٤٧/٢، والكشاف، للزمخشري، ١٩٠/٣ .

(٢) "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٤٧٨/٥.

(٣) انظر: " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، لأبي السعود، ١٣٨/٦ ، و "فتح القدير"، للشوكاني، ٥٧٥/٣ .

ويعجبون بما هم عليه معتقدين أنه الحق الصراح ويحسبون أنهم مهتدون [1].

رابعاً: وعيد وتهديد لهؤلاء المشركين:

وهذا ذم واضح للتفرق والتشتت وتوبيخ ووعيد، لهذا قال الله ﷻ مهدداً ومتوعداً لهم ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ أي دعهم يا محمد ﷺ واتركهم في جهالتهم وضلالهم إلى حين موتهم، أو قتلهم ورؤيتهم مقدمات العذاب وبوادره كما قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطَّارق:١٧] ، وقال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣] ، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي أيظنون هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من المال والأولاد لكرامتهم عليهم ومعزتهم عندنا!؟ كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥] ، لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل نفعل ذلك استدراجاً وإنذاراً لهم، لهذا قال تعالى: ﴿بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ و، لذا قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤-٤٥] [2].

ثامناً: من هدايات الآيات:

١- نداء للرسل عليهم السلام للإصلاح في هذه الأرض، فالعمل هو مهمة البشرية لتعمير الأرض وعدم الإفساد فيها، والعمل الصالح هو الذي يميز الصالحين المختارين، فيجعل لعملهم ضابطاً وهدفاً وغاية موصولة بالملأ الأعلى [3].

٢- وحدة الرسل والرسالات يعني وحدة الأمم، فتتلاشى آماد الزمان، وأبعاد المكان، أمام وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسل، ووحدة الطبيعة التي تميزهم، ووحدة الخالق الذي أرسلهم ووحدة الاتجاه الذي يتجهونه أجمعين.

٣- أكدت الآيات أن الرسل صلوات الله عليهم أمة واحدة، ذات كلمة واحدة، وهي كلمة التوحيد ولكن الناس تفرقوا من بعد الرسل أحزاباً متنازعة لا تلتقي على منهج ولا طريق، لأن اتباع غير منهج الله يؤدي إلى التفرق والضلال [4].

---

(١) انظر: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، البيضاوي، ٩٠/٤ و "محاسن التأويل"، للقاسمي، ٢٩٢/٧ .

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٩/١٨.

(٣) انظر: "المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٤٠/٥.

٤- استعمل القرآن الكريم أسلوب التهكم عليهم والسخرية من غفلتهم، إذ يحسبون أن الإملاء لهم بعض الوقت، وإمدادهم بالأموال والبنين في فترة الاختبار، مقصود به المسارعة لهم في الخيرات وإيثارهم بالنعمة والعطاء، وإنما هي الفتنة والاستدراج، وهو نوع من الابتلاء بالخير.

٥- الإسلام دين البشرية جمعاء، ولا يحل الاختلاف فيه، بل يجب التمسك به، وترك ما سواه.

٦- إن الكرامة والمكانة للعبد عند الله ليست بالمال والولد ولكن بالتقوى والعمل الصالح [١].

المقطع الثاني: صفات المسارعين في الخيرات

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦٢].

أولاً: المناسبة:

من شأن القرآن الكريم أن يقابل بين الحق والباطل، فبعد أن ذمّ الله ﷻ الذين فرقوا دينهم بقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أردف بعده صفات من يسارع حقيقة في الخيرات، وهي أربع صفات: خشية الله، والإيمان بآياته، ونفي الشريك له، وأداء حقوقه كالزكاة والكفارة وحقوق الآدميين كالودائع والديون، وقلوبهم خائفة ألا يتقبل منهم [٢].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿خَشْيَةِ﴾:"الخاء والشين والحرف المعتل يدل على خوف وذعر، والخشية الخوف" [٣].

﴿مُشْفِقُونَ﴾: "الشين والفاء والقاف أصل واحد يدل على رقة في الشيء، والشفقة الاسم من الإشفاق"[٤].

﴿وَجِلَةٌ﴾: "الوجل: الخوف" [٥].

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦١/١٨.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦٣/١٨، و"تفسير القرآن الكريم"، عبد الله شحاتة، ٣٤٩٠/١٨.

(٣) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٥٤/٢، وانظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٩١/١.

(٤) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٩٧/٣-١٩٨، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٦٦/١.

(٥) "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣٣٤/١.

﴿سَابِقُونَ﴾:"السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم" [1].

ثالثاً: البلاغة: [2].

قوله تعالى: (يؤمنون، ويشركون) فيه طباق.

قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ استعارة بديعية حيث شبه الكتاب بمن له لسان ينطق مبالغة في وصفه بإظهار البيان وإعلان الأحكام.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ فيها جناس اشتقاق.

قوله: (مشفقون، ويؤمنون، ويشركون، وسابقون) فيها سجع .

رابعاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن ذمّ الله ﷻ الذين فرقوا دينهم بقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ أردفه بصفات الذين يسارعون حقيقة في الخيرات .

١- صفات المسارعين في الخيرات:

- الخشية من الله – تعالى-:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي إن الذين هم من خوفهم من عذاب الله دائمون على طاعته، ويكون الجمع بين الخشية والإشفاق للتأكيد.

- الإيمان بآيات ربهم – جل وعلا -:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي وهم الذين بآيات الله ﷻ الكونية والقرآنية المنزلة يصدقون تصديقاً تاماً لا شك فيه، كإبداع السموات والأرض، وخلق النفس الإنسانية ... إلخ، والآيات المنزلة في القرآن، مثل الإخبار عن مريم – عليها السلام- ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التَّحريم:١٢] .

- عدم الشرك بالله – تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله الأحد الصمد الفرد، الذي لا نظير له ولا كفء له [3]، ويلاحظ أن **الصفة الثانية** ﴿وَالَّذِينَ

---

(١) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٢٩/٣.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦٢/١٨-٦٣، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٨٨/٢.

(٣) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦٤/١٨.

﴿هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ هي الإيمان بالتوحيد ونفي الشريك لله ﷻ وهو توحيد الربوبية، والصفة **الثالثة:** هي توحيد الألوهية والعبادة ونفي الشرك الخفي، فهو لم يقتصر على الصفة الثانية، لأن كثيراً من المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية لقوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾ [لقمان:٢٥] ، ولا يعترفون بتوحيد الألوهية والعبادة .

- وجل القلوب:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أي يعطون ما أعطوا من الصدقة والخير، وقلوبهم خائفة وجلة من أنهم إلى ربهم راجعون وخائفة أن لا يقبل منهم [١]، عن عائشة – رضي الله عنها– قالت: قلت: يا رسول الله ﷺ: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ **أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: (لا يا بنت أبي بكر، أو لا يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل)** [٢]، فالإيتاء لا يقتصر على العطاء المادي من زكاة أو صدقة وإنما يشمل كل حق سواء كان ذلك في حق الله تعالى، أو حق الآدميين.

وترتيب هذه الصفات في غاية الحسن، الصفة الأولى: دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز عما لا ينبغي، والثانية: دلت على أصل الإيمان والتعمق فيه، والثالثة: دلت على ترك الرياء في الطاعات، والرابعة: دلت على الإيتاء بالطاعات مع الخوف من التقصير، ﴿**أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ أي أولئك الذين يبادرون في الطاعات لئلا تفوتهم، ويتعجلون في الدنيا وجوه النفع والإكرام ﴿**فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٨] .

والخلاصة: أن السعادة ليست هي سعادة الدنيا، وإنما سعادة الآخرة بالعمل الطيب، وإيتاء الصدقات، مع الخوف والخشية.

٢- قطع المعاذير وتحقيق العدالة:

وبعد بيان كيفية أعمال المؤمنين المخلصين، ذكر الله ﷻ حكمين من أحكام أعمال العباد: **الأول:** ﴿**وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ إي إن منهاج شرعنا ألا نكلف نفساً إلا قدر طاقتها، وهذا إخبار عن عدله في شرعه، ورحمته بالعباد، وهو أيضاً يريد به التحريض على ما وصف به

---

(١) انظر: "بحر العلوم"، للسمرقندي، ٤٨٣/٢.

(٢) "المستدرك على الصحيحين"للحاكم النيسابوري، تفسير سورة المؤمنون، ٤٢٧/٢، ح٣٤٨٦، صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي: صحيح.

الصالحين وتسهيله على النفوس.

والثاني: ﴿**وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ**﴾ أي ولدينا كتاب الأعمال، أو صحائف الأعمال، وقيل اللوح المحفوظ يبين بدقة وصدق لا يخالف الواقع أعمال الناس في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الجاثية:٢٩].

ثم بين الله ﷻ فضله على عباده في الحساب بعد بيان يسر التكليف فقال: ﴿**وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ أي وهم لا يبخسون في الجزاء من الخير شيئاً، بل يثابون على ما قدموا من الأعمال القليلة والكثيرة، ولا يزاد في عقابهم، فهم لا يظلمون بزيادة عقاب أو نقصان ثواب، بل يعفو الله عن كثير من السيئات" (١).

خامساً: من هدايات الآيات:

١- إن ميزان قبول الأعمال يعتمد على الصفات الأربع، وهي: الخوف من عذاب الله، والإيمان بآيات الله تعالى، وإخلاص العبادة لله ونفى الشرك الخفي، وأداء الواجبات مع الاجتهاد في إيفائها حقها.

٢- نبهت الآيات على خاتمة الإنسان وهي الرجوع إلى لقاء الله تعالى، جاء في الحديث: **(إنما الأعمال بالنيات)** (٢).

٣- إن المؤمنين المتصفين بالصفات المتقدمة هم الذين يبادرون في الطاعات، كي ينالوا بذلك أعلى الدرجات والغرفات، وأما قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ فقال القرطبي: "أحسن ما قيل فيه: إنهم يسبقون إلى أوقاتها، ودلّ بهذا أن الصلاة في أول الوقت أفضل، وكل من تقدم في شيء فهو سابق إليه، وكل من تأخر عنه فقد سبقه وقته، فاللام في (لها) على هذا القول بمعنى (إلى) كما قال تعالى: ﴿**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾ [الزَّلزلة:٥]، أي أوحى إليها" (٣).

٤- "إن الجزاء على الأعمال لا ظلم فيه بزيادة عقاب أو نقصان فلا يظلم ربك أحداً من حقه ولا يحطه عن درجته، بل إن فضل الله واسع، ورحمته وسعت كل شيء، فإنه يعفو ويصفح عن كثير من السيئات لعباده المؤمنين" (٤).

---

(١) "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦٦/١٨.

(٢) "صحيح البخاري"، كتاب بدأ الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٩/١، ح١.

(٣) "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٣٣/١٢.

(٤) "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦٨/١٨.

٥- "شريعة الإسلام يسيرة سمحة، خالية من التعقيد، والله جعل التكاليف في حدود الطاقة فلا عذر لأحد في ترك طاعة الله ﷻ، وتمرد أهل المعاصي، ليس في تكليفهم فوق طاقتهم، إنما العلة أن قلوبهم في غمرة، لا ترى الحق الذي جاء به القرآن، ويتبعون منهجاً آخر" (١).

المقطع الثالث: إنكار أعمال الكفار ومشركي قريش وأسبابها

قال تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ * حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا اليَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون:٦٣-٧٧] .

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله ﷻ أن الدين يسر لا عسر، فلا تكليف إلا بقدر الطاقة أردف ذلك بالإنكار على الكفار والمشركين من قريش ووصفهم بعدة أوصاف وبيّن ﷻ أنه لا ينصر أولئك الكفار، متبعاً ذلك بالعلة من عدم نصرهم، ومثبتاً صحة ما جاء به الرسول ﷺ ولكن الكفار تنكروا عن هذا الطريق، وعدلوا عنه، وقد أنذرهم ربهم بإحلال العذاب عليهم بالقتل يوم بدر، والجوع وغير ذلك فما خضعوا ولا انقادوا لربهم، وعادوا في ضلالهم وهم متحيرون (٢).

ثانياً: أسباب النزول:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّمَا كُرِهَ السَّمَرُ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٧]، **قَالَ: "كَانُوا يَهْجُرُونَهُ وَلَا يُعَمِّرُونَهُ"(٣).**

---

(١) "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٤٧/٥.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧١/١٨-٧٢، و"تفسير القرآن الكريم"، د. عبد الله شحاتة، ٣٤٩٥/١٨.

(٣)" المستدرك على الصحيحين"، للحاكم النيسابوري، ٤٢٨/٢، ح٣٤٨٨، وقال حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه،قال الذهبي: صحيح .

و"أخرج النسائي **عن ابن عباس ﷺ قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز –يعني الوبر والدم– فأنزل الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾** [المؤمنون:٧٦] "[١] [٢].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

﴿غَمْرَةٍ﴾: الغين والميم والراء أصل صحيح يدل على تغطية وستر في بعض الشدة، ومنه الغَمَرْ: الماء الكثير، وسمي بذلك لأنه يغمر ما تحته [٣].

﴿يَجْأَرُونَ﴾: "من جأر: إلى الله، أي: تضرَّع بالدعاء "[٤].

﴿تَنْكِصُونَ﴾: "النون والكاف والصاد كلمة، يقال نكص على عقبيه إذا أحجم عن الشيء خوفاً وجبناً ولا يقال إلا في الرجوع عن الخير" [٥].

﴿تَهْجُرُونَ﴾: الهجر ضد الوصل، والتهاجر التقاطع [٦].

﴿لَنَاكِبُونَ﴾: النون والكاف والباء أصل صحيح يدل على مَيْل أو عدول عن الشيء، والنكباء كل ريح عدلت عن مهب الرياح الأربع [٧].

﴿يَعْمَهُونَ﴾:العين والميم والهاء أصل صحيح يدل على حيرة وقلة اهتداء وتردد في الشيء [٨].

﴿يَعْمَهُونَ﴾: الضاد والراء والعين أصل صحيح يدل على لين في الشيء، ومن ذلك ضرع الرجل ضراعة إذا ذل وخضع [٩].

﴿مُبْلِسُونَ﴾: "الباء واللام والسين أصل صحيح واحد يدل على اليأس، ومن ذلك اشتق اسم إبليس كأنه يأس من رحمة الله "[١٠].

---

(١) " السنن الكبرى"، للنسائي، ٢٤٧/٣ ، ح (٩٦٧) .حكم الألباني، صحيح الإسناد .

(٢) "المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة"، خالد بن سليمان المزيني، ٧٠٩/٢، و"لباب النقول في أسباب النزول"، للسيوطي، ١٣٧/١.

(٣) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٩٢/٤.

(٤) "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٥٢/١.

(٥) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٧٧/٥، وانظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣١٩/١.

(٦) انظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣٢٤/١.

(٧) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٧٤/٥، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣١٩/١.

(٨) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٣٣/٤،وانظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢١٩/١.

(٩) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٩٥/٣، وانظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٨٤/١.

(١٠) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٠٠/١.

رابعاً: البلاغة: [1].

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ فيها استعارة حيث أصل الغمرة الماء الذي يغمر القامة، وشبه ما هم فيه من الجهالة والضلالة بالماء الذي يغمر الإنسان من فرقه إلى قدمه على سبيل الاستعارة.

قوله تعالى: ﴿أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ فيها جناس اشتقاق.

قوله: ﴿فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ استعارة تمثيلية حيث شبه إعراضهم عن الحق بالراجع القهقري إلى الخلف .

خامساً: القراءات:

القراءات في قوله تعالى: (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ):

١- قرأ نافع: (تُهْجِرون) بضم التاء وكسر الجيم.

٢- وقرأ الباقون: (تَهْجُرون) بفتح التاء وضم الجيم [2].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تُهْجِرون) أنكم تهذون، وتأتون مالا خير فيه من الكلام، يقول مكي بن أبي طالب – رحمه الله–: "والحجة من ضم الجيم أنه جعله من الهجْرُ وهو الهذيان ومالا خير فيه من الكلام" [3].

وأفادت قراءة (تَهْجُرون) أنكم تقاطعون آيات الله، وتعرضون عنها، ولا تؤمنون بها، وهو من القطيعة .

وبالجمع بين القراءتين ينكشف أمر مشركي قريش الذين كانوا يتفاخرون بأنهم خدّام البيت وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون، وكانت عامّة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسبّ رسول الله ﷺ أو يتهجرون بالفحش من الكلام البذيء. والهجر بالضم الفحش، ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى. والهجر بالفتح الهذيان، فكانوا يقاطعون رسول الله ﷺ كما يقاطعون القرآن فيهجرونه ولا يؤمنون به، فكانوا يسمرون بقول الفاحش والسوء، ويسمرون بما

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦٩/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٨٨/٢.

(٢) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٩/٢.

(٣) "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"، ١٢٩/٢، للإمام ابن أبي مريم، و"القراءات وأثرها في علوم العربية"، د. محمد سالم محيسن، ٥٣٥/١.

يجعلهم يهجرون الإيمان بالقرآن [1].

(أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ):

١- قرأ ابن عامر: (خَرْجاً فَخَرْجُ) بفتح الخاء وإسكان الراء فيها.

٢- وقرأ حمزة والكسائي وخلف: (خَرَاجاً فَخَرَاج) بفتح الخاء والراء وألف بعدها.

٣- وقرأ الباقون: (خَرْجا) بفتح الخاء وإسكان الراء و(فَخَرَاج) بفتح الخاء والراء وألف بعدها [2].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (خَرْجاً فَخَرْجُ) مقارنة عطاءٍ قليل منهم بعطاء الله ﷻ والغرض التوبيخ للمشركين بسؤال يستنكر عليهم أنهم لا يؤمنون بسبب طلبك منهم قليل العطاء فعطاء ربك خير.

وتفيد قراءة (خَرَاجاً فَخَرَاج) عدم إيمانهم خوفاً من إتاوة تلزمهم بها، فما جعله الله لك من الثواب خير [3].

بينما تفيد قراءة (خَرْجاً) و(فَخَرَاج) خوف المشركين من سؤالك إياهم عطاءً قليلاً فإن ما جعله الله لك عطاءً كثيراً دائماً لك منه خير [4]. .

وبالجمع بين القراءات يتبين أن الله ﷻ يوبّخ المشركين ويستنكر عليهم عدم إيمانهم بالتعريض ببخلهم، ويخفف عن نبيه وحبيبه ﷺ بأنه لا يطلب منهم أجراً على أداء الرسالة ورزق رَبِّكَ في الدنيا أو ثوابه في العقبى. خَيْرٌ لسعته ودوامه ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله إياه، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ تقرير لخيرية خراجه – تعالى- [5].

القراءات في قوله(لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ):

١- قرأ دوري الكسائي: (طُغْيَانِهم) بالإمالة.

٢- وقرأ الباقون: (طغيانهم) بغير إمالة.

---

(١) انظر: المراجع السابقة، نفس الأجزاء والصفحات، والكشاف ١٩٤/٣.

(٢) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣١٥/٢.

(٣) انظر: "البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ص٢١٩.

(٤) انظر: "المرجع السابق، نفس الصفحة .

(٥) انظر: "تفسير البضاوي"، ٩٢/٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (طُغْيَانهم) بالإمالة ميل المشركين عن الحق بظلمهم وكفرهم، واستكبارهم وعداوتهم للنبي ﷺ.يقول البقاعي: "أي عادلون متنحُّون مائلون منحرفون في سائر أحوالهم سائرون على غير منهج أصلاً، بل ضبط عشواء لأنه يجوز أن يراد مطلق الصراط، وأن يراد النكرة الموصوفة بالاستقامة"(١).

وبالجمع بين القراءتين تظهر طبيعة المشركين التي تأبى إلا الميل والانحراف عن الحق وإفراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين ويَعْمَهُونَ عن الهدى والاستمرار والتمادي في الضلال وعداوة النبي ﷺ، ولكون هذه طبيعتهم فهم يتحولون عنها فيتملقون النبي ﷺ لإصابتهم بالقحط، فإذا رحمهم الله فكشف عنهم ما أصابهم من فسيرجعون لطبيعتهم الدائمة(٢).

سادساً: المعنى الإجمالي:

أولاً: صفات المشركين:

١- جهالة وضلالة في منطق الحق:

قال تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي بل قلوب الكفار والمشركين في غفلة وضلالة من هذا البيان الشافي في القرآن الكريم، ومن هدايته لأقوم الطُرُق، وإسعاده للناس في دنياهم وآخرتهم.

٢- فساد الأعمال:

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ أي ولهم أعمال سيئة غير ذلك، أي غير الغفلة والجهل، وهو الشرك والطعن في القرآن، وإيذاء النبي ﷺ والمؤمنين هم لها عاملون طمعاً في المستقبل، وإنما قال ذلك؛ لأن تلك الأعمال مثبتة في علم الله ﷻ وفي اللوح المحفوظ، مكتوبة مسجلة عليهم سلفاً، لإحاطة علم الله تعالى بها، وعلم الله تعالى لا يتغير (٣).

قال رسول الله ﷺ : **(إن أحدكم يجمع في بطن أمة أربعين يوماً، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه، وأجله، شقي أو سعيد، فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل**

---

(١) انظر: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، ١٣/١٧٠ .

(٢) "انظر: "تفسير البضاوي"، ٤/٩٢.

(٣) "مفاتيح الغيب"، الفخر الرازي، ٢٣/٢٨٠٥.

ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخله)[1].

ثانياً: المتنعمون والبطرون في الدنيا:

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ أي حتى إذا أوقعنا مترفيهم وهم أغنياؤهم وكبراؤهم[2] وهم المتنعمون البطرون في الدنيا في العذاب الشديد، والبأس والنقمة بهم قيل: قتلهم يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم النبي ﷺ فقال: **(اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسني يوسف)** [3]، فقحطوا حتى أكلوا الجيف، والكلاب، والعظام المحرقة، فصرخوا واستغاثوا [4].

قال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل:١١-١٢] ، ﴿لَا تَجْأَرُوا اليَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ أي لا فائدة ولا جدوى من الصراخ، فلا يدفع عنكم ما يراد إنزاله بكم، وقد لزم الأمر، ووجب العذاب، ولن تجدوا ناصراً ينصركم، ويحول بينكم وبين العقاب الأليم.

وأسباب حجب نصر الله ﷻ لهم وإيقاع الجزاء ثلاثة هي:

١- قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ أي متى تُليت عليكم آيات القرآن، نفرتم منها، وأعرضتم عن سماعها، وعمن يتلوها، كما يذهب الناكص على عقبيه وهو الرجوع القهقري، تأخراً عن الإيمان [5].

٢- قال تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ أي إن حال نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه يكونوا مستكبرين استكباراً عليه (أي على الحق) واحتقاراً له ولأهله، فيكون الضمير (به) على ثلاثة أقوال: [6].

أ. "عائد إلى البيت العتيق أو الحرام، فإنهم كانوا يفتخرون به، ويعتقدون أنهم أولياؤه.

ب. عائد إلى القرآن فإنهم كانوا يصفون القرآن بأنه سحر أو شعر أو كهانة.

---

(١) "صحيح البخاري"، باب خلق آدم عليه السلام وذريته، ١٣٣/٤، ح٣٣٣٢.

(٢) انظر: "التسهيل لعلوم التنزيل"، ابن جزي الكلبي، ٥٣/٢.

(٣) "صحيح البخاري"، باب دعاء النبي ﷺ، ٢٦/٢، ح١٠٠٦.

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، للبيضاوي، ٩١/٤.

(٥) انظر:" معالم التنزيل"، للبغوي، ٣٦٩/٣.

(٦) "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٤٨٢/٥، وانظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧٣/١٨.

ج. عائد إلى محمد ﷺ كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويقولون عن النبي ﷺ: إنه ساحر أو شاعر أو كاهن كذاب أو مجنون، وكل ذلك باطل، فالقرآن حق، ومحمد نبي الحق.

٣- قال تعالى: ﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ أي "سُمَّاراً حول البيت، تتركون القرآن، أو تأتون بالهذيان فتسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه، وعلى هذا متعلق كلمة (به) بـ (سامراً) "(١).

وبعد أن وصف حالهم أبان أن إقدامهم على هذه الأمور لابد من أن يكون لأحد أسباب أربعة وهي: (٢).

١- قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ﴾ أي أفلا يتفهم المشركون هذا القرآن العظيم؟ مع أنهم خصّوا به، وهو معروف لهم بياناً وفصاحة وبلاغة، ولم ينزل على رسول أكمل وأشرف منه.

٢- قال تعالى: ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾ أي اعتقدوا أن مجيء الرسل أمر على خلاف العادة، مع أنهم عرفوا بالتواتر أن الرسل تتالت على الأمم، مؤيدة بالمعجزات.

٣- قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ أي ربما لم يكونوا عارفين رسولهم بحاله العالية قبل النبوة، مع أنهم عرفوه بالصادق الأمين، فكيف كذبوه بعد أن اتفقوا على تسميته: (بالصادق الأمين)، ولهذا قال جعفر بن أبي طالب ﷺ للنجاشي ملك الحبشة: "أيها الملك، إن الله بعث فينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته.

٤- قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي بل إنهم يقولون عن النبي ﷺ إن به جنوناً لا بالقول مع أنهم يعلمون أنه أرجح الناس عقلاً ورأياً (٣).

ثم رد الله ﷻ عليهم مبيناً السبب الحقيقي في عدم إيمانهم فقال: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ أي بل جاءهم الرسول الصادق الأمين بالحق الثابت الذي لا محيد عنه، وهو توحيد الله تعالى والتشريع المحقق للسعادة لكنَ أكثرهم كارهون لهذا الحق لتأصل الشرك في قلوبهم، وتمسكهم بتقاليد الآباء والأجداد وحفاظهم على المناصب ومراكز الزعامة والرياسة، وإنما قال (أكثرهم) لأن بعضاً منهم تركوا الإيمان أنفة واستعلاء لا كراهة للحق، كما حكي عن أبي طالب عم النبي ﷺ (٤).

---

(١) "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، البيضاوي، ٩١/٤، وانظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧٤/١٨.

(٢) "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٤٨٢/٥.

(٣) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧٣/١٨-٧٤.

(٤) "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٤٨٢/٥، وانظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧٤/١٨.

ثالثاً: فساد أهواء المشركين:

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ في الحق هنا قولان، أحدهما: أنه الله، قاله الأكثرون، والثاني: أنه التنزيل، أي لو نزل بما يريدون لفسدت السموات والأرض، وفي اتباع أهوائهم قولان: لو اتبع أهواءهم فيما يشتهونه، والثاني: فيما يعبدونه ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ يحتمل أيضاً وجهين: (١)

أحدهما: لفسد تدبير السموات والأرض لأنها مدبرة بالحق، لا بالهوى.

والثاني: لفسدت أحوال السموات والأرض لأنها جارية بالحكمة لا على الهوى، فالحق أن الهوى لا يتبع بل الواجب على الإنسان ترك الهوى واتباع الحق، فإن اتباع الهوى يؤدي إلى الفساد العظيم فلو جاء القرآن مؤيداً الشرك بالله وبالوثنية، شارعاً ما فيه من الفوضى والانحراف كإباحة الظلم وترك العدل، وإقرار النهب والسلب، وإهمال القيم لاختل نظام العالم، ووقع التناقض.

ثم شنَّع الله ﷻ عليهم لإعراضهم عن معالم الحق والهدى والخير فقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي بل جئناهم بالقرآن الذي هو وعظهم أو فيه شرفهم وفخرهم، وإعلاء سمعتهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزُّخرف:٤٤] ، ولكنهم معرضون عن هذا الذكر الذي سطر لهم الخلود والمجد، ثم أوضح النبي ﷺ إخلاصه في دعوته، وأنه لا يطمع فيهم حتى يكون ذلك سبباً للنفرة فقال: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٢) أي تسألهم مالاً فقلقوا بذلك، واستثقلوا من أجله (٣) أم تسألهم أجراً على تبليغ الرسالة والدعوة إلى الهداية، ورفع الشأن حتى لا يؤمنوا بك ويملوك ويبغضوك؟! وهذا بعيد، فالنبي ﷺ لا يطلب عوضاً عن القيام بمهمته، وما عند الله خير، وهو يؤتيه الأجر على طاعته له والدعاء إليه خير من عرض الدنيا (٤).

رابعاً: دعوة الرسل بدون الأجر:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ﴾ [سبأ:٤٧] ، فهم غير معذورين في عدم الاستجابة لدعوة النبي ﷺ فقد أيده الله ﷻ بدستور رفيع للحياة البشرية، وليس له

---

(١) انظر: "النكت والعيون"، للماوردي، ٦٢/٤، و"زاد المسير"، لابن الجوزي، ٢٦٧/٣.

(٢) انظر: "مفاتيح الغيب"، للفخر الرازي، ٢٨٧/٢٣، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧٦/١٨.

(٣) انظر: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، لابن عطية الأندلسي، ١٥١/٤.

(٤) انظر: "الجامع لأحكام القرآن الكريم"، للقرطبي، ١٤١/١٢.

مطمع مادي في ملك ولا جاه ولا مال، ثم أبان الله ﷻ صحة ما جاء به النبي ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي وإنك يا محمد لتدعو الناس قاطبة، ومنهم هؤلاء المشركين من قريش إلى الطريق المستقيم الذي تشهد له العقول السليمة باستقامته، ليس فيه شائبة ولا اعوجاج(١).

فهو سبيل العزة والكرامة، والخير والسداد، وهو الإسلام الشافي والعلاج الوافي لكل البشرية كما شهد بذلك أعداء الإسلام، وعباقرة العلم والمعرفة.

خامساً: تنكب الطريق:

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ أي وإن المكذبين بالآخرة الذين لا يصدقون بالبعث بعد الموت لجائرون منحرفون عن هذا الطريق، طريق الحق والاستقامة، ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي هؤلاء الكفار لو أسبغنا عليهم واسع رحمتنا وأزحنا عنهم الضر، وأفهمناهم القرآن لما آمنوا به، ولتمادوا في ضلالهم، واستمروا في كفرهم وعنادهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣] (٢)، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي ولقد ابتليناهم بالمصائب والشدائد فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة، بل استمروا في غيهم وضلالهم وما خضعوا وتذللوا لربهم كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام:٤٣] (٣).

سابعاً: من هدايات الآيات: (٤).

١- موقف المشركين من القرآن والرسل والدعاة يتكرر في كل زمان ومكان، في بهجهم في نواديهم، وفي سمرهم، فتتخذ منه مادة للسخرية والهزء والاتهام، ومثل هؤلاء في كل زمان وليست جاهلية العرب إلا نموذجاً لجاهليات كثيرة خلت في الزمان، وما تزال تظهر الآن وبعد الآن!

٢- فنّد القرآن الكريم الشبهات التي تصرفهم عن الإيمان شبهة شبهة، وهذا أسلوب جيد في الرد على الخصوم، للدعاة أن ينتفعوا به.

---

(١) انظر: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، لأبي السعود، ١٤٥/٤.

(٢) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٤٢/٢.

(٣) انظر: "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية"، لنعمة الله الخجواني، ٥٧٤/١.

(٤) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٤٧/٥-١٤٨.

٣- لا يمكن للحق أن يدور مع الهوى، فبالحق تقوم السموات والأرض، وبالحق يستقيم الكون كله، فالحق واحد ثابت، والأهواء كثيرة متقلبة.

٤- هذه الأمة التي جاء لها الإسلام هي أولى الأمم باتباع الحق الذي يتمثل فيه، وما كان لها من ذكر لولا الله ﷻ في العالمين، وقد تضاءل ذكرها عندما تخلت عنه، فلم تُعَد في العير ولا في النفير، ولن يقوم لها ذكر إلا يوم أن تفيء إلى ربها.

٥- لا يجوز للدعاة طلب شيء من الناس على دعوتهم، فهم يفرون ممن يسألهم الأجر على الهداية، فما عند ربك خير مما عندهم، وهذا هو منهج الرسل – عليهم السلام-.

المقطع الرابع: من نعم الله تعالى على عباده

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون:٧٨-٨٠].

أولاً: المناسبة:

"بعد أن بين الله تعالى إعراض المشركين عن تدبر القرآن، وفهم أدلة وجود الله ووحدانيته وقدرته، أعقبه ببيان أوجه النعم العظمى على عباده، ليسترشدوا بها على وجود الله وقدرته، وتلك النعم هي الأسماع والأبصار والأفئدة وهي العقول والأفهام التي يذكروا بها الأشياء، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله ﷻ، وأنه الفاعل المختار لما يشاء" (١).

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿أَنْشَأَ﴾: خلقه، وأنشأ: ابتدأ (٢).

﴿ذَرَأَكُمْ﴾: ذرأ خلق، ومنه الذرية، وهي نسل الثقلين (٣).

﴿الأَفْئِدَةَ﴾: جمع مفرده (الفؤاد) وهو القلب، وقيل: وسطه، وقيل: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه (٤).

---

(١) "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٨٢/١٨، وانظر: "مفاتيح الغيب"، الفخر الرازي، ٢٨٩/٢٣.

(٢) انظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣١٠/١، و"لسان العرب"، لابن منظور، ١٧٠/١.

(٣) انظر: "لسان العرب"، لابن منظور، ٧٩/١.

(٤) انظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٣٣/١، و"لسان العرب"، لابن منظور، ٣٢٩/١.

ثالثاً: البلاغة: [1].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ فيها امتنان.

قوله تعالى: ﴿السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ أفرد السمع وجمع الأبصار تفنناً.

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ فيها تنكير للتقليل، و(ما) لتأكيد القلة المستفادة من التنكير والمعنى: شكراً قليلاً، وهو كناية عن عدم الشكر.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ.

قوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بينهما طباق .

رابعاً: التفسير الإجمالي:

١- تعدد نعم الله – تعالى – على عباده:

هذه نعم الله لا تحصى، وتلك آيات وآلاء لا تستقصى، وكان الواجب أن تشكروا صاحب النعم، فشكر المنعم واجب، ولكن قليلاً ما تشكرون، حيث امتن الله ﷻ على عباده بنعم عظيمة دالة على قدرته وحكمته وعلمه منها الحواس من سمع وبصر وغيرها، ووفقهم لاستعمالها، وكان من حقهم أن يستفيدوا بها؛ ليستبين لهم الرشد من الغي، لكنها لم تغن عنهم شيئاً، فكأنهم فقدوها كما قال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ [الأحقاف:٢٦] ، فالله ﷻ أحدث لكم السمع لتسمعوا به الأصوات التي تخاطبون بها، والأبصار لتشاهدوا بها الأضواء والألوان، والعقول لتفهموا بها ما ينفعكم، وخص هذه الثلاث بالذكر لأنها طريق الاستدلال الحسي والعقلي لمعرفة الموجودات، وذكرها على الترتيب لما أثبته الطب أن الطفل في الأيام الثلاثة الأولى يسمع ولا يبصر، ثم يبدأ بالرؤيا بعد ذلك، ومن الواضح تأخر العقل عن ذلك، وما أقل شكر الناس لله ﷻ على آلائه ونعمه العظيمة [2].

٢- دور الدعاة في عمارة الأرض:

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي الله ﷻ الذي خلقكم بثكم في الأرض لعمارتها وتحضرها ووزعكم في أقطارها مع اختلاف أجناسكم لهو قادر يوم القيامة على جمعكم

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٨/٨١-٨٢، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢/٢٩٤، و"التفسير الوسيط"، لطنطاوي جوهر، ١٠/٥٦.

(٢) انظر: "تفسير المراغي"، للمراغي، ١٥/٤٥، وتفسير البيضاوي، ٥/٢٣١.

لميقات يوم معلوم فلا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أعقب الله ﷻ ذكر الحشر بذكر الإحياء لأن البعث إحياء للاستدلال على إمكان البعث، وذكر الإماتة لمناسبة التضاد، لأن فيها دليل على عظيم القدرة والقهر، ولما كان من الإحياء خلق الإيقاظ، ومن الإماتة خلق النوم، كما قال تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمر:٤٢] (١).

٣- التفكر في الكون والتعرف على قدرة الله – تعالى-:

﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي ولله وحده تسخير الليل والنهار، وجعل كل منهما يطلب الآخر يتعاقبان لا يفترقان، ولا يفتران بنظام دقيق وزمان مجدد كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠] ، ثم حذر تعالى من ترك النظر في كل هذا فقال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي أفلا تتفكرون في هذه الأشياء التي تدلكم على قدرة الله ﷻ وربوبيته ووحدانيته ألا تدلكم عقولكم على العزيز الحكيم الذي خضع له كل شيء لتعلموا أن الله قادر؟؟! فحين ينبهك ربك ﷻ إلى التأمل في صنعته لإيصالك ﷻ إلى مراده (٢).

خامساً: من هدايات الآيات: (٣)

١- وجوب الشكر لله تعالى بطاعته على نعمه ومن بينها نعمة السمع والبصر والقلب.

٢- الإقرار بالبعث والجزاء بما تضمنته الآيات من الأدلة العديدة على ذلك .

المقطع الخامس: إثبات البعث بالأدلة القاطعة وإنكار المشركين له

قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لله قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [المؤمنون:٨١-٩٠].

---

(١) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٠٥/١٨.

(٢) "الخواطر"، للشعراوي، ١٠١٢٠/١٦.

(٣) انظر: "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥٣٣/٣.

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى أدلة التوحيد في الكون والأنفس، أعقبها ببيان إنكار المشركين البعث والحشر مع وجود الأدلة وذلك تقليداً للأولين، مما يدل على فساد القول بالتقليد وهي حكاية استدراكية للكفار كلما تكرر إنذارهم بالبعث والجزاء الأخرويين [١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿مَلَكُوتُ﴾: الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، والملكوت من المُلك[٢].

﴿تُسْحَرُونَ﴾: "السِّحر هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال: هو الخديعة" [٣].

ثالثاً: البلاغة: [٤].

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حذف جواب الشرط ثقة بدلالة اللفظ عليه، أي إن كنتم تعلمون ذلك فأخبروني عنه.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، و﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فيه استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ.

قوله تعالى: ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ﴾ طباق سلب .

رابعاً: القراءات:

القراءات في: **(أَءِذا، أَءِنَّا)**.

١- قرأ نافع والكسائي ويعقوب: (أَءِذَا، أَءِنَّا) بالاستفهام في الأول، والإخبار في الثاني.

٢- وقرأ الباقون: (أَءِذا، أَءِنَّا) بالاستفهام فيهما [٥].

القراءات في قوله: **(مِتْنَا)**:

١- قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي وخلف: (مِتْنا) بكسر الميم.

---

(١) انظر: "مفاتيح الغيب"، للفخر الرازي، ٢٨٩/٢٣، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٨٦/١٨، و"التفسير الحديث"، لدروزة محمد عزت، ٣٣١/٥.

(٢) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٥١/٥، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٩٨/١.

(٣) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٣٨/٣، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٤٣/١.

(٤) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٨٥/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٩٥/٢.

(٥) انظر: "البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢٢٠/١.

٢- وقرأ الباقون: (مُتْنَا) بضم الميم [١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (أءِذَا، إنّا) الاستفهام الإنكاري للبعث والتعجب من إمكانية حدوثه وتفيد قراءة: (أءذا، أءنّا) إنكار البعث واستبعادهم له.

بينما تفيد قراءة (مِتْنَا) مفارقة الروح للجسد حيث يصبح الجسد جثة لا روح فيها، كما تفيد قراءة (مُتنا) حدوث الموت وحدوث البلَى بعده.

يقول البقاعي – رحمه الله-: "ولما كان معنى الاستفهام الإنكاري النفي، حسن بعده كل الحسن قوله: (بل) وعدل إلى أسلوب الغيبة للإيذان بالغضب بقوله (قالوا) أي هؤلاء العرب (مثل ما قال الأولون) من قوم نوح ومن بعده، ثم استأنف قوله (قالوا) أي منكرين للبعث متعجبين من أمره، (أإذا متنا وكنا) أي بالبلى بعد الموت (تراباً وعظاماً نخرة) ثم أكدوا الإنكار بقولهم (أإنّا لمبعوثون) أي من باعث ما" [٢].

بالجمع بين القراءات الأربع يخبر الله ﷻ عن كفار مكة الْأَوَّلُونَ وآباؤهم ومن تبعهم قالُوا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ استبعادا ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضا ترابا، فخلقوا، وتأكيد إنكار البعث بأسلوب الاستفهام الإنكاري، فهم ينكرون البعث ويتعجبون منه حيث ينكرون إعادة الروح للجسد بعدما أصبحت جثة لا روح فيها ويستبعدون عودة الحياة إلى الجسد بعدما فارقته فأصبح بالياً [٣].

القراءات في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ لله﴾:

١- قرأ البصريان: (سَيَقُولُون لِلَّهُ) بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيها، ورفع الهاء من الجلالة.

٢- وقرأ الباقون: (سَيَقُولُون لِلَّهِ) بغير ألف وخفض الهاء [٤].

القراءات في: **(تذكَّرُون)**:

١- قرأ حفص والأخوان وخلف: (تَذَكَّرُون) بتخفيف الذال.

٢- وقرأ الباقون: (تذَّكَّرون) بتشديد الذال[٥].

---

(١) انظر: "في هامش القرآن الكريم، القراءات العشر المتواترة"، ص٣٤٧.

(٢) "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، ١٣/١٧٤-١٧٥.

(٣) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٨/٨٥.

(٤) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٢/٣٢٩.

(٥) انظر: "البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ١/٢٢٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد تكرر قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لله﴾ في هذه الآية ﴿سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٥]، وفي الآيتين: ﴿سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون:٨٧] ، ﴿سَيَقُولُونَ لله قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٩] .

ففي الآية الأولى جاء الجواب في قراءة الجمهور موافقا للفظ السؤال، وفي قراءة البصريين موافقا لمعنى السؤال.

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله–: "والاستفهام مستعمل مجازاً في التقرير، وهو هنا مراد به لازم معناه، وهو تبكيت المشركين، وإلجاؤهم إلى الإقرار بما يفضي إلى إبطال معتقدهم الشرك، فهو مستعمل في معناه الكنائي مع معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكنائي، ولكونه مراداً به الإلجاء إلى الإقرار كان الجواب عنه بما يريده السائل من إقرار المسؤول محققاً لا محيص عنه، إذ لا سبيل إلى الجحد فيه أو المغالطة، فلذلك لم ينتظر السائل جوابهم وبادرهم الجواب عنه بنفسه بقوله: (لله) تبكيتاً لهم؛ لأن الكلام مسوق مساق إبلاغ الحجة مقدرة فيها محاورة وليس هو محاورة حقيقة [١].

أما في الآيتين الأخريين فالتوجيه كالآتي:

تفيد قراءة: **(سيقولون الله)** المبادرة بالجواب باللفظ بما يتفق مع السؤال، وذلك لأنهم ملزمون بقوله، لذا فقد أجابوا به إلزاماً.

بينما تفيد قراءة **(سيقولون لله)** إجابة المشركين بما يقتضيه معنى السؤال، حيث سيتكلمون ويجيبون: هي لله [٢].

أما قراءة: **(تَذَكَّرون)** فتفيد عدم تذكرهم لما فيه خفاء الدلالة وما يحتاج منهم التأمل والتفكر فيه من المخلوقات في هذا الكون ولو لوقت قصير.

بينما تفيد قراءة: **(تذَّكَّرون)** عدم تذكرهم ما هو ظاهر الدلالة في هذا الكون مثل الظواهر الكونية الواضحة والأحداث العظيمة ذات الأثر الطويل كما لا يتذكر ما يعلمون تفاصيله من مخلوقات الله ﷻ في الكون المحيط بهم.

---

(١) "التحرير والتنوير"، ١٥٠/٧.

(٢) انظر: "زاد المسير"، لابن الجزري، ٢٦٩/٣، و"القراءات وأثرها في علوم العربية"، لمحمد محيسن، ٣٠٠/٢-٣٠٢.

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله–: "ووقعت جملة: (قل أفلا تذكرون) جواباً لإقرارهم واعترافهم بأنها لله، والاستفهام إنكاري، إنكار لعدم تذكرهم بذلك، أي تفطن عقولهم لدلالة ذلك على انفراده تعالى بالإلهية، وخص بالتذكير لما في بعضه من خفاء الدلالة والاحتياج إلى النظر" (١).

وبالجمع بين القراءتين يظهر من الآية توبيخ الله تعالى للمشركين حيث يعلمون أن الله ﷻ هو خالق السموات والأرض ومن فيهن، ولكنهم على رغم ذلك يشركون به ﷻ، فيكون استهانة بهم وتقريراً لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح إلزاماً بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره، ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا فقال سَيَقُولُونَ لِلَّهِ لأن العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر إلى الإقرار بأنه خالقها. قُلْ أي بعد ما قالوه. أَفَلا تَذَكَّرُونَ فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قادر على إيجادها ثانياً، فإن بدء الخلق ليس أهون من إعادته. وقراءة «تتذكرون» على الأصل (٢).

القراءات في قوله تعالى: **(بيده)**:

١- قرأ رويس: (بيدهِ) بحذف الصلة من الهاء.

٢- وقرأ الباقون: (بيدهِ) بإثبات الصلة من الهاء (٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة: (بيدهِ) بالاجتزاء بالكسرة بغير صلة ملكوت الله ﷻ لكل ما لم يذكر، وآيات قدرة الله الخفية، وانتفاء فعل الملكوت والقدرة على كل أحد سواه تعالى بما يفيد العموم مع الاختصار، يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله–: "وبُني فعل (يُجار عليه) للمجهول لقصد انتفاء الفعل عن كل فاعل فيفيد العموم مع الاختصار" (٤).

وتفيد قراءة: (بيدهِ) بإثبات الصلة من الهاء ملكوت الله ﷻ لكل ما ذكر من آيات قدرة الله ﷻ وإثبات ملكوته لكل شيء بتفاصيله وجزئياته، وديمومة ملكوته ﷻ يقول أبو السعود – رحمه الله–: "﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما ذكر وما لم يذكر أي: ملكه التام القاهر، وقيل: خزائنه" (٥).

---

(١) "التحرير والتنوير"، ١٠٩/١٨.

(٢) انظر: "تفسير البيضاوي"، ٩٣/٤.

(٣) انظر: "البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢٢٠/١.

(٤) "التحرير والتنوير"، ١١٢/١٨.

(٥) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، ١٤٨/٦، وانظر: "روح المعاني"، للألوسي، ٢٥٨/٩.

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن ملكوت الله ﷻ شامل لكل شيء مما ذكر ومما لم يذكر، كما تتضح دلائل قدرته الشاملة المطلقة بما يفيد العموم مع الاختصار بديمومةٍ وخلود.

خامساً: المعنى الإجمالي:

١-اثبات البعث:

بالرغم من زجر المشركين وتهديدهم في الآيات السابقة على تعطيل عقولهم التي ترشدهم إلى الإقرار بتوحيد الله ﷻ وقدرته على البعث فإنهم ردّدوا ما قاله السابقون البدائيون ﴿**بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ**﴾ إن هؤلاء المشركين أنكروا البعث واستبعدوه ولم يتَّعِظوا بكل هذه الآيات وقالوا: ﴿**قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾ أي هل إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية نعود إلى البعث والحياة؟! فهم يستبعدون وقوع ذلك لذلك قال قائلهم: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا...**﴾ [يس:٧٨-٧٩].

﴿**لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ**﴾ أي إن هذا الوعد بالبعث الذي يخبر به محمد ﷺ قد وعد به قديماً الأنبياء السابقون ثم لم يوجد ذلك مع طول العهد وكأنهم يظنون أن الإعادة تكون في دار الدنيا فقالوا: ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ يعني ما هذا إلا كلام مكذوب لا أصل له لم يأتِ وقته بعد، فلم يمت جميع الخلق وبالتالي لم يبعثوا [(١)].

٢-الأدلة والبراهين على اثبات البعث:

ثم ردّ الله ﷻ عليهم لإثبات البعث ببراهين ثلاثة هي: [(٢)].

أ. قوله تعالى: ﴿**قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ أي قل يا محمد ﷺ لمنكري الآخرة من مالك الأرض وخالقها؟ ومن فيها من المخلوقات إن كنتم من العالمين بذلك؟ وهذه استهانة بهم!! ﴿**سَيَقُولُونَ لله**﴾ أي سيعرفون بما دلَّ عليه العقل بأن ذلك لله وحده ملكاً وتدبيراً ﴿**قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ أي قل لهم أفلا تتعظون وتتدبرون أن من خلق أول مرة قادر على إعادته وأنه لا تنبغي الإعادة إلا للخالق، وهذا البرهان القاطع يصلح للرد على منكري الإعادة وعبدة الأوثان المعترفين له بالربوبية ولكنهم أشركوا معه في الألوهية غيره ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ [الزُّمر:٣].

---

(١) انظر: "الخواطر"، للشعراوي، ١٠١٢١/١٦.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٨٨/١٨_٨٩.

ب. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ أي قل لهم يا محمد ﷺ من خالق السموات وما فيها من الكواكب والملائكة والعرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، فالعرش يجمع بين الصفتين العظمة والكبر في الاتساع والعلو، والحسن والبهاء في الجمال ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي إذا كنتم تعرفون ذلك أفلا تخافون عقاب الله، وتحذرون عذابه في إشراككم به وعبادتكم معه غيره؟؟

ج. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي من بيده الملك والتصريف والتدبير كما قال تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود:٥٦] ، ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي وهو السيد الأعظم الذي يغيث من يشاء، ويحمي من يشاء ولا يُغيث ولا يحمي أحد منه أحداً، فلا يُمانع ولا يخالف، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ﴿سَيَقُولُونَ لله﴾ أي سيعترفون أن المالك المدبر هو الله ﷻ لا غيره فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ أ] قل لهم مستغرباً وموبخاً كيف تتقبل عقولكم عبادتكم مع الله تعالى غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك وتصريحكم بأنه الخالق المالك المدبر ؟؟!، ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي بل جئناهم بالقول الحق، والدليل الصادق بأنه لا إله إلا الله وأقمنا الأدلة الصحيحة على ذلك، وإنهم مع ذلك لكاذبون في إنكار الحق وعبادتهم مع الله غيره، ولا دليل لهم عليها [١].

سادساً: من هدايات الآيات: [٢].

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بما تضمنت الآيات من الأدلة العديدة على ذلك.

٢- سوء التقليد وآثاره في السلوك الإنساني، بحيث ينكر المقلد عقله، فليس للمشركين ومنكري الآخرة دليل عقلي مقبول، وكل ما لديهم من بضاعة هو ترداد أقوال المتقدمين، وتقليد الآباء والأسلاف.

٣- مشروعية توبيخ المتغافل المتجاهل، وتأنيب المتعامي عن الحق وهو قادر على رؤيته.

٤- جواز جدال الكفار وإقامة الحجة عليهم، والتنبيه على أن من ابتدأ بالخلق والاختراع والإيجاد والإبداع هو المستحق للألوهية والعبادة.

٥- تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته.

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٨/٨٨_٨٩.

(٢) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ٥/١٤٧-١٤٨.

تذييل الآيات بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعد حملة شديدة على المشركين للإقلاع عما هم عليه من الشرك، فقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ معناه: الترغيب في التدبر، وقوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ معناه: التنبيه على أن اتقاء عذاب الله لا يحصل إلا بترك عبادة الأوثان والاعتراف بجواز الإعادة .

المبحث الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة المؤمنون من آية (٩١-١١٨)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: نفي الولد والشريك لله تعالى.

المقطع الثاني: إرشادات إلى النبي ﷺ.

المقطع الثالث: تمني الإنسان عند الموت الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً.

المقطع الرابع: موازين النجاة في حساب الآخرة.

المقطع الخامس: التنبيه على قصر مدة اللبث في الدنيا دار فناء، والآخرة دار ثواب وعقاب.

المقطع الأول: نفي الولد والشريك لله تعالى

قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٩١-٩٢].

أولاً: المناسبة:

بعد إثبات البعث والجزاء بالأدلة القاطعة، والرد على منكري البعث وعبدة الأوثان أبان الله تعالى أن المشركين كاذبون مفترون في نسبة الولد لله ﷻ، واتخاذ شريك له [١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿لَذَهَبَ﴾: الذهاب: السير والمرور، وأذهبه غيره: أزاله، وذهاب الشيء مضيه [٢].

﴿وَلَعَلَا﴾: العين واللام والحرف المعتل ياءً كان أو واواً أو ألفاً أصلاً واحداً يدل على السمو والارتفاع[٣].

﴿سُبْحَانَ﴾: السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنس من العبادة، ومنه السُّبْحة، وهي الصلاة ويختص بذلك ما كان نفلاً غير فرض، والتسبيح: التنزيه[٤].

ثالثاً: البلاغة: [٥].

(من ولد)، و**(من إله)** ذكر حرف الجر لتأكيد نفي الولد والإله في الجملتين.

(عالم الغيب والشهادة) فيها طباق .

رابعاً: الإعراب والقراءات:

أوجه الإعراب والقراءات في قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الغَيْبِ﴾.

١- قرأ المدنيان[٦]. وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: (عالمُ الغيب) برفع الميم على أنها خبر المبتدأ مقدر، أي هو عالم.

---

(١) "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٢/١٨.

(٢) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٦٢/٢، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١١٣/١، و"لسان العرب"، لابن منظور، ٣٩٣/١.

(٣) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١١٢/٤.

(٤) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٢٥/٣، وانظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٤٠/١.

(٥) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩١/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٩٥/٢.

(٦) المدنيان هم: نافع وأبو جعفر .

٢- وقرأ الباقون: (عالمِ الغيب) بخفض الميم (الجر) على الصفة والبدل من لفظ الجلالة قبلها [١].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب والقراءات:

معنى القراءة الأولى: أي هو العالم بما غاب عن خلقه من الأشياء فلا يرونه ولا يشاهدونه، وبما يرونه ويبصرونه، والمراد أن الذين قالوا بالولد والشريك مخطئون فيما قالوا، فإنهم يقولون عن غير علم، وأن الذي يعلم الأشياء شاهدها وغائبها ولا تخفى عليه خافية من أمرهما- قد نفى ذلك، فخبره هو الحق دون خبرهم، والرفع في (عالم الغيب) على إضمار مبتدأ، أو على البعث لله في قوله: (ما اتخذ الله) عالم الغيب، وحجة البصريين في اختيارهم الرفع أن قبله رأس آية وقد تمَّ الكلام دونه، فاستؤنف على إضمار مبتدأ أي: هو الله عالم الغيب والشهادة [٢].

معنى القراءة الثانية: يتكلم الله تعالى عن الذين يتخذون آلهة غير الله تعالى، أو يقولون أن الله تعالى اتخذ ولداً، وأنه لو كان هنالك آلهة من دونه لكان هناك اختلاف في تدبير شؤون الكون ثم بين سبحانه أنه تعالى هو المدبر، والمتصرف في الكون، سبحانه عما يصفه به الواصفون، فبيّن أن من صفاته أنه عالم الغيب والشهادة، أو كأنه قال: سبحان عالم الغيب والشهادة، وهذا بالجر على البدل [٣].

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله-: "وإنما أتبع الاستدلال على انتفاء الشريك بقوله: ﴿**عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾ المراد به عموم العلم، وإحاطته بكل شيء كما أفادته لام التعريف في ﴿**الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾ من الاستغراق الحقيقي، أي عالم كل مغيب، وكل ظاهر لدفع توهم أن يقال: إن استقلال كل إله بما خلق قد لا يفضي إلى علو بعض الآلهة على بعض، لجواز أن لا يعلم أحد من الآلهة بمقدار تفاوت ملكوته على ملكوت الآخر فلا يحصل علو بعضهم على بعض لاشتغال كل إله بملكوته" [٤].

وعند الجمع بين القراءتين ننزه الله ﷻ الذي يتصف بكمال العلم وشموله عن الشريك والولد يزول التوهم بأنه قد يكون عدم علم منه تعالى بما يملكه إله آخر فلا يحدث علو من أحدهما على الآخر لعدم علم أحدهما بالآخر، فوصفه ﷻ لنفسه بكمال العلم وشموله يدفع هذا التوهم ويؤكد

---

(١) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٩/٢، و"البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢٢٠/١.

(٢) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية "،لمكي بن أبي طالب، ٤٩٩٦/٧، و"الحجة في القراءات السبع"، لابن خالوية، ٢٥٨/١، وتفسير المراغي، ٥١/١٨.

(٣) انظر: "إعراب القرآن وبيانه"، لدرويش، ٥٤١/٦، و"معالم التنزيل في تفسير القرآن"، للبغوي، ٤٢٧/٥.

(٤) "التحرير والتنوير"، ١١٧/١٨، وانظر: "القراءات وأثرها في التفسير والأحكام"، ٩١٨/٢.

ﷻ أنه وحده صاحب الملكوت المتفرد به وبشمولية العلم، وديمومته له سبحانه في ملكوته.

سادساً: المعنى الإجمالي:

أولاً: نفي الولد:

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ ينفي الله ﷻ عن نفسه أمرين: هما الولد واتخاذ الشريك كما زعم المشركون حيث قالوا أن الملائكة بنات الله تعالى، ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجنّ:٣].

ثانياً: نفي الشريك وتعدد الآلهة:

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي لا يوجد معه إله آخر يشاركه في الألوهية، لا قبل خلق العالم ولا بعده كما يتصور الوثنيون باتخاذ الأصنام آلهة [١]، ولو قدّر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق، وتميز كل واحد عن الآخر، ولكان هَمُّ كل واحد منهم أن يغلب الآخر لتظهر قوة القوي على الضعيف كما هو حال ملوك الدنيا، فمن المشاهد أن الوجود منتظم متسق، وفي غاية الكمال والنظام وارتباط كل من العالم السفلي بالعالم العلوي دون تصادم واضطراب، قال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣] [٢].

ولما ثبت كون التعدد في الآلهة مستحيلاً بطل قول الكفار في الأمرين معاً، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي ينزه الحق ﷻ، الواحد الأحد، الفرد والصمد عما يقول الظالمون في دعواهم الولد أو الشريك، ﴿عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي سبحانه المختص بعلم الغيب والشهادة، أي علم ما غاب عن إدراك الخلق من الأشياء، وعلم ما يشاهدونه وما يرونه ويبصرونه، وهذا دليل على نفي الشريك، فالله ﷻ متصف بالكمال فلا يكتمل النفع بعلم الشهادة وحدها، دون العلم بالغيب، ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تقدس وتنزه عما يقول الجاحدون الظالمون الذين أشركوا مع الله ﷻ إلهاً آخر [٣].

سابعاً: من هدايات الآيات:"تنزيه الله ﷻ عن الصاحبة والولد، وإبطال شبهات المفترين"[٤].

---

(١) انظر: "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٤٩١/٥، و"مفاتيح الغيب"، للرازي، ٢٩١/٢٣، و"الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٤٦/١٢.

(٢) انظر: "التسهيل في علوم التنزيل"، لابن جزي الكلبي، ٥٦/٢، و"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، للنسفي، ٤٨١/٢.

(٣) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٣/١٨.

(٤)" أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥٣٦/٣.

المقطع الثاني: إرشادات إلى النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ * ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٣-٩٨].

أولاً: المناسبة:

"بعد أن ردّ الله تعالى على المشركين مزاعمهم من اتخاذ الولد والشريك، وأبطل سوء اعتقادهم كإنكار البعث والجزاء، وجّه رسوله ﷺ إلى الدعاء والتضرع بالنجاة من عذابهم، ثم أرشده إلى مقابلة السيئة بالحسنة؛ لأن الإحسان يفيد أحياناً، ثم أمره أن يستعيذ من وساوس الشياطين في مختلف الأعمال "(١).

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿هَمَزَاتِ﴾: "من الهمز وهي كلمة تدل على الضغط والعَصْر، ومنه الهمز في الكلام كأنه يضغط الحرف، والهمَّاز: الغيَّاب، وهمزات الشياطين: خطراته التي يخطرها بقلب الإنسان "(٢).

﴿يَحْضُرُونِ﴾: "الحاء والضاد والراء إيراد الشيء وورروده ومشاهدته، والحضور نقيض المغيب" (٣).

ثالثاً: البلاغة: (٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ فيه تأكيد بأن واللام، وذلك لإنكار المخاطبين وقوع العذاب الأخروي والدنيوي.

قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ طباق معنوي، لأن المعنى ادفع بالحسنة السيئة.

رابعاً: القراءات:

القراءات في قوله: ﴿أَنْ يَحْضُرُونِ﴾:

١- قرأ يعقوب: (أن يحضروني) بإثبات ياء المتكلم.

٢- وقرأ الباقون: (أن يحضرونِ) بحذف ياء المتكلم(٥).

---

(١) "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٥/١٨.

(٢) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٦٦/٦، وانظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣٢٨/١.

(٣)" مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٧٥/٢، وانظر: "لسان العرب"، لابن منظور، ٢٢٩/٤.

(٤) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٤/١٨-٩٥، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٩٥/٢.

(٥) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٣٠/٢، و"البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢٢٠/١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة: **(أن يحضروني)** التعوذ من همزات الشياطين مراداً به الاستمرار على السلامة منهم، بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه.

يقول الزمخشري – رحمه الله-: "أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه، المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلاً ويحوموا حوله" (١).

وتفيد قراءة: **(أن يحضرون)** الاستعاذة بالله ﷻ من أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائناً ما كان من جميع الشؤون في جميع الأوقات.

يقول الشنقيطي: "والظاهر في قوله ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائناً ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨] أم كان عند حضور الموت، أم غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات" (٢).

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى يأمر نبيه ﷺ أن يعوذ بالله من شياطين الإنس والجن بلفظ المبتهل إلى ربه، المكرر لندائه، ليحصل له استمرار السلامة وديمومتها أن يحضروه في أي أمر من أموره في أي وقت من الأوقات.

أولاً: حاجة الرسل والدعاة إلى معية الله – تعالى-:

خامساً: المعنى الإجمالي:

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي قل: يا رب إن كان ولا بد من أن تريني ما نعدهم من العذاب في الدنيا والآخرة، ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هذا جواب الشرط (إما)، وكرر قوله (رب) مبالغة في الدعاء والتضرع، أي رب فلا تجعلني في جملة الظالمين فأهْلَك، بهلاكهم (٣)، قال أبو حيان: "ومعلوم أنه عليه السلام معصوم مما يكون سبباً لجعله مع الظالمين ولكنه أمر أن يدعو بذلك إظهاراً للعبودية وتواضعاً لله "(٤) .

---

(١) "الكشاف"، ٢٠٢/٣، وانظر: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، للنسفي، ٤٨١/٢.

(٢) "أضواء البيان"، ٣٥٣/٥.

(٣) انظر: "صفوة التفاسير"، الصابوني، ٢٩٢/٢.

(٤) "البحر المحيط"، ٥٨٢/٧.

عن ثوبان [1] مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **قيل لي: (يا محمد قل تُسْمَع، وسَلْ تُعْطَ، قال: قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك وأنا غير مفتون، اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحباً يبلغني حبك)** [2]، والإرشاد إلى هذا الدعاء ليُظم أجره، وليكون دائماً ذاكراً ربه ولتعليمنا ذلك، ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ أي نحن قادرون على أن نريك العذاب الذي وعدناهم به، لكن نؤخره لحكمة؛ لأن بعضهم أو بعض ذرياتهم سيؤمن.

ثانياً: أسلوب الدعوة التي تحقق النجاح:

ثمّ علمَ النبي ﷺ أسلوب الدعوة حتى يتحقق لها النجاح فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ .

قال ابن الجوزي: "فيه أربعة أقوال: **أحدهما:** ادفع إساءة المسيء بالصفح قاله الحسن، والثاني: ادفع الفحش بالسلام قاله عطاء والضحاك، **والثالث:** ادفع الشرك بالتوحيد قاله ابن السائب، **والرابع:** ادفع المنكر بالموعظة حكاه الماوردي، وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف"[3].

ثالثاً: الاعتصام بالله – تعالى– من الشيطان خوفاً من الزلل:

قال ابن كثير: "أرشده إلى الترياق النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يسيء إليه؛ ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة، وبغضه محبة" [4]."﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أي قل إني أعتصم بك وألتجئ إليك من وساوس الشياطين المغرية بالسوء والمعصية ومخالفة أوامرنا وألتجئ إليك من حضورهم في شيء من أموري، لهذا أمر بذكر الله تعالى في ابتداء الأمور لطرد الشياطين عند الأكل، والجماع، والذبح وغير ذلك من الأمور" وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) هو ثوبان بن يجدد، أبو عبد الله، مولى رسول الله ﷺ ، أصله من أهل السراة (بين مكة واليمن) اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه فلم يزل يخدمه إلى أن مات، فخرج ثوبان إلى الشام فنزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص، فابتنى فيها داراً، وتوفي فيها سنة ٥٤٠هـ، الأعلام، للزركلي، ١٠٢/٢.

(٢)" المستدرك على الصحيحين"، الحاكم النيسابوري، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل، ٧٠٨/١، ح١٩٣٢، وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٣) " زاد المسير"، ٢٧٠/٣.

(٤)" تفسير القرآن العظيم"، ٥٧٤/٢.

وحال حلول الأجل كما روي عن عكرمة [1] رحمه الله؛ لأنها أحرى الأحوال بالاستعاذة منها [2].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: "**كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع، بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**" [3].

سادساً: من هدايات الآيات: [4].

١- مشروعية الدعاء والترغيب فيه، وإنه لذو جدوى للمؤمن.

٢- استحباب دفع السيء من القول أو الفعل بالصفح والإعراض عن صاحبه.

٣- مشروعية الاستعاذة بالله ﷻ من الشياطين، ومن حضورهم أمر العبد الهام حتى لا يفسدوه عليه بالخواطر السيئة .

٤- بيَّن الله ﷻ لنا أساليب الدعوة إليه، ومنها مقابلة السيئة بالحسنة، أي الصفح ومكارم الأخلاق لتنقلب العداوة صداقة، والبغض محبة .

٥- تعليم الأمة تفويض الأمور لله تعالى بعد الأخذ بالأسباب، والدفع بالتي هي أحسن .

المقطع الثالث: تمني الإنسان عند الموت الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً

قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

أولاً: المناسبة:

بعد أن كشف الله ﷻ حال المشركين وما يوصفون به من الشرك والتكذيب، ذكر حال الكافرين عند مجيء الموت، فإنهم يتمنون أن يعودوا إلى دار الدنيا ليعملوا صالحاً لكن لا يسمع لقولهم ودعائهم .

---

(١) عكرمة القرشي الهاشمي، أبو عبد الله المدني، موسى عبد الله بن عباس، أصله من البربر، من أهل المغرب ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة، توفي سنة ١٠٤هـ، وقيل بعد ذلك بالمدينة، انظر: الأعلام، للزركلي، ٢٤٤/٤.

(٢) انظر: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، لأبي السعود، ١٥٠/٦.

(٣) "سنن أبي داود"، باب كيف الرقى، ١٢/٤، ج٣٨٩٣، حسنه الألباني.

(٤) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٨/١٨.

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿بَرْزَخٌ﴾: الحاجر بين الشيئين، وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ [١].

﴿يُبْعَثُونَ﴾: البَاء والعين والثاء أصل واحد وهو الإثارة، وبعثه وابتعثه بمعنى: أرسله، وبعث الموتى: نشرهم [٢].

ثالثاً: البلاغة: ا[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ فيها مجاز مرسل، حيث أطلق الجزء على الكل أو أنه أطلق الكلمة على الجملة.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ واو الجمع للتعظيم، ولم يقل أرجعني تعظيماً لله جل وعلا .

رابعاً: القراءات:

القراءات في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾:

١- قرأ يعقوب: (رب ارجعوني) بإثبات ياء المتكلم.

٢- وقرأ الباقون: (رب ارجعون) بحذف ياء المتكلم [٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة: **(رب ارجعوني)** لجوء الكافر إلى ربه وهو في أشد حالات الضعف وخوفه وندمه، حيث يعلم أن حقيقة وجوده وحياته في الدنيا انتهت، وأنه سيحاسب على ما اقترفت يداه.

يقول الشهيد سيد قطب- رحمه الله- : "إنه مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة، لتدارك ما فات، والإصلاح فيما ترك وراءه من مال... وكأنما المشهد معروض اللحظة للأنظار، مشهود كالعيان" [٥].

كما تفيد قراءة **(رب ارجعون)** تمني الرجوع بسرعة لعمل الأعمال الصالحة فقط، وقصر هدف الرجوع لأجلها فقط، ولو لمدة قصيرة، حيث الاجتزاء بالكسرة يفيد الاجتزاء في الكلام [٦] .

---

(١) "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣٢/١.

(٢) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٦٦/١، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣٦/١.

(٣) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٩/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٩٥/٢.

(٤) انظر:" النشر في القراءات العشر"، ٣٣٠/٢، و"البدور الزاهرة"، عبد الفتاح القاضي، ٢١٨/١.

(٥) "في ظلال القرآن"، ٢٤٨٠/٤، وانظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، للبغوي، ٣٧٤/٣ .

(٦) انظر: "التعبير القرآن"، ص١٨٠.

بالجمع بين القراءتين يتضح في الآية تحذير لكل من كان طويل الأمد في هذه الحياة، فظن أن الموت سيمهله إلى أن يحقق آماله وطموحاته الدنيوية ثم يعمل لأخراه، فإذا الموت يأتي بغتة حيث لا يبقى أمامه متسع من الوقت لأي شيء، ولا يستطيع الرجوع للدنيا ولو التجأ إلى الله ﷻ وابتهل إليه بالدعاء والرجاء لأجل العمل الصالح فقط.

القراءات في قوله: **(لعلي أعمل)**:

١- قرأ الكوفيون [١] ويعقوب: (لعلّي أعملُ) بإسكان الياء.

٢- وقرأ الباقون: (لعليَ أعملُ) بفتح الياء [٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة: **(لعلي أعمل)** بإسكان الياء التجاء الكافر إلى الله تعالى وخشيته وخوفه منه بعد أن انكشفت الغشاوة التي كانت تغطي عينيه فيها، ورأى مقعده الأخروي من النار.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: "وذلك أن المقام يستدعي إبراز ياء المتكلم؛ لأنه مقام التجاء وخوف وخشية" [٣].

كما تفيد **(لعليَ أعملُ)** بفتح الياء السرعة في الغرض من طلب الرجوع للدنيا، يقول ابن عاشور- رحمه الله-: "وجملة الترجي في موضع العلة لمضمون (ارجعون)" [٤].

١- وبالجمع بين القراءتين تمني الإنسان الكافر المقصر الرجعة إلى دار الدنيا ليتدارك ما فاته فيها إما من الإيمان أو العمل الصالح، ولا يطلب الرجعة إلا بعد أن يستيقن العذاب[٥].

خامساً: المعنى الإجمالي:

أولاً: حقيقة الموت:

أن الموت حقيقة يهرب الناس منها، ويحاول أن يبعدوها عن آذانهم وقلوبهم، وأن يعيشوا ليومهم دون أن يتفكروا في غدهم، ولدنياهم دون أن يذكروا آخرتهم، لهذا كان التذكير بالموت، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت:٥٧].

---

(١) هم عاصم وحمزة والكسائي وخلف ، انظر " البدور الزاهرة "لعبد الفتاح القاضي ، ص ٩.

(٢) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٣٠/٢، و"البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢١٨/١.

(٣) "التعبير القرآني"، ص٨٤.

(٤) "التحرير والتنوير " ١٢٣/١٨ .

(٥) "انظر المرجع السابق"، نفس الصفحة.

ثانياً: تمني الإنسان العودة إلى الدنيا للإكثار من الصالحات:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ أي إذا دنا الإنسان الكافر أو العاصي المفرط في حقوق الله تعالى من الموت، ورأى ما ينتظره من العذاب، طلب الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته، وقال: رب أرجعني لكي أتدارك ما قصرت فيه، وأعمل العمل الصالح الذي ترضى عنه من الطاعات والخيرات وأداء حقوق الناس، وقوله: ﴿لَعَلِّي﴾ ليس المراد فيها الشك، وإنما يعني كونه جازماً بأنه سيتدارك وذلك كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم:٤٤] ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام:٢٧] هذا كله يدل على أن تمني العودة إلى الدنيا يحدث حال المعاينة للعذاب عند الاحتضار، وحين النشور، وحين الحساب، وحين العرض على النار، وبعد دخولهم للنار، وليس سؤال الرجعة مختصاً بالكافر، وإنما يشتمل ذلك المؤمن المقصر في الطاعات، وأداء حقوق الله تعالى(١).

ثالثاً: حياة البرزخ:

﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي يجيبهم الله تعالى بكلمة (كلا) وهي كلمة ردع وزجر وهي من كلام الله تعالى (٢) فلا رجوع إلى الدنيا فيرتدع، وإنما طلبه للرجعة كلام لا فائدة منه ولا جدوى وهو ذاهب أدراج الرياح، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾أي وأمامهم حاجز يمنعهم عن الرجوع إلى الدنيا- وهو عالم البرزخ- الذي يحول بينهم وبين الرجعة يلبثون فيه إلى يوم القيامة، قال مجاهد: البرزخ هو: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة (٣)، والخلاصة أن المراد من قوله تعالى: ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أن العذاب يستمر بهؤلاء إلى يوم البعث، لذا على المسلم الفطن أن يُعدّ لهذا اليوم عدّته، ويأخذ له أهبته.

سادساً: من هدايات الآيات: (٤).

١- تمني الإنسان الكافر والمؤمن المقصر الرجعة إلى دار الدنيا ليتدارك ما فاته فيها إما من الإيمان أو العمل الصالح، ولا يطلب الرجعة إلا بعد أن يستيقن العذاب.

---

(١) انظر:" مفاتيح الغيب"، للفخر الرازي، ٢٣/٢٩٤، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٨/١٠٠-١٠١.

(٢) "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، لابن عطية، ٤/١٥٦.

(٣) انظر: "صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢/٢٩٣.

(٤) انظر: "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٣/٥٣٨.

٢- لا رجعة بعد البعث أو دنو الموت إلا إلى الآخرة.

٣- يستمر الكافرون والعصاة في عذاب القبور أو البرزخ إلى يوم القيامة.

المقطع الرابع: موازين النجاة في حساب الآخرة

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١-١١١].

أولاً: المناسبة:

بعد أن قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي إن هناك حاجزاً إلى يوم القيامة بدأ بوصف وذكر أحوال ذلك اليوم، حيث ينفخ في الصور، ولا يعتد بالأنساب وتكون الحسنات أساس الفوز بالآخرة والسيئات سبب دخول جهنم ... الخ [١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿أَنْسَابَ﴾: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، وسمي لاتصاله، وللإتصال به، ورجل نسّابة: أي عالم بالأنساب " [٢].

﴿تَلْفَحُ﴾: "اللام والفاء والحاء كلمة واحدة، يقال لفحته النار بحرها والسموم إذا أصابه حرَّها فتغير وجهه، والأصل فيه النون: هو نفحة" [٣].

﴿كَالِحُونَ﴾: "الكاف واللام والحاء أصل يدل على عبوس وشتامة في الوجه، ومن ذلك الكلوح وهو العبوس[٤].

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٠٤/١٨، و"تفسير القرآن الكريم"، د. عبد الله شحاته، ٣٥١٥/١٨-٣٥١٦.

(٢) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٢٣/٥، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣٠٩/١.

(٣) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٩٥/٥، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٨٣/١.

(٤) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٨٢/٢، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٩٠/١ .

﴿اخْسَئُوا﴾: الخاء والسين والهمزة يدل على الإبعاد والطرد [١].

﴿شِقْوَتُنَا﴾: "الشقاء والشقاوة بالفتح ضد السعادة "[٢].

ثالثاً: البلاغة: [٣].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بينهما مقابلة.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ فيها قصر.

قوله تعالى: (يتساءلون، والمفلحون، وخالدون، كالحون، تكذبون، ضالين، الفائزين) فيه سجع .

رابعاً: الإعراب والقراءات:

القراءات في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ﴾:

١- قرأ حمزة والكسائي: (إنّهُم هُمُ) بكسرة الهمزة.

٢- وقرأ الباقون: (أَنَّهُم هم) بفتح الهمزة [٤].

المعنى التفسيري لأوجه القراءات والإعراب:

معنى القراءة الأولى: بعد أن بيَّن الله تعالى أن الذين كفروا بآياته كانوا يضحكون من المؤمنين بالله ورسوله، بيّن سبحانه أنه قد جزى الذين آمنوا الجنة بصبرهم وثباتهم على الإيمان، وبعدها بيّن أنهم هم الفائزون يوم القيامة، وكأن سائلاً سأل، وماذا لهم يوم القيامة؟ أو ما هو حالهم يوم القيامة؟ فأجاب سبحانه قائلاً: إنهم هم الفائزون يوم القيامة، وعليه تكون الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ويكون المفعول الثاني لجزيتهم مقدراً، أي: جزيتهم الجنة ورضواني [٥] وبهذه القراءة تكون فيها معنى التأكيد [٦].

---

(١) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٨٢/٢، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٩٠/١.

(٢) "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٦٧/١.

(٣) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٣/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٩٥/٢.

(٤) انظر:" النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٩/٢-٣٣٠.

(٥) انظر: "إعراب القرآن وبيانه"، لدرويش، ٥٥٢/٦، و"البحر المحيط"، لأبي حيان، ٥٨٨/٧، و"أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، للبيضاوي، ٩٦/٤.

(٦) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٣٠/١٨.

معنى القراءة الثانية: أي: إني جزيت الذين اتخذهم الكفار سخرياً بصبرهم على دينهم، وعلى ما كانوا يلقون في الدنيا من أذى الكفار الفوز وهو النجاة من النار، والخلود في الجنة وبهذا تكون الجملة في موضع نصب مفعولاً به ثانٍ للفعل جزى لأنه يتعدى للاثنين، يتعدى له بنفسه، وبالباء[١]، قال الراغب [٢] أو يكون التقدير إني جزيتم الجنة لأنهم صبروا، أو على إضمار حرف الجر، على تقدير: بأنهم صبروا [٣].

أثر الاختلاف:

على القراءة الأولى احتملت الجملة أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وهذا مما يؤكد ويبين المعنى ويزيده روعة وجمالاً، أما على القراءة الثانية احتملت أن تكون في محل نصب مفعول به ثانٍ للفعل جزى.

القراءات في قوله: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾:

١- قرأ أبو عمرو ورويس: **(فلا أنسابَ بَينهم)** بإدغام الباءين.

٢- وقرأ الباقون: **(فلا أنسابَ بَينهم)** بإظهار الباءين [٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة الجمهور **(فلا أنسابَ بَينهم)** بإظهار الباءين، على الأصل ثبوت النسب في الحقيقة يوم القيامة لأن الله ﷻ إذا أعاد الخلائق فالأنساب ثابتة؛ لأن المعاد هو الولد والوالد.

بينما تفيد القراءة الأخرى **(فلا أنساب بينهم)** بإدغام الباءين نسيان الرجل ولده ووالده بمعنى انشغال كل إنسان بنفسه عن أقرب الناس إليه، فلا تفاخر بالأنساب، ولا تعاطف بينهما ولا تراحم مهما كانت شدة قرابتها، وذلك كناية عن الخوف الشديد الذي يشغل كل إنسان بنفسه [٥]، وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الأنساب يوم القيامة تبقى في الحقيقة، وينتفي حكمها

---

(١) انظر: "معالم التنزيل"، للبغوي، ٣٧٧/٣، و"الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٥٥/١٢، و"روح المعاني"، للألوسي، ٢٦٨/٩.

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه: محاضرات الأدباء والذريعة إلى مكارم الشريعة، المتوفي ٥٠٢هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، ٢٥٥/٢.

(٣) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٣٠/١٨، و"إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، أبي السعود، ٢٦٨/٩.

(٤) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٩/٢.

(٥) انظر: "مفاتيح الغيب"، الفخر الرازي، ٢٩٤/٢٣-٢٩٥.

من تعاطف وتراحم وتفاخر، فالله ﷻ يبعث الناس يوم القيامة ولداً ووالداً، لكنّ أهوال القيامة تبعث على الخوف الشديد الذي يُنسي الرجل أقرب الناس إليه؛ لانشغاله بنفسه ومآله عما سواهما.

القراءات في قوله تعالى: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾:

١- قرأ حمزة والكسائي وخلف: **(شَقَاوتنا)** بفتح الشين والقاف وألف بعدها.

٢- وقرأ الباقون: **(شِقْوَتُنَا)** بكسر الشين وإسكان القاف من غير ألف [١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة: **(شِقْوَتُنَا)** بدون ألف حدوث الشقوة لهم في الدنيا باختيارهم أسبابها، فكان حالهم الشقاء في الدنيا، وهو شقاء لا يذكر بالنسبة لشقاء الآخرة.

وتفيد قراءة **(شَقَاوتِنَا)** بالألف ديمومة الشقاوة لهم في الدارين حيث إن الشقوة الحاصلة لهم في الدنيا باختيارهم أسبابها تبعتهم في أخراهم حيث آلوا إلى هذا المصير المخزي فلازمتهم الشقاوة في الدار الآخرة، وهذه هي الشقاوة العظمى.

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله– في معنى القراءتين: "مُثِّلَت حالة اختيارهم لأسباب الشقوة بدل أسباب السعادة بحالة غائرة بين السعادة والشقاوة على نفوسهم، وإضافة الشقوة إلى ضميرهم لاختصاصها بهم حيث صارت غالبة عليهم، والشِقوة بكسر الشين وسكون القاف في قراءة الجمهور، وهي الهيئة من الشقاء، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (شقاوتنا) بفتح الشين وبألف القاف وهو مصدر على صيغة الفعالة، وزيادة قوله: (قوماً) على أن الضلالة من شيمتهم، وبها قوام قوميتهم"[٢].

وبالجمع بين القراءتين نستشعر خوف الكافر وخشيته وحزنه وندمه، وحسرته حيث يعترف بأن اختياره أسباب الشقاء في الدنيا أشقاه فيها شقاءً بسيطاً لا يساوي إلا شيئاً هيناً إذا قيس بالشقاء الذي عَقَّبَ عليه بسبب ذلك الاختيار، ولازمه في الآخرة ليحصل له الشقاء الذي ما بعده شقاء، وعندها لا ينفعه ندم ولو عضَّ على أصابعه حتى تقطعت.

خامساً: المعنى الإجمالي:

أولاً: النفخ في الصور:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ إذا نفخ في الصور النفخة الثانية، وهي نفخة النشور وقام الناس من القبور فلا تنفعهم الأنساب ولا القرابات بالرغم من وجود التعاطف

---

(١) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٢٩/٢.

(٢)" التحرير والتنوير"، ١٢٨/١٨.

والتراحم، لاستيلاء الدهشة والحيرة عليهم وانشغال كل إنسان بنفسه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٧] ، هذا بعد النفخة، أما بعد القرار في الجنة أو النار- والعياذ بالله- فيسأل أهل الجنة بعضهم عن بعض، قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصَّافات:٢٧] (١).

عن عمر ﷺ قال: "**أنه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- قال: أما والله ما بي إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي...**" (٢).

ثانياً: موازين النجاة والحساب:

ثم شرح سبحانه أحوال السعداء والأشقياء، فقال: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة (قاله ابن عباس) أي أولئك الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة، وقال ابن عباس ﷺ : "أولئك الذين فازوا بما طلبوا، ونجوا من شر ما عنه هربوا"، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي خابوا وهلكوا وباؤوا بالصفقة الخاسرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ أي ماكثون مقيمون دائمون فيها (٣)، وهذه هي الصفة الأولى لأهل النار، ثم أتبعها بصفات أخرى، قال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ أي تحرق وجوههم النار وتكون عابسة وقد بدت أسنانهم، وخص الوجوه لأنها أشرف الأعضاء (٤).

قال رسول الله ﷺ : **(تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته)** (٥). ثم ذكر تعالى ما يقال لهم في النار تقريعاً وتوبيخاً على ما ارتكبوه من الكفر والمآثم.

ثالثاً: تكذيب الأقوام:

فقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي ألم تكن آياتي من القرآن الكريم تتلى

---

(١) انظر: "تفسير المراغي"، للمراغي، ٥٨/١٨.

(٢) "المستدرك على الصحيحين"، الحاكم النيسابوري، ٤٢٨/٢، ح٣٤٩، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) انظر:" تفسير القرآن العظيم"، ابن كثير، ٤٩٦/٥-٤٩٧.

(٤) انظر: "فتح القدير"، الشوكاني، ٣٩٠/٣.

(٥)"المستدرك على الصحيحين"، الحاكم النيسابوري، ٢٦٩/٢، ح٢٩٧١، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

عليكم للتذكير والموعظة وإزالة الشبهة، فتكذبون بها وتعرضون عنها، وهذا هو الدافع العام من إرسال الرسل، وإنزال الكتب لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

رابعاً: عدل الله – تعالى – في حسابه للبشر:

فأجابوا عن السؤال قائلين: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ أي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا، وأضافوها لأنفسهم، وكنا بسبب ذلك قوماً ضالين عن الحق لذلك فعلنا من التكذيب، وهذا اعتراف منهم بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم، وأما ما قيل من أنه اعتذار منهم لغلبة ما كتب عليهم من السعادة والشقاوة الأزلية إلا ما علم الله تعالى أنهم يفعلونه باختيارهم ضرورة أن العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ أي أخرجنا من النار، وأرجعنا إلى الدنيا، فإن عدنا بعد ذلك إلى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي، فإنا متجاوزون الحد في الظلم، ولو كان اعتقادهم أنهم مجبورون على ما صدر منهم لما سألوا الله ﷻ الرجعة إلى الدنيا، ولما وعدوا بالإيمان والطاعة، بل قولهم: فإن عُدنا فيه أنهم حينئذٍ على الإيمان والطاعة [١].

ثم يرد عليهم تعالى بقوله: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي قال: امكثوا فيها أذلاء صاغرين، واسكتوا ولا تعودوا لمثل سؤالكم هذا فإنه لا رجعة لكم إلى الدنيا وإنما يكلمني من سَمَت نفسه إلى عالم الأرواح، ولبس رداء الخوف والخشية من ربه، واحتقر الدنيا وشهواتها وعزف عنها لما يرجوه من ربه من ثواب عميم ونعيم مقيم، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي كان فريق من الذين آمنوا يقولون ربنا آمنا بك فاغفر لنا واشملنا برحمتك، وأنت خير من رحم وعفا وصفح[٢] .

خامساً: الاستهزاء بالدعاة والموحدين:

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ أي تسخرون منهم وتستهزئون بهم حتى أنسوكم ذكري بانشغالكم بالاستهزاء بهم، وكنتم منهم تضحكون، قيل نزلت بكفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من أصحاب النبي ﷺ مثل بلال وعمار وصهيب وخباب رضي الله عنهم فقال جل وعلا: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي إني جزيتهم بصبرهم على الأذى، والسخرية بهم الفوز العظيم، والنعيم المقيم، صبروا فجوزوا خير الجزاء، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا

---

(١) انظر: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، أبي السعود، ١٥٢/٦.

(٢) انظر: "تفسير المراغي"، للمراغي، ٥٩/١٨.

يَفْعَلُونَ﴾ [المطَّففين:٣٤-٣٦][1].

سادساً: من هدايات الآيات: [2].

١- انقطاع الوشائج والأنساب يوم القيامة فلا ينفع أحد أحداً، وإنما تقطَّعت الروابط وسقطت القيم التي كانوا يتعارفون عليها في الدنيا، ولا واسطة إلا العمل الصالح.

٢- يعرض ميزان الحساب وعملية الوزن في سرعة واختصار بالعدل التام، فهنيئاً لمن ثقلت موازينه فهم المفلحون الذين ذكروا في مطلع السورة، وتعساً لمن خفت موازينه في جهنم خالدون.

٣- تصوير حال الكافرين يوم القيامة وهم تلفح النار وجوههم حتى تكلح، وتشوه هيئتها، ويكدر لونها، حتى يرهب منها العاقل .

٤- استخدام أسلوب العذاب المعنوي، فالعذاب الحسي على فظاعته أهون من التأنيب والخزي الذي يصاحبه، وهو اعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة.

٥- الاستهزاء بالرسل والمؤمنين جريمة أخرى بعد جريمة الكفر، تدخل النار، فقد بلغ السفه بالكفار أن سخروا وضحكوا من المؤمنين حتى ألهاهم عن ذكر الله تعالى، وباعد بينهم وبين التدبر والتفكر في دلائل الإيمان المبثوثة في صفحات الوجود.

٦- على المؤمن الإكثار من الدعاء بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ... ﴾ .

المقطع الخامس: قصر مدة اللبث في الدنيا وعقاب المشركين ورحمة المؤمنين

قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ * وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٨] .

أولاً: المناسبة:

"بعد بيان إنكار الكفار للبعث، وأنه لا رجعة إلى الدنيا بعده، ذكر تعالى أنهم يسألون في النار سؤال تقريع وتوبيخ عن مدة لبثهم في الأرض دون أن يكون القصد مجرد السؤال ثم ذكر

---

(١) انظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل"، الخازن، ٢٧٦/٣-٢٧٧.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٠٩/١٨-١١٠، و"التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٦٢/٥.

تعالى ما هو كالدليل على وجود البعث، ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه، تعليماً وإرشاداً للأمة، حتى لا يكونوا مثل أولئك الكفار" [١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿لَبِثْتُمْ﴾: اللام والباء والثاء أصل يدل على تمكث، ومنه لبث بالمكان: أقام [٢].

﴿عَبَثًا﴾: العين والباء والثاء أصل صحيح واحد يدل على الخلط، والعبث: هو الفعل لا يفعل على استواء وخلوص وصواب، فالعبث: اللعب [٣].

﴿بُرْهَانَ﴾: "البرهان: الحجة، وقد برهن عليه أي: أقام الحجة عليه" [٤].

ثالثاً: البلاغة:

قوله تعالى: ﴿وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ فيه جناس اشتقاق [٥]. .

رابعاً: الإعراب والقراءات:

القراءات في قوله: ﴿قَالَ كَمْ﴾:

١- قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: (قل) بغير ألف على الأمر.

٢- وقرأ الباقون بالألف على الخبر: (قال) [٦].

القراءات في قوله: ﴿لَبِثْتُمْ﴾:

١- قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر: **(لَبِثْتُم)** بإدغام الثاء والتاء معاً.

٢- وقرأ الباقون: **(لَبِثْتُم)** بإظهار الثاء والتاء [٧].

المعنى التفسيري لأوجه القراءات والإعراب:

معنى القراءة الأولى: قال ابن زنجلة – رحمه الله –: "المعنى في ذلك أن أهل النار قيل لهم: قولوا كم لبثتم في الأرض عدد سنين على الأمر لهم بأن يقولوا ذلك، فأخرج الكلام على وجه الأمر

---

(١) "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١٢/١٨.
(٢) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٢٨/٥، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٧٨/١.
(٣) انظر:" مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٠٥/٤، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٩٨/١.
(٤)" مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٣٤/١.
(٥) انظر:" التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١١/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٩٥/٢.
(٦) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٦٩/٢، و"البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢٤٤/١.
(٧) انظر: "البدور الزاهرة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢١٩/١.

للواحد، والمراد الجماعة إذا كان المعنى مفهوماً والمعنى مخاطبة جميع الناس" [١]، وقيل هو سؤال عن مدّة لبثهم في القبور، وقيل الأمر لمالك أن يسألهم: كم هي السنين التي لبثتموها في الأرض سواءً بالعيش عليها أو في القبور [٢]

معنى القراءة الثانية: أي قال الله ﷻ أو الملك المأمور بذلك تذكيراً لما لبثوا فيما سألوا الرجوع إليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله: ﴿ **قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾ .

قال الزمخشري ما حاصله إنه على قراءة (قال) بصيغة الماضي الفاعل ضمير يعود إلى الله ﷻ أو إلى من أمر بسؤالهم من الملائكة [٣].

وبالتالي تفيد قراءة: **(قل كم)** الأمر للملك أو بعض رؤساء أهل النار بسؤال الكفار عن مدة مكثهم في الأرض.

بينما تفيد قراءة: **(قال كم)** الإخبار بأن الله تعالى قال لهم وهو أعلم بما لبثوا، وإنما السؤال لاستصغار أمر الأرض، واستقصار أيامهم فيها، وإنهم يائسون ضيقوا الصدور لا يعنيهم حسابها وعدتها [٤].

أما قراءة: **(لبثتم)** بإدغام الثاء والتاء معاً فإنها تفيد قصر مدة مكث الكفار في الأرض بالقياس مع مدة حياتهم في النار.

في حين تفيد قراءة: **(لبثتم)** بإظهار الثاء والتاء أنهم مكثوا في الأرض المدة التي قضى الله ﷻ لهم أن يحيوها بتمامها، ولم ينقصوا منها شيئا [٥].

وبالجمع بين القراءات الأربع يتبين في الآية تحذير للكفار من الاغترار بالدنيا؛ لأن حياتهم فيها قصيرة مهما طالت، وسيوبخهم ربهم، فيسألهم وهم في النار عن مدة مكثهم فيها، لكنهم بالرغم من مكثهم فيها عمرهم بكامله إلا أنهم سيجدون هذه الحياة قصيرة جداً بالقياس إلى خلودهم في النار [٦].

---

(١) "حجة القراءات": ٤٩٣/١.

(٢) انظر: "فتح القدير"، للشوكاني، ١٧٧/٥، و"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، للنسفي، ٣٦٩/٢، و"أضواء البيان"، للشنقيطي، ٣٧٥/٥.

(٣) انظر: "الكشاف"، ٢٠٥/٣.

(٤) "في ظلال القرآن"، لسيد قطب، ٢٤٨٢/٤، بتصرف.

(٥) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٣٠/٢.

(٦) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ١٤١/١، و٣٣٠/٢.

القراءات في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلِ العَادِّينَ﴾:

قرأ ابن كثير والكسائي وخلف: **(فَسَل)** بالنقل [١].

١- وقرأ الباقون: **(فاسأل)** بغير نقل [٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة: **(فَسَل)** بالنقل سرعة نقل السؤال للملائكة الذين يحصون أعمار العباد ويحصون أعمالهم [٣].

بينما تفيد قراءة: **(فاسأل)** بغير نقل التدقيق في السؤال، وأن السؤال على ظاهره وكأنهم بعثوا ويظنون أن الدنيا ما زالت باقية، فأحالوا السؤال على من يضبط ذلك، وبهذا تبرؤا من عهدة عدم ضبط الجواب [٤].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الكفار في الآخرة يكونون في كرب شديد، وحال يرثى لها حيث لا يستطيعون تقدير مدة مكثهم في الدنيا، فيحيلون السؤال عنهم إلى العادِّين المختصين بهذا العمل في الدنيا حيث يظنون أنهم بعثوا، والحياة كما هي والسؤال على ظاهره، أو إحالته إلى الملائكة الذين يحسبون أعمار العباد، ويحصون أعمالهم.

القراءات في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ﴾:

١- قرأ حمزة والكسائي: **(قل إن)** بغير ألف على الأمر.

٢- وقرأ الباقون: **(قال إن)** بألف على الخبر [٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة: **(قل إن)** بغير ألف على أمر من يؤمر بسؤالهم.

وتفيد قراءة: **(قال إن)** على الإخبار عن السائل.

---

(١) النقل: هو نوع من أنواع تخفيف الهمز المنفرد، ولغة بعض العرب، اختص بروايته ورش بشرط أن يكون آخر كلمة، وأن يكون غير حرف مد، وأن تكون الهمزة أول الكلمة الأخرى سواء كان ذلك الساكن تنويناً، أو لام تعريف، أو غير ذلك، فيتحرك الساكن بحركة الهمزة، وتسقط هي من اللفظ لسكونها وتقدير سكونها، النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ٤٠٨/١.

(٢) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ١٤١/١، و٣٣٠/٢.

(٣) انظر: "الكشاف"، للزمخشري، ٢٠٦/٣.

(٤) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٣٢/١٨.

(٥) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٣٠/٢.

أما قراءة: **(لبثتم)** بإدغام الثاء والتاء معاً فتفيد أنهم شعروا بقصر مدة مكثهم في الدنيا [1].

بينما قراءة: **(لبثتم)** بإظهار الثاء والتاء فإنها تفيد مدة مكثهم في الأرض بتمامها على حقيقتها.

بالجمع بين القراءات الأربع يتم إخبار الكفار مِنَ السائل الذي يؤمر بسؤالهم عن مدة مكثهم بأنهم على رغم حياتهم في الدنيا المدة التي قدرها الله ﷻ لهم لم يشعروا أنهم مكثوا في الأرض إلا قليلاً.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

قوله تعالى: ﴿عَبَثًا﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: النصب في موضع الحال.

الوجه الثاني: النصب على أنه مفعول لأجله [2].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول: المعنى أم حسبتم أنما خلقناكم عابثين، أي: ألم تعلموا شيئاً فحسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة حتى أنكرتم البعث، فعبثاً: حال من نون العظمة، أي: عابثين، والتقدير: أم حسبتم أننا خلقناكم وحالنا أننا عابثين بخلقكم [3].

المعنى الثاني: أم حسبتم أنما خلقنا إياكم من أجل أو لأجل البعث، فعبثاً هنا منصوبة مفعولاً لأجله، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم، لا ثواب لها ولا عقاب، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]، وإنما خلقكم للعبادة وإقامة أوامر الله ﷻ [4].

أثر الاختلاف:

لقد ترتب هنا معنيان على إعراب الكلمة الواحدة، مع أنها منصوبة في الوجهين، ولكن مسوغ النصب في الأول: أنها حال، والثاني: على أنها مفعول لأجله، والتقدير: من أجل العبث.

---

(١) انظر:" معالم التنزيل في تفسير القرآن"، البغوي، ٤٣٢/٥.

(٢) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، العكبري، ٩٦٢/٢.

(٣) انظر: "الجدول في الإعراب"، لصافي، ٢١٩/١٨، و"روح المعاني"، للألوسي، ٣٠٢/١٣، و"الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٥٦/١٢.

(٤) انظر: "معالم التنزيل"، البغوي، ٤٣٢/٥، و"إعراب القرآن وبيانه"، لصافي، ٥٥٣/٦، و"التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٣٦/١٨.

خامساً: المعنى الإجمالي:

أولاً: الدنيا دار ممر محدودة:

قال تعالى: ﴿**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادِّينَ**﴾ أي قال الله تعالى أو الملك المأمور بسؤالهم، ففيه وجهان: **الأول:** كم مدة إقامتكم في الدنيا؟ **والثاني:** سؤال لهم عن مدة لبثهم في القبور، وهي حالة لا يعلمونها، والغرض من السؤال التبكيت والتقريع والتوبيخ لهم ما ظنوه طويلاً فهو يسير لما أنكروه من البعث ﴿**قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾ . فقد نسي هؤلاء الأشقياء مدة لبثهم في الدنيا، لما حلّ بهم من نقمة الله تعالى عليهم، حتى حسبوا أنهم لم يمكثوا إلا يوماً أو بعض يوم ﴿**فَاسْأَلِ العَادِّينَ**﴾ أي فاسأل الحفظة أو العادين لأعمال العباد وأعمارهم(١).

﴿**قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ قال لهم الملك ما لبثتم إلا قليلاً، لو كنتم تعلمون شيئاً من العلم ولما صدر منكم ما أوجب خلودكم في النار، والاستفهام عن عدد سنوات المكث في الأرض، مستعمل في التنبيه، ليظهر لهم خطؤهم إذ كانوا يزعمون أنهم إذا دفنوا في الأرض لا يخرجون منها، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**﴾ [الرُّوم:٥٥] (٢).

ثانياً: أن الله لم يخلق الإنسان عبثاً:

﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ أي ظننتم أنكم مخلوقين عبثاً ولعباً ولهواً وباطلاً بلا قصد ولا حكمة، وبلا غاية ولا هدف، وهنا نفي من الله تعالى أن يكون الخلق عبثاً بلا غاية وهدف؛ لأن الله تعالى خلقنا لغاية مرسومة، ووضع لها منهجاً يحدد هذه الغاية ولها أسباب توصل إليها، ثم يقول ﷻ: ﴿**وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ أي رغماً منكم ودون إرادتكم كأن شيئاً ما يسومهم، فترجعون للحساب والجزاء (٣).

قال تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ [العنكبوت:٢] .

سادساً: من هدايات الآيات:(٤).

١- عظم هول يوم القيامة وشدة الفزع فيه، فليتق ذلك بالإيمان والعمل الصالح.

---

(١) انظر: "النكت والعيون"، للماوردي، ٦٩/٤.

(٢) انظر: "التحرير والتنوير"، لابن عاشور، ١٣١/١٨.

(٣) انظر: "الخواطر"، للشعراوي، ١٠١٧٤/١٦.

(٤) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١٥/١٨-١١٨، و"أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥٤٥/٣، و"التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٦٣/٥.

٢- التنبيه على قصر مدة المكث في الدنيا، والاستفادة من تلك المدة بأقصى قدر ممكن للقيام بالطاعات والتقرب بالقربات، واجتناب المحظورات والمنهيات.

٣- إن شدة العذاب التي يرتع بها الكفار في نار جهنم أنستهم مدة مكثهم في الدنيا أحياء، وفي القبور أمواتاً، لذا أحالوا الجواب على الحاسبين العارفين بذلك، أو على الملائكة الذين كانوا معهم في الدنيا.

٤- تنتهي السورة بتقرير الألوهية الواحدة، وتحذير من يدعون مع الله إلهاً آخر، وإعلان الخسارة الكبرى لمن يشركون بالله، في مقابل الفلاح في أول السورة الذي وعد الله به المؤمنين.

٥- لا يجوز الدعاء إلا إلى الله وحده؛ لأنه لا يملك إجابة الدعاء إلا هو ﷻ، ومن هنا وجهت هذه الآيات إلى الله في طلب الرحمة والغفران، وهو أرحم الراحمين، وبرحمته يتم الفلاح والفوز.

٦- من قصر النظر وجهالة الإنسان وغبائه أن يظن كما يظن الماديون أن الدنيا هي كل شيء، وألا رجعة إلى الله والدار الآخرة ليجازي الناس على أعمالهم.

٧- إن المؤمن الحق هو الذي يديم النظر والتأمل في بديع خلق الله وقدرته، ليتوصل بذلك إلى إثبات البعث وإمكانه، ويستمر في عبادته لربه حتى الموت، ويكثر من دعاء الله تعالى قائلاً: رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين؛ لأن الانقطاع إلى الله تعالى، والالتجاء إلى دلائل غفرانه ورحمته عاصمان عن كل الآفات والمخاوف .

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

سورة النور من الآية (١-٢٠)

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة النور من الآية (١-٥).

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة النور من الآية (٦-٢٠).

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة النور من الآية (١-٥)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: مكانة سورة النور، وعظم شأنها.

المقطع الثاني: حد الزنا وحكم الزناة.

المقطع الثالث: حد القذف.

المقطع الأول: مكانة سورة النور وعظم شأنها

قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:١].

أولاً: المناسبة:

لما ختم الله ﷻ سورة "المؤمنون" بأنه لم يخلق الخلق عبثاً، ابتدأ سورة "النور" بالامتنان على المخاطبين ببيان ما خلقوا له من أحكام وتكاليف تعبدهم بها لرفع التنازع وحسم مادة الشر [١].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿سُورَةٌ﴾: هي كل منزلة سامية من البناء، ومنها سورة القرآن؛ لأنها منزلة بعد منزلة ومقطوعة عن الأخرى، والجمع سور [٢].

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: الفاء والراء والضاد أصل صحيح يدل على قطع الشيء الصلب والتأثير فيه من حزٍ أو غيره، والفرض ما أوجبه الله تعالى، وسمي بذلك لأن له معالم وحدود [٣].

﴿بَيِّنَاتٍ﴾: الباء والياء والنون أصل واحد وهو بُعد الشيء وانكشافه، وبان الشيء بياناً اتضح فهو بيّن[٤].

ثالثاً: البلاغة:

* قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ التنكير فيها للتفخيم، أي: هذه سورة عظيمة الشأن، وجليلة القدر.

الإطناب بتكرير لفظ "**أنزلنا**" في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ لإبراز كمال العناية بشأنها، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام للعناية والاهتمام [٥].

رابعاً: القراءات:

القراءات في قوله تعالى: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾:

١- قرأ ابن كثير وأبو عمر: **(فرّضناها)** بتشديد الراء.

---

(١) انظر: نظم الدرر، للبقاعي، ٢٠١/١٣-٢٠٢، وتفسير المراغي، للمراغي، ٦٦/١٨.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ١١٥/٣، ومختار الصحاح، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٥٧/١.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤٨٨/٤، ومختار الصحاح، لزين الدين الحنفي الرازي، ٢٣٧/١.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣٢٧/١، ومختار الصحاح، لزين الدين الحنفي الرازي، ٤٣/١.

(٥) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٥١٣٧/١٠، والتفسير المنير، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢١٢/١٨، وصفوة التفاسير، الصابوني، ٣٠٢/٢.

٢- وقرأ الباقون: **(فرضناها)** بتخفيف الراء [١].

القراءات في قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

١- قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص: (تذَكَّرون) بتخفيف الذال.

٢- وقرأ الباقون: (تذَّكَّرون) بتشديد الذال [٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة: **(فرضناها)** بتشديد الراء المبالغة والتأكيد والتشديد في وجوب العمل بما في السورة على الخلق إلى قيام الساعة [٣]، والإشارة إلى زيادة لزومه وأفادت كثرة المفروض عليهم كما أفاد التشديد وجوب العمل بما في السورة على حد سواء [٤].

يقول الزجاج [٥]: "ومن قرأ بالتشديد فعلى وجهين، أحدهما: على معنى التكثير و معنى إنا فرضنا فيها فروضاً كثيرة، ثانيهما: على معنى بينا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام [٦].

أما قراءة التخفيف **(فرضناها)**: فأفادت وجوب العمل بما في السورة من أمر بالحلال ونهي عن الحرام وجوباً قطعياً وهو يقع للقليل والكثير [٧].

فيما تفيد قراءة **(تذكرون)** بالتخفيف تذكر كل ما في السورة من أوامر ونواهٍ ودلائل واضحات وعدم نسيانه [٨].

---

(١) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٣٠/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٢٦/٢.

(٣) انظر: "الكشاف"، للزمخشري، ٢٠٨/٣ و"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ٧٥٨/٣، و"بلاغة الكلمة في التعبير القرآني"، د. فاضل السامرائي، ص٤٣.

(٤) انظر: "في ظلال القرآن"، سيد قطب، ٢٤٨٧/٤، وتفسير الألوسي، ٢٧٥/٩.

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب – رحمهما الله–، له مجموعة من المصنفات منها: معاني القرآن، والاشتقاق، الأنواء، وفعلت وأفعلت، توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة وقيل قبل ذلك، انظر: وفيات الأعيان، أبو العباس ابن خلكان، ٤٩/١، وتاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، لأبي المحاسن التنوخي، ٣٨/١.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه"، ٢٧/٤.

(٧) انظر: "الكشف عن وجوه القراءات"، لمكي بن أبي طالب، ١٣٣/٢، و"المغني في توجيه القراءات"، د. محمد سالم محيسن، ٧٠/٣.

(٨) "انظر: الكشاف"، للزمخشري، ٢٠٨/٣.

أما قراءة التشديد **(تذّكرون)** فتفيد المبالغة في التذكر، وعدم النسيان إلى درجة الاعتبار والاتعاظ باعتبار أن التشديد يفيد التكثير والمبالغة [١].

وبالجمع بين القراءات يتضح أن الآيات تحمل معنى الفرض، والمبالغة في إيجاب ما في السورة من أحكام مع بيانها وتوضيحها حتى يعتبر الناس ويتعظوا.

خامساً: المعنى الإجمالي:

مكانة سورة النور:

هذه سورة عظيمة الشأن من جوامع سور القرآن أوحينا بها إليك يا محمد ﷺ، وأوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً كأحكام الزنى والقذف واللعان، والحلف على ترك الخير، والاستئذان وغض البصر، وإبداء الزينة للمحارم وغيرهم ... الخ، ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أنزلنا فيها آيات تشريعية واضحات الدلالة على أحكامها لتكون لكم قبساً ونبراساً، وتكرير لفظ الإنزال؛ لإبراز كمال العناية بشأنها، وذلك لتتعظوا وتعتبروا بهذه الأحكام وتعملوا بموجبها، وتعتقدوا وحدانية الله تعالى وقدرته [٢].

المقطع الثاني: حد الزنا وحكم الزناة

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢-٣] .

أولاً: المناسبة:

بعد أن بيَّن الله ﷻ أنه أنزل سورة عظيمة ومليئة بالأحكام والتشريعات، شرع بذكر أول حكم فيها وهو حكم الزنا وحَدُّه.

ثانياً: سبب النزول"أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد [٣]، وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي

---

(١) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢٢/١٨، و"التفسير الحديث"، محمد عزت دروزة، ٣٥٣/٨." صفوة التفاسير"، الصابوني، ٢٩٨/٢

(٢) انظر: "الكشاف"، للزمخشري، ٢٠٨/٣.

(٣) مرثد بن أبي مرثد الغنوي، صحابي جليل، وأبو صحابي، واسمه كنّاز، وهما من شهد بدراً، وتقدم أبوه، استشهد في صفر، سنة ثلاث في غزاة الرجيع، انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة"، ابن حجر العسقلاني، ٥٥/٦-٥٦.

بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق، وكانت صديقة له، وأنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط فلما انتهت إليَّ عرفت، فقالت مرثد؟ قلت: مرثد، فقالت: مرحباً وأهلاً وهلم فبت عندنا الليلة، قال: قلت يا عناق حرّم الله الزنا، قالت: يا أهل الخيام، هذا الرجل يحمل أسراكم، قال: فتبعني ثمانية، وسلكت الخندمة، فانتهيت إلى كهف أو غار فدخلت، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي، وعماهم الله عني، ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككت عنه أكبله فجعلت أحمله ويعنني حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً مرتين، فأمسك رسول الله ﷺ فلم يردّ عليَّ شيئاً حتى نزلت: ﴿**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ**﴾ فقال رسول الله ﷺ : يا مرثد الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فلا تنكحها" [1] [2].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

﴿**رَأْفَةٌ**﴾: الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على رقة ورحمة ورأفة، والرأفة أشد الرحمة [3].

﴿**فَاجْلِدُوا**﴾: الجيم واللام والدال أصل واحد يدل على قوة وصلابة، وجلده: ضربه [4].

﴿**طَائِفَةٌ**﴾: الطائفة من الشيء قطعة منه [5]، والطاء والواو والفاء أصل صحيح يدل على دوران الشيء على الشيء، والطائفة من الناس فكأنما جماعة تطيف بالواحد أو بالشيء [6].

رابعاً: البلاغة:

قوله تعالى: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ**﴾ فيها تحريض وإغراء [7].

خامساً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

---

(١) "سنن الترمذي"، باب ومن سورة النور، ٣٢٨/٥، ح (٣١٧٧)، ،حكم الألباني: صحيح.

(٢) "المحرر في أسباب نزول القرآن"، لخالد المزيني، ٧١٦/٢.

(٣) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٧١/٢، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١١٥/١.

(٤) انظر:" مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٧١/١، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٥٩/١.

(٥) "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٩٣/١.

(٦) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٣٣/٣.

(٧) انظر:" التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢٣/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٣٠٢/٢.

أوجه الإعراب:

* قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوا﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

الوجه الثاني: في محل رفع خبر [1].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول: بيّن الله ﷻ في هذه السورة حكم الزانية والزاني، وكأنه يقول ﷻ لنبيه وفيما يتلى عليكم الزانية والزاني، وكأن سائلاً يقول: ومالهم؟ فكان الجواب: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [2].

المعنى الثاني: هكذا أخبر الله ﷻ عن عقاب الزانية والزاني مبتدأ بذكرهما مخبراً عن العقاب قائلا: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾، فعليه تكون الزانية مبتدأ والزاني معطوفاً عليها في الحكم، وجملة فاجلدوا خبر للمبتدأ [3].

أثر الاختلاف:

على الوجه الأول كانت جملة (فاجلدوا) مستأنفة جواباً لسؤال مقدر، وعلى الوجه الثاني كانت خبراً، مما زاد وضوح المعنى وبيانه.

سادساً: القراءات:

القراءات في قوله تعالى: ﴿رَأْفَةٌ﴾:

١- قرأ قنبل [4]: (رَأَفَةٌ) بفتح الهمزة.

٢- وقرأ الباقون: (رَأْفَةٌ) بإسكان الهمزة [5].

---

(١) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، لمكي بن أبي طالب، ٥٠١٦/٨، و"معالم التنزيل في تفسير القرآن"، البغوي، ٧/٦.

(٢) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، العكبري، ٢٥٨/٢.

(٣) انظر:" الجامع لأحكام القرآن"، القرطبي، ١٦٠/١٢، و"الجدول في الإعراب"، لمحمود عبد الرحيم صافي، ٢٢٤/١٨، و"إعراب القرآن وبيانه"، لمحيي الدين أحمد درويش، ٥٥٨/٦.

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المخزومي، ولد سنة ١٩٥هـ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، ورحل إليه الناس من جميع الأقطار، وهو من أشهر الرواة عن ابن كثير المكي، توفي بمكة سنة ٢٩١هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، ٢٠٤/٥.

(٥) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ٣٣٠/٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الرأفة أشد الرحمة فهي أخص منها وقرئت (الرأفة) بقراءات منها إسكان الهمزة وفتحها وإبدالها ألفاً، وكلها لغات، والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله–تعالى– ويستعملوا الجد والمتانة فيه، ولا يأخذكم اللين والهوادة في استيفاء حدوده .

قال القرطبي: "والرأفة أرق الرحمة وقرئ رأفة بفتح الألف على وزن فعلة وقُرئ رآفة على وزن فعالة ثلاث لغات، وهي كلها مصادر أشهرها الأولى من رؤوف إذا رق ورحم "(١).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

أولاً: حد الزنا:

الزنا لغة: هو ولوج فرج في فرج لا يحل له، ونعني بالولوج: غياب ما يسمى بالمدورة من الرجل في فرج المرأة، سواء حدث إنزال أو لم يحدث (٢).

الزنا اصطلاحاً: الوطء في قُبل خال عن ملك وشبهة (٣).

الزنا الموجب للحد:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ شرعت سورة (النور) ببيان حد الزنا وقررت له عقوبة محددة، فالذي يقع في الزنا إما أن يكون بكراً أو محصناً، وهذا يعد في الإسلام حداً، وفيه عقوبة قُرِرَت لمصلحة الجماعة، وهي حق لله ﷻ ولا يقبل الإسقاط من الأفراد ولا الجماعة، والغاية عن هذه العقوبة هي رفع الفساد، وتحقيق السلامة والصيانة (٤)، ونهت الشريعة عن تخفيف العقوبة والتراخي في تنفيذها، وربطت ذلك بحقيقة الإيمان في نفوس المؤمنين، لأن الزنا جريمة أكبر من أن تستدر العطف أو تستجلب الرحمة بالزناة، فالإيمان هو السبيل الذي يحفظ الإنسان من فعل المحرمات وهو درع يحمي صاحبه من المهلكات، فمرتكب الزنا يقبل على هذه الجريمة وقد خرج من الإيمان أثناء مباشرته للزنا. والإيمان لا يجتمع مع الزنا، لقوله ﷺ: **(إذا زنى العبد خرج من الإيمان وكان كالظلة، فإذا انقلع منها رجع إليه الإيمان)**(٥).

---

(١) "الجامع لأحكام القرآن"، ١٧١/١٢، وانظر: معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري الهروي، ٢٠١/٢.

(٢) "سلسلة التفسير"، للعدوي، ٢٤/٣٢.

(٣) "تفسير سورة النور"، محمد الشنقيطي، ٢٨/١.

(٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ١٥/٤، وبدائع الصانع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الحنفي، ٣٣/٧.

(٥) "المستدرك على الصحيحين"، للحاكم النيسابوري، كتاب الإيمان، ٧٢/١، ح (٥٦)، وقال الحاكم حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا برواته، وله شاهد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وقوله ﷺ: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...)** [1].

كرم الإسلام العظيم الذي يعف نفسه عن فعل الفواحش، فالله تعالى يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهذا مصداق لقوله ﷺ: **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه متعلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة وأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)** [2].

فعقوبة الزنا التي وردت في سورة (النور) سبقتها عقوبة أخرى كانت مخففة ومؤقتة، حيث كانت عقوبة الزانيين في أول الإسلام، ما جاء في سورة النساء ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٥-١٦] ، فكانت عقوبة الزنا الحبس في البيوت للنساء، والتعيير للرجال، ثم نسخ ذلك الحكم[3]، ونزل حد الزنا في سورة (النساء) فكان هو السبيل الذي أشار إليه النبي ﷺ في حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر، جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)** [4].

والحكمة في البدء في حد الزنا بالمرأة، وفي حد السرقة بالرجل، لأن دواعي الزنا تحدث غالباً من المرأة وعاره عليها أشد، وأثره فيها أدوم، وأما السرقة فالغالب وقوعها من الرجال، وهم عليها أجرأ من النساء وأخطر، فقدموا عليهن [5].

قال رسول الله ﷺ: **(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وإني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)** [6]، وعموم قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ يشمل المسلم والكافر، وحد الجلد هو عقوبة للزاني البكر من الرجال والنساء، وأما المحصن الذي سبق له وطء صحيح، وهو مسلم حر بالغ فحده الرجم، وعقوبة الرجم

---

(١) "صحيح البخاري"، كتاب المظالم والغصب، باب النهي بغير إذن صاحبه، ١٣٦/٣، ح (٢٤٧٥).

(٢) "صحيح البخاري"، كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ١٣٣/١، ح (٦٦٠).

(٣) انظر: "الناسخ والمنسوخ"، للنحاس، ٥٨١/١.

(٤) "صحيح مسلم"، كتاب الحدود، باب حد الزنا، ١٣١٦/٣، ح (١٦٩٠).

(٥) انظر: "بحر العلوم"، للسمرقندي، ٤٩٥/٢.

(٦) "صحيح مسلم"، كتاب القسامة، باب من يباح من دم المسلم، ٣٠٢/٣، ح (١٢٧٦).

مقدرة من الله تعالى وليس لأحد أن يقدرها من نفسه، وليس لولي الأمر العفو عنها [١].

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾ أي لا يحملنكم العطف والشفقة على ترك حد الزناة، فهو حكم الله ﷻ ولا يجوز تعطيل حدود الله تعالى، والواجب التزام النص، والغيرة على حرمات الله تعالى، عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : **(... والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)** [٢].

فأقيموا الحدود على من زنى، وشددوا عليه بالضرب غير المبرح ليرتدع هو وأمثاله، إن كنتم تصدقون بالله تعالى وبالآخرة التي يجري فيها الحساب والجزاء، وهذا ترغيب شديد، وحض أكيد وإلهاب على تطبيق وتنفيذ حدود الله تعالى وفي ذكر اليوم الآخر تذكير للمؤمنين بما فيه من العقاب تأثراً لعاطفة اللين في استيفاء الحكم [٣].

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ولتكن إقامة الحد علانية، يحضرها طائفة من المؤمنين والطائفة: أقلها واحد، وقيل: اثنان فأكثر، وقيل ثلاثة نفر فصاعداً، وقيل: أربعة نفر فصاعداً، وقيل خمسة، وقيل عشرة، وفي حضور الطائفة ثلاثة فوائد: أولها: أنهم يعتبرون بذلك، ويبلغ الشاهد الغائب، ثانيهما: لكي يستحي المضروب، فيكون زجراً له من العود إلى مثل ذلك الفعل، ثالثهما: أن الإمام إذا احتاج إلى الإعانة أعانوه [٤].

ثانياً: حالات ثبوت الزنا:

ويثبت الزنى بأحد أمور ثلاثة:

١- **الإقرار أو الاعتراف:** وهو الواقع فعلاً في عهود الإسلام.

٢- **البينة أو الشهادة:** أي شهادة أربعة رجال أحرار، عدول، مسلمين على التلبس بالزنا فعلاً، ورؤية ذلك بالعين المجردة، وهذا نادر جداً لم يحصل إلا قليلاً.

٣- الحمل عند المرأة بلا زوج معروف لها [٥].

---

(١) انظر: "أحكام القرآن"، للجصاص، ٩٥/٥.

(٢) "صحيح البخاري"، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ١٧٥/٤، ح(٣٤٧٥)، و"صحيح مسلم"، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، ١٣١٦/٣، ح (١٦٨٩).

(٣) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢٧/١٨-١٢٨.

(٤) انظر: "بحر العلوم"، للسمرقندي، ٤٩٥/٢.

(٥) انظر: "المغني"، لابن قدامة، ٧٩/٩.

وحكمة حد الزنا: الحفاظ على الأعراض والحقوق، ومنع اختلاط الأنساب، وتحقيق العفاف والصون، وطهر المجتمع، والحيلولة دون ظهور اللقطاء في الشوارع، وانتشار الأمراض الجنسية الخطيرة كالزهري، والسيلان، وتكريم المرأة نفسها، وعدم إهدار مستقبلها.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الزاني لا يليق به أن يتزوج العفيفة الشريفة، إنما ينكح مثله أو أخس منه كالبغي الفاجر أو المشركة الوثنية، ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي والزانية لا يليق بها أن يتزوج بها المؤمن العفيف، إنما يتزوجها من هو مثلها أو أخس منها، كالزاني الخبيث، أو المشرك الكافر، فإن النفوس الطاهرة تأبى الزواج بالفواجر الفاسقات [١].

قال الإمام الفخر الرازي: "من أح سن ما قيل في تفسير هذه الآية، أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والفسق، لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله، أو في مشركة، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال، وينفرون عنها، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين، وعلى هذا الأعم الأغلب، كما يقال: لا يفعل الخير إلا الرجل التقي، وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي فكذا هنا" [٢].

﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي حرم التزويج بالبغايا، أو تزويج العفائف بالرجال الفجار على المؤمنين الأتقياء، والمراد بالتحريم التنزه والتعفف مبالغة في التنفير، لأنه تشبه بالفُسّاق، وتعرض للتهمة، والطعن في النسب، إلى غير ذلك من المفاسد، وهذا رأي الجمهور كأبي بكر وعمر وجماعة من التابعين وفقهاء الأمصار جميعاً، فيجوز نكاح الزانية [٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي لا تمنع يد لامس قال (غربها)، قال: قال: أخاف أن تتبعها نفسي، قال: فاستمتع بها)** [٤].

وأما حكم الحرمة في الآية فمخصوص بالسبب الذي ورد فيه، أو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ [النور:٣٢] ، فإنه يتناول المسافحات، قال رسول الله ﷺ : **(ثلاثة لا يدخلون الجنة، ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث، وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان**

---

(١) انظر: "صفوة التفاسير"، للصابوني، ٢٩٨/٢.

(٢) "مفاتيح الغيب"، ٣١٨/٢٣.

(٣) انظر:" تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ١٢/٦.

(٤) سنن أبي داود، كتاب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ٢٢٠/٢، ح (٢٠٧٩)،)، صححه الألباني.

بما أعطى) [1].

ثامناً: من هدايات الآيات: [2].

١- يعتبر الإسلام الزنا جريمة دينية وخلقية واجتماعية؛ لأنها تمثل اعتداء على العرض والشرف والنسل والكرامة الإنسانية، وتؤدي إلى هدم الأسرة، وتحطيم كيان المجتمع، لذلك قرنها الله ﷻ بالشرك في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا**﴾ [الفرقان:٦٨] .

٢- حرم الله ﷻ الزنى في كتابه، فحيثما زنى الرجل فعليه الحد، وهذا قول مالك، والشافعي وأبو ثور .

٣- بيان حكم الزانية والزاني البكرين الحرين، وهو جلد مائة جلدة وتغريب عام، أما الثيبان فالرجم حتى الموت.

٤- وجوب إقامة هذا الحد أمام طائفة من المؤمنين.

٥- لا يحل تزويج الزاني إلا بعد توبته، ولا الزانية إلا بعد توبتها

٦- قدم الله ﷻ الزانية على الزاني، لأن الأصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر، ولولا تمكينها له لما وقع، وقيل لأنه كان زنى النساء في ذلك الزمن فاشن، وكان لإماء العرب والبغايا رايات، وكن مجاهرات بذلك، وقيل لأن الزنا في النساء أعر، وكذلك لأن العار بالنساء الحق إذ موضعهن الحجب والصيانة، فقدَّم ذكرهن تغليظاً واهتماماً [3].

٧- ذكر سبحانه الذكر والأنثى في الآية حتى لا يظن ظان أن الرجل فقط هو الذي يجب عليه الحد لكونه الواطئ، وإنما يجب الحد على المرأة أيضاً لكون الزنى لم يحدث إلا بموافقتها [4].

٨- يجب الجلد بالسوط الذي لا ثمرة له، وهو الوسط بين السوطين، ولا شديد ولا لين كما فعل النبي ﷺ، وصفة الجلد أن يكون مؤلماً لا يجرح ولا يقطع، ولا يخرج الضارب يده من

---

(١) "سنن النسائي"، باب المنان بما أعطى، ٨٠/٥، ح (٢٥٦٢)، قال الألباني حسن صحيح.

(٢) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، القرطبي، ١٧١/١٢، و"أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥٤٨/٣.

(٣) انظر: "إرشاد العقل السليم"، لأبي السعود، ٨٩/٥، و"الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ١٦٠/١٢، و"تفسير آيات الأحكام"، للسايس، ٥٣١/١، ومحاسن التأويل، للقاسمي، ٤٤٤٨/١٢.

(٤) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، القرطبي، ١٦٦/١٢.

تحت إبطه [١].

المقطع الثالث: حد القذف

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٤-٥].

أولاً: المناسبة:

بعد التنفير من نكاح الزانيات وإنكاح الزناة، نهى الله تعالى عن القذف وهو الرمي بالزنا وذكر حده في الدنيا وهو الجلد ثمانين، وعقوبته في الآخرة وهو العذاب المؤلم ما لم يتب القاذف وذلك تشديداً لصيانة المجتمع من أخطار انتشار الفاحشة بين أفراده [٢].

ثانياً: التحليل اللغوي:

﴿يَرْمُونَ﴾:"الراء والميم والحرف المعتل أصل واحد وهو نبذ الشيء" [٣].

﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾: "الحاء والصاد والنون أصل واحد وهو الحفظ والحيطة والحرز، وكل امرأة عفيفة فهي مُحْصِنَة، ومُحْصَنَة، وكل امرأة متزوجة فهي مُحْصَنَة بالفتح لا غير" [٦].

والمحصنات: أي ذوات الأزواج، امرأة حصان وحاصن، ويقال: حصان للعفيفة، ولذات حرمة، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التَّحريم:١٢]، والحصان في الجملة: المحصنة إما بعفتها، أو تزوجها، أو بمانع من شرفها وحريتها، ويقال: امرأة محصن ومحصن، وهي التي إما أحصنت نفسها، وأحصنت من غيرها[٤].

ثالثاً: البلاغة:

* قوله تعالى: ﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ استعارة حيث استعير لفظ الرمي وهو (الإلقاء بالحجارة

---

(١) انظر:" التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٣٦/١٨.

(٢) انظر: التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٤/١٨، و"التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، إعداد نخبة من العلماء المفسرين، ١٨٠/٥.

(٣) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٣٦/٢.

(٦) "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٤٣٦/٢.

(٤) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى البصري، ١٥٤/١، انظر: مفردات القرآن الكريم، للأصفهاني، ص٢٣٩، ٢٤٠.

ونحوها) لشيء معنوي وهو القذف باللسان، بجامع الأذى في كل منهما.

* قوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيها مبالغة، حيث جاءت صيغة المبالغة على وزن فعول وفعيل وكلها تفيد النهاية في هذه الصفات [١].

رابعاً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾.

أوجه الإعراب:

* قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

الوجه الثاني: في محل نصب حال [٢].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول: يبين الله تعالى حداً من حدوده، وهو حد قذف الحرائر من النساء بالزنا، وجملة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ بعدها، مستأنفة لا محل لها من الإعراب وكأن سائلاً سأل ومن هم هؤلاء الذين يرمون المحصنات، فالجواب: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [٣].

المعنى الثاني: بعد أن بين الله تعالى في هذه الآية حكم وحد القذف لمن يرمون المحصنات من المؤمنات بيّن الله تعالى حال هؤلاء القوم بأنهم هم الفاسقون، وكأنه قال ﷻ: وأولئك حالهم أنهم هم الفاسقون الذين خرجوا عن الحق، وارتكبوا الآثام والمعاصي [٤].

أوجه الإعراب لـ (الذين): ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾

الوجه الأول: في محل نصب على أنه مستثنى.

الوجه الثاني: في محل جر على أنه بدل من الضمير (لهم) في الآية السابقة.

---

(١) انظر:" التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٤٠/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٣٠٢/٢.

(٢) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، للعكبري، ٢٥٩/٢.

(٣) انظر: "الجدول في الإعراب"، لمحمود عبد الرحيم صافي، ٢٢٨/١٨، و"إعراب القرآن وبيانه"، لمحيي الدين أحمد درويش، ٥٦٠/٦، و"إرشاد العقل السليم"، لأبي السعود، ٢٧/٥.

(٤) انظر: "الدر المصون"، للسمين الحلبي، ٣٦٠٧/١، و"فتح القدير"، للشوكاني، ١٨٨/٥، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٤١/١٨.

الوجه الثالث: في محل رفع على أنه مبتدأ [١].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول: أي إلا من تاب من بعد قذفه، وأخذ الحد منه، وهو استثناء من قوله ﴿**وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا**﴾ فإذا تاب قبلت شهادته، وهو مذهب أكثر الفقهاء منهم: الشعبي، والزهري، ومالك، والشافعي، وأحمد، وهو قول عمر بن الخطاب [٢].

المعنى الثاني: أي إن تاب هؤلاء القذفة من قذفهم للمحصنات، وأقروا بكذبهم وافترائهم، فإنها تقبل توبتهم وتقبل بعد ذلك شهادتهم مشروطة بالعمل الصالح، وهنا يكون قوله: (الذين) بدلاً من (لهم) في الآية السابقة لها، والتقدير: ولا تقبلوا شهادة إلا الذين تابوا وأصلحوا[٣].

أثر الاختلاف:

على الوجه الأول كان لفظ (الذين) في محل نصب على الاستثناء، ومن جعله بدل من الضمير: (لهم) كان في محل جر، ومن جعله في محل رفع كان مبتدأ، وهذا من جميل بلاغة القرآن، ومن أسرار إعجازه أن جعل للكلمة الواحدة وجوهاً ومعانٍ متعددة.

خامساً: القراءات:

القراءات في قوله تعالى: ﴿**يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ**﴾:

١- قرأ الكسائي: (المحصِنات) بكسر الصاد، حيث وقع معرفاً أو منكراً.

٢- وقرأ الباقون: (المحصَنَات) بفتح الصاد [٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى: (محصِنات) بكسر الصاد، على إسناد فعل الإحصان للنساء، أي أنهن يُحصنّ أزواجهن من الوقوع في الفواحش والزنا، بسبب الزواج .

---

(١) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، العكبري، ٢٥٩/٢.

(٢) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، لمكي بن أبي طالب، ٥٠٣٥/٨، و"معالم التنزيل في تفسير القرآن"، للبغوي، ١١/٦، و"الجدول في الإعراب"، لمحمود عبد الرحيم صافي، ٢٢٨/١٨.

(٣) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، لمكي بن أبي طالب، ٥٠٣٥/٨، و"معالم التنزيل في تفسير القرآن"، للبغوي، ١١/٦، و"الجدول في الإعراب"، لمحمود عبد الرحيم صافي، ٢٢٨/١٨.

(٤) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٢٤٩/٢.

تفيد القراءة الثانية: (محصَنات) بفتح الصاد على إسناد فعل الإحصان لغيرهن، إما أن يكون الفعل أسند للإسلام، فيحصنهن إسلامهن، أو الحرية فهي محصنة، كونها حرة خلاف الأَمَة وقراءة الفتح (المحصنَات)، على إسناد الفعل لغيرهن، فجعلهن أحصنهن غيرهن من زوجٍ، أو ولي أو بعفاف الإسلام [١].

وبالجمع بين القراءات يتبين قراءة الكسر (المحصنات)، وقوع فعل الإحصان من النساء فهن أحصن أنفسهن بالحرية والإسلام، والعفة والزواج وكذلك أحصن أزواجهن بالتزويج، وتحصن بهذه الأشياء من الوقوع في الفاحشة، وفي تعدد وجوه الإحصان للمرأة إشارة لبيان تعدد وجوه الإغراء والغواية التي تقع من المرأة، وحرص الإسلام على سد هذه المنافذ.

وقراءة الفتح (المحصَنات)، تفيد وقوع فعل الإحصان من غيرهن عليهن بالزواج، أو الحرية حيث كانت حصناً منيعاً لهن من أن يبتذلن كالإماء، أو أن يعتدى عليهن، وبذلك نرى أن تعدد القراءات في الآي أكد على أهمية العلاقة التبادلية بين الرجل والمرأة، وعلى أهمية الزواج لكلا الطرفين على اعتباره علاجاً فاعلاً للقضاء على التسيب الأخلاقي في المجتمع فهو إحصان للرجل والمرأة على حد سواء.

قال ابن منظور: "فمن نصب ذهب إلى ذوات الأزواج اللاتي قد أحصنهن أزواجهن ومن كسر ذهب إلى أنهن أسلمن فأحصنّ أنفسهن، فهن محصِنات" [٢].

سادساً: المعنى الإجمالي:

أولا: مفهوم القذف:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

١- **القذف لغة:** هو رمي المرأة العفيفة الطاهرة بالزنا، أو بنفي الولد، سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة [٣].

٢- القذف اصطلاحاً:

هم الذين ينتهكون حرمات المؤمنين فيرمون العفائف الحرائر الشريفات الطاهرات بالفاحشة، ويتهمونهن بأقدس وأثمن شيء لدى الإنسان، ألا وهو (العرض والشرف) فينسبونهن إلى الزنا، ثم لم

---

(١) انظر: الدر المصون، الحلبي، ١٩٧/٢، وروح المعاني، الألوسي، ٥١/٦.

(٢) "لسان العرب"، لابن منظور، ١٤٥/١٣.

(٣) انظر: "الميزان الكبرى"، لعبد الوهاب الأنصاري، ١٦٠/٢.

يأتوا على دعواهم بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن بما نسبوا إليهن من الفاحشة.

ثانياً: حكم القذف:

فاجلدوا الذين رموهم بذلك (ثمانين) جلدة، لأنهم فسقة كذبة يتهمون الأبرياء، ويحبون إشاعة الفاحشة، وزيدوا لهم في العقوبة بإهدار كرامتهم الإنسانية، فلا تقبلوا شهادة أي واحد منهم ما دام مُصِراً على بهتانه، أولئك عند الله من أسوأ الناس منزلة وأشدهم عذاباً، لأنهم فساق خارجون عن طاعة الله تعالى ولا يحفظون كرامة مؤمن، ويقعون في إعراض الناس شأن أهل الضلال والنفاق الذين يسعون لهدم المجتمع الإسلامي، وتقويض بنيانه، وأما الذين أنابوا وغيروا سيرتهم وأصلحوا أحوالهم، ورجعوا عن سلوك طريق البغي والضلال فاعفوا عنهم واصفحوا، واقبلوا اعتذارهم، وردوا إليهم اعتبارهم والله تعالى يقبل توبة العبد إذا تاب وأناب وأصلح حاله [1].

وقد عد النبي ﷺ قذف المحصنات من الكبائر المهلكات فقال ﷺ: **(اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)** [2].

اختلف الفقهاء في الاستثناء ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا** ...﴾ هل يعود إلى الجملة الأخيرة فيرفع عنه وصف الفسق ويظل مردود الشهادة؟ أم أن شهادته تقبل كذلك التوبة على مذهبين:

١- **مذهب أبي حنيفة:** أن الاستثناء راجع إلى الجملة الأخيرة ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾ فيرفع عنه وصف الفسق إذا تاب، ولكن لا تقبل شهادته، ولو أصبح أصلح الصالحين.

٢- **مذهب الجمهور:** مالك والشافعي وأحمد أن الاستثناء راجع إلى الجملتين الأخيرتين﴿**وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾ فإن تاب قبلت شهادته، ورفع عنه وصف الفسق[3].

سابعاً: من هدايات الآيات:

١- اعتبر الإسلام قذف المحصنات من كبائر الذنوب الموجبة لغضب الله وسخطه، وعدّها النبي ﷺ من الكبائر المهلكات.

٢- يعتبر الإسلام الكلمة من أخطر أنواع المسؤوليات التي يتحمل الإنسان تبعاتها في الدنيا والآخرة، والقذف نوع من الكلام الخطير الذي يتسبب في إيذاء الناس في أعراضهم، لذا كان

---

(١) انظر: "من روائع البيان"، للصابوني، ٢/٦٩.

(٢) "صحيح البخاري"، كتاب الوصايا، باب إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، ٤/١٠، ح (٢٧٦٦).

(٣) انظر:" من روائع البيان"، للصابوني، ٢/٧٠-٧١.

اللسان من أوسع الأبواب التي تدخل صاحبها النار فقد سأل معاذ بن جبل ﷺ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنؤاخذ بكل ما نتكلم به؟ فقال: **(ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم)** [١].

٣- بيان حد القذف وجعلها ثمانين جلدة، وإسقاط شهادته ووصفه بالفسق، وتعدد هذه العقوبات على القاذف دليل على عظيم جرمه، وخطورة فعله، فكم من أعراض جرحت ونفوس تحطمت بسبب تهمة نكراء رمي بها بريء، وكم من فتاة عفيفة قتلت بسبب كلمة خبيثة رماها بها فاسق جبان خاصة في هذا الزمن الذي عطلت فيه أحكام الشريعة مما شجع البعض على الولوع في أعراض الناس دون خوف من عقوبة حاكم في الدنيا أو عذاب في الآخرة.

٤- خصت الآية الكريمة النساء بالذكر دون الرجال مع أن حد القذف يطبق على كل من رمى غيره بالزنا رجلاً كان أو امرأة؛ وذلك لأن قذف المحصنات أشنع وأقبح في حقهن، ولشدة الضرر والأذى الذي يصيبهن وأهلهن من زوج ووالد وولد وغيرهم [٢].

٥- "قبول توبة التائب إن كانت توبة صادقة نصوحاً" [٣].

---

(١) "سنن الترمذي"، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ٣٠٨/٤ ح (٢٦١٦)، هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٨٢/٥.

(٣) "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥٤٩/٣.

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة النور من (٦-٢٠)

ويشتمل على مقطعين:

المقطع الأول: حد اللعان.

المقطع الثاني: قصة الإفك.

المقطع الأول: حد اللعان

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا العَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ * وَالخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:٦-١٠].

أولاً: المناسبة:

بعد بيان حكم قذف النساء الأجنبيات غير الزوجات بالزنى، بين الله ﷻ حكم قذف الزوجات الذي هو في حكم الاستثناء من الآية المتقدمة؛ تخفيفاً عن الزوج لأن العار يلحقه، ومن الصعب أن يجد بينة، وفي تكليفه إحضار الشهود إحراج له ويعذر بالغيرة على أهله، وأيضاً فإن الغالب أن الرجل لا يرمي زوجته بالزنى إلا صادقاً، بل ذلك أبغض إليه، وأكره شيء لديه [(١)].

ثانياً: سبب النزول:

"أخرج البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عباس: أن هلال بن أمية [(٢)] **قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء** [(٣)] **فقال له النبي ﷺ البينة أو حد في ظهرك، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة!! فجعل النبي ﷺ يقول: البينة أو حد في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزل الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل، فأنزل الله عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾**" [(٤)] [(٥)].

---

(١) "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٥٦/١٨.

(٢) هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم، وهو سالم بن امرئ القيس من الأوس الأنصاري الواقفي من بني واقف، كان قديم الإسلام، وكان يكسر أصنام بني واقف، شهد بدراً وأحداً، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فنزل فيهم قرآن، وكان معه راية بني واقف يوم الفتح، وأمه أنيسة بنت هدم، انظر: "أسد الغابة"، ابن الأثير، ٣٨٠/٥، و"الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، ابن عبد البر، ١٥٤٢/٤.

(٣) شريك بن عبدة بن مغيث بن الجد بن عجلان البلوي من ولد يحيى بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، حليف الأنصار، وهو شريك بن سحماء، صاحب اللعان، نسب إلى أمه، شهد مع أبيه أحداً، وهو أخو البراء ابن مالك، انظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ٦٣١/٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ٧٠٥/٢، والميزان الكبرى، لعبد الوهاب الأنصاري، ١٦٠/٢.

(٤) انظر: "صحيح البخاري"، باب (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع)، ١٠٠/٦ ح (٤٧٤٧).

(٥) انظر: "لباب النقول في أسباب النزول"، للسيوطي، والمحرر في أسباب نزول القرآن،خالد بن المزيني، ٧٢٣/٢.

ثالثاً: التحليل اللغوي:

﴿يَرْمُونَ﴾: الراء والميم والحرف المعتل أصل واحد وهو نبذ الشيء، ورمى، يرمي، رماية، أي ألقاه أو قذفه، ورمى فلاناً بأمر قبيح قذفه ونسبه إلى الفاحشة .

الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، والشهادة تجمع بين هذه الأصول، وهي الخبر القاطع [١].

رابعاً: البلاغة: [٢]

* قوله تعالى: ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ صيغة مبالغة على وزن فعّال، وفعيل.

* قوله تعالى: ﴿الصَّادِقِينَ، الكَاذِبِينَ﴾ بينهما طباق.

* قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ ...﴾ حذف جواب لولا للتهويل والزجر؛ ليكون أبلغ في البيان.

خامساً: الإعراب والقراءات:

* قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

أوجه الإعراب:

* قوله تعالى: (أنفسهم) يحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: مرفوعة على أنها نعت لشهداء.

الوجه الثاني: مرفوعة على أنها بدل من شهداء [٣].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

المعنى الأول:

معنى الآية: والذين يرمون نساءهم بالزنا، وليس لهم من يشهد بصحة قولهم، فالذي يقوم مقام الشهداء في دفع الحد عنه أن يحلف بالله أربعة أيمان أنه صادق في قوله فيها، يقول: أشهد بالله إني لصادق أربع مرات، فصفة الشهداء هنا أنهم هم أنفسهم [٤].

---

(١) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٢٢/٣، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٦٩/١.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ. د.وهبة الزحيلي، ١٥٢/١٨، و"صفوة التفاسير"، الصابوني، ٣٠٢/٢.

(٣) انظر: "التبيان في إعراب القرآن"، العكبري، ٢٥٩/٢.

(٤) انظر: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، لمكي بن أبي طالب، ٥٠٣٨/٨، و"إعراب القرآن وبيانه"، لمحيي الدين درويش، ٥٦٥/٦، و"معالم التنزيل في تفسير القرآن"، للبغوي، ١١/٦.

المعنى الثاني:

(والذين يرمون) من الرجال **(أزواجهم)** بالفاحشة، فيقذفونهن بالزنا ولم يكن لهم إلا أنفسهم على إثبات ما رموهن به، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين [1].

أوجه الإعراب والقراءات في قوله: ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾:

١- قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص: (أربعُ شهادات) برفع العين على أنها خبر لـ (شهادة).

٢- قرأ الباقون: (أربعَ شهادات) بنصب العين على المصدر [2].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب والقراءات:

المعنى الأول: أي فشهادة أحدهم التي تزيل عنه حد القذف أربعُ شهادات، وعلى هذا تكون (أربع) قد رفعت على أنها مبتدأ، أو على أنها خبر، والتقدير: (شهادة كل واحد منهم)، وهو مبتدأ وقوله تعالى: ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ خبرها، أي: فشهادتهم المشروعة أربع شهادات [3].

وعليه تكون قراءة الرفع قد بينت عدد الأيمان المحلوفة، يقول الفراء [4]: "وأما رفع قوله: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ فإنه من وجهين:

أحدهما: فعليه أن يشهد فهي مضمرة (أي عليه) كما أضمرت ما يرفع (فصيامُ ثلاثة) وأشباهه، وإن شئت جعلت رفعه بالأربع شهادات: فشهادته أربع شهادات كأنك قلت: والذي يوجب من الشهادة أربع كما تقول من أسلم فصلاته خمس [5].

---

(١) انظر: "جامع البيان في تفسير القرآن"، للطبري، ١٠٩/١٩، و"لباب التأويل في معاني التنزيل"، للخازن، ٤٨٢/٤، و"التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٥٢/١٨.

(٢) انظر: "النشر في القراءات العشر"، ابن الجزري، ٣٣٠/٢، و"البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة"، لعبد الفتاح القاضي، ٢٤٥/١.

(٣) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، القرطبي، ١٨٢/١٢، و"روح المعاني"، للألوسي، ٣٤٩/١٣، و"إعراب القرآن وبيانه"، لمحيي الدين درويش، ٥٦٦/٦.

(٤) يحيى بن زياد الفراء، من أهل الكوفة كنيته: أبو بكر، وقيل أبا زكريا، يروي عن الكوفيين، فقد روى عن محمد ابن الجهم السمري وغيره، عالم جليل له العديد من المصنفات منها: معاني القرآن، واللغات والمذكر والمؤنث، كان الغالب عليه معرفة الأدب، مات في طريقة مكة ٢٠٧هـ، انظر: "الطبقات الكبرى"، لابن سعد، ٢٦/١، و"الثقات"، لابن حبان، ٢٥٦/٩.

(٥) "معاني القرآن"، ٢٤٦/٢.

المعنى الثاني: أي فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والنصب هنا فيها على المصدر [١].

قال النيسابوري: "إعمال المصدر فيما في حكم المصدر، والتقدير: فواجب شهادة أحدهم شهادات أربعاً" [٢]، وعليه تكون قراءة النصب قد بينت وجوب الحلف بأربعة أيمان [٣].

أثر الاختلاف:

على القراءة الأولى كانت (أربع) مرفوعة على أنها خبر والمبتدأ: (فشهادة أحدهم أربع شهادات) أو مبتدأ، وعلى القراءة الثانية كانت (أربع) منصوبة على المصدر، والتقدير أن يشهد أحدهم أربع شهاداتٍ، أو شهادات أربعاً، وفي هذا إثراء للمعنى وإيضاح له.

أوجه الإعراب والقراءات في قوله: ﴿وَالخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا﴾:

١- قرأ نافع: (والخامسةُ أنْ غَضِبَ اللهُ عليها) بضم الخامسة وإسكان أن، وكسر الضاد في غضب، ورفع اسم الجلالة بعده.

٢- قرأ يعقوب: (والخامسةُ أنْ غَضَبُ اللهِ عَلَيْهَا) برفع الخامسة وإسكان نون أن، وفتح الضاد في غضب ورفع الباء فيها وكسر هاء الجلالة بعده.

٣- وقرأ الباقون: (والخامسةَ أنَّ غَضَبَ اللهِ عليها) بنصب الخامسة وتشديد النون ونصب غضب[٤].

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب والقراءات:

المعنى عند من قرأ (الخامسة) بالرفع على أنها مبتدأ، والواو استئنافية، وكأن سائلاً سأل: وما الخامسة؟ فقال سبحانه: والخامسةُ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين [٥]، أو بالعطف على قراءة (أربعُ شهادات) بالضم.

أما في قراءة: (الخامسةَ) منصوبة باعتبارها معطوفة على قراءة (أربعَ شهادات) بالنصب، أي والشهادة الخامسة أن غضب الله تعالى كائن عليها إن كان هو من الصادقين، أو بالنصب

---

(١) انظر:" إرشاد العقل السليم"، أبي السعود، ٢٨/٥،" الدر المصون"، السمين الحلبي، ٣٦٠٩/١.

(٢) "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، ٤٥٨/٥.

(٣) انظر: "مشكل إعراب القرآن"، لمكي بن أبي طالب، ٥٠٩/١.

(٤) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٣١/٢، و"البدور الزاهرة "، لعبد الفتاح القاضي، ٢٤٥/١.

(٥) انظر: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، النسفي، ٤٠٢/٢، و"أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، البيضاوي، ٣٧٢/٤، و"بحر العلوم"، السمرقندي، ٢٠٠/٣.

على أنها مفعول به ثاني، والتقدير: وتشهد الشهادة الخامسة أن غضب الله عليها إن كان هو من الصادقين [١].

أما قراءة: (أنَّ غَضَبَ اللهِ عليها) فقد جاءت أنَّ المشددة مع صيغة الاسم (غَضَبَ وغَضَبُ)، وجاءت أن المخففة مع صيغة الفعل (غَضِبَ) وهاتان القراءتان أفادتا تحقيق التحذير والترهيب للزوجة الملاعنة، حيث إن قراءة التشديد مع الصيغة الاسمية أفادت تأكيد وقوع الغضب عليها من الله وثبوته فور قيامها بالشهادة الخامسة؛ لأن الصيغة الاسمية تفيد الثبوت [٢].

أما قراءة التخفيف مع صيغة الفعل الذي يدل على الحدوث والتجدد فتفيد تعجيل العقوبة على الملاعنة الكاذبة وحدوثها فور افترائها على زوجها [٣].

أثر الاختلاف:

على قراءة الرفع كان المعنى أن الخامسة مبتدأ، والواو قبلها استئنافية، أما قراءة النصب (الخامسةَ) فكان المعنى إما معطوفة على (أربعَ) قبلها، أو أنها مفعول به ثانٍ، وهذا من روعة وبلاغة وجمال القرآن الكريم حيث جعلت فيه قراءات متواترة صحيحة للتسهيل وموافقة اللغة العربية إذ بها قد نزل.

القراءات في قوله تعالى: ﴿وَالخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ﴾:

١- قرأ نافع ويعقوب: (أنْ لعنتُ) بإسكان النون المخففة ورفع لعنت.

٢- وقرأ الباقون: (أنَّ لعنتُ) بتشديد النون ونصب لعنت [٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى العلماء أنّ (أنْ) هي المخففة من الثقيلة، ومعناها (أنه) والقراءة بإسكان النون مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، ولعنتُ بالرفع مبتدأ والجار والمجرور بعده متعلق الخبر، والجملة خبر (أن) المخففة، تفيد معنى: أنه لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

أما قراءة (أنَّ لعنتَ) بتشديد (أنّ) ونصب (لعنتَ) على أنها اسم أنَّ والجار والمجرور بعده متعلق خبر (أنْ) يكون بها المعنى أيضاً: أنه لعنة الله عليه، وبالتشديد يكون المعنى فيه آكد من

---

(١) انظر: "إرشاد العقل السليم"، لأبي السعود، ٢٩/٥، و"غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، للنيسابوري، ٤٥٨/٥، و"البحر المحيط"، لأبي حيان، ٢٩٢/٨.

(٢) انظر: "معاني الأبنية"، باب الاسم والفعل، ص٢٢.

(٣) انظر: "القراءات المتواترة"، ص٣١٤.

(٤) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٣٠/٢.

التخفيف، ففيه مزيد تأكيد على وقوع اللعنة من الله ﷻ على القاذف فور إدلائه بالشهادة الخامسة واستمرارها، وفي ذلك من التحذير والترهيب ما فيه[١] .

سادساً: المعنى الإجمالي:

أولاً: مفهوم اللعان:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا العَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ * وَالخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:٦-١٠] .

تحدث القرآن الكريم في هذه السورة عن الملاعنة وأحكامها، وجاء ذلك واضحاً في الآيات السابقة، فاللعان هو كلمات معلومة جعلت حجة للمضطر إلى قذف من لطخ فراشه، وألحق العار به، أو إلى نفي الولد، وسميت هذه الكلمات لعاناً لقول الرجل عليه لعنة الله إن كان من الكاذبين، وإطلاقه في جانب المرأة من مجاز التغليب [٢].

وفي هذه النصوص تيسير على الأزواج يناسب رقة الحالة وحرج الموقف، ذلك حين يطلع الزوج على فعلة زوجته وليس له من شاهد إلا نفسه، فعند إذ يحلف أربع مرات بالله إنه لصادق في دعواه عليها بالزنا [٣].

﴿وَالخَامِسَةُ﴾ أي الشهادة الخامسة للأربعة المتقدمة، أي الجاعلة لها خمساً بانضمامها إليهن وإفرادها عنهن مع كونها شهادة أيضاً لاستقلالها بالفحوى، وإعادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر، وإظهار الصدق [٤].

﴿أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ أي فيما رماها به من الزنا، فإن لاعن الرجل حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن، ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا العَذَابَ﴾ أي يدفع عن المرأة المرمية بالزنا العذاب الدنيوي وهو الرجم ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ﴾ أن الزوج من الكاذبين فيما رماها به من الزنا [٥].

---

(١) انظر: "المحتسب، "لابن جني، ١٠٢/٢ ، و"المستنير،" د. محمد سالم محيسن ، ١٢٣/١ .

(٢) "مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج"، لشمس الدين الشربيني الشافعي، ٥٢/٥.

(٣) انظر: " في ظلال القرآن"، لسيد قطب، ٢٤٩٢/٤.

(٤) انظر: " إرشاد العقل السليم"، لأبي السعود، ١٥٨/٦.

(٥) انظر: "روح البيان"، لإسماعيل حقي الاستانبولي، ١٢١/٦.

والخامسة أن غضب الله تعالى عليها إن كان الزوج من الصادقين فيما رماها به من الزنا، وتخصيص الغضب في جانب المرأة للتغليظ عليها [١].

ثانيا: صفة اللعان:

وصفة اللعان كما بينتها الآيات هو أن يقوم الزوج بالحلف أربع شهادات بالله تعالى أنه قد رآها تزني، وأن حملها هذا ليس منه، ويقول هذا الزوج في الخامسة: لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم تشهد هي أربع شهادات بالله كما فعل هو، ثم تخمس بغضب الله تعالى عليها إن كان من الصادقين [٢].

إن بيان أحكام اللعان لها أثر على المجتمع، وذلك لأنها تحفظ المجتمع من فعل الفواحش فهي تحفظ الزوجات من الوقوع في الفواحش، ولكي تتذكر ما حصل لغيرها، ولا تُقبل على فعل الزنا ولا تفكر فيه، واللعان له الأثر البالغ في إصلاح الأسرة، فهي نواة المجتمع، وجاء اللعان لحفظ حقوق الأزواج من الوقوع في الفواحش، وشرع أيضاً لصيانة الأعراض، والمحافظة على الأنساب من الضياع، ومن أجل دفع الظلم عن المرأة [٣].

ثالثاً: شروط قبول اللعان:

١- يشترط في اللعان أن يكون من زوجين حرين، وهذا ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة [٤].

٢- ويشترط في الزوجة أن تكون حرة بالغة عفيفة [٥].

٣- اتفق جمهور العلماء على أن اللعان لابد أن يكون من مكلفين عاقلين [٦].

٤- لابد للزوجة أن يتأخر لعانها عن لعان زوجها، لأن لعانها إنما يكون لإسقاط الحد وإنما يجب الحد بلعانه؛ لأنه لا حاجة إلى لعانها قبله [٧]

٥- اللعان لا يكون إلا بحضرة الحاكم أو القاضي [٨].

---

(١) انظر: "محاسن التأويل"، للقاسمي، ٣٣٣/٧.

(٢) انظر: "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، لابن رشد القرطبي، ٥٥/٣.

(٣) انظر: "نظام الأسرة في الإسلام"، د. عدنان زرزور، ص٢٧٤.

(٤) انظر: "المغني"، لابن قدامة المقدسي، ٤٠/٩.

(٥) انظر: "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، لابن رشد القرطبي، ص١١٩.

(٦) انظر: "أحكام القرآن"، لابن العربي، ٣٥٣/٣.

(٧) انظر: "زاد المحتاج بشرح المنهاج"، للعلامة عبد الله الكهوجي، ٤٨٢/٣.

(٨) انظر: "المجموع شرح المهذب"، لأبي زكريا النووي، ٤١٨/١٧.

رابعاً: الحكمة من التشدد في شروط اللعان:

حتى يظل المجتمع نظيفاً، بعيداً عن الاستهتار، وأن لا يبقى لقمة سائغة لكل ما هب ودب، وأن يحفظ أعراض المسلمات من ألسنة العابثين.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "ولولا فضل الله ﷻ عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عواد على خلقه بلطفه حكيم في تدبيره إياهم وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلاً، رحمة منه بكم وتفضلاً عليكم فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما نهاكم عنه من معصية [١].

ويقول ابن عاشور: "تذييل لما مرّ من الأحكام العظيمة المشتملة على التفضل والرحمة منه والمؤذنة بأنه تواب على من تاب من عباده، والمنبئة بكمال حكمته تعالى، إذ وضع الشدة موضعها والرفق موضعه، وكف بعض الناس عن بعض" [٢].

سابعاً: من هدايات الآيات: [٣].

١- شرع الله ﷻ حكم اللعان في الزوجات دون الأجنبيات؛ لأن قذف الزوجة يلحق العار بالزوج ويفسد عليه النسب، فإقدامه على القذف رغم أضراره الخطيرة دليل على صدقه في قذف زوجته.

٢- بيان حكم قذف الرجل زوجته ولم يكن له أربعة شهود يشهدون معه على ما رمى به زوجته.

٣- بيان كيفية اللعان وأنه موجب لإقامة الحد.

٤- في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي وكماله وأن مثله لن يكون إلا بوحي إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة المحمدية [٤].

٥- خص القرآن الكريم اللعنة في الزوج الملاعن، وخصّ الزوجة بالغضب؛ لأن الغضب أشد في العقوبة من اللعن، ولاشك أن اقتراف المرأة لجريمة الزنا أكثر إثماً من اقتراف الرجل لجريمة القذف، وقد يكون اللعن أقل وقعاً في قلوب النساء من الرجال؛ لكثرة جريانه على ألسنتهن.

٦- شرَّع الله تعالى حكم اللعان عند اتهام الزوجة بالزنا، ستراً من الله تعالى على عباده وفتحاً لأبواب التوبة أمام الزوجين عند الإلمام بالمعصية، حيث يترك إثبات ارتكاب الزوجة للفاحشة

---

(١) "جامع البيان"، ١١٥/١٩.

(٢) "التحرير والتنوير"، ١٦٨/٩.

(٣) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٨٧/٥-١٨٨.

(٤) انظر: "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٥٥١/٣.

معلقاً، وكذلك إثبات كذب الزوج في اتهامه لزوجته، وفي هذا الحال توأد الجريمة في مهدها، دون أن تلطخ بقذرها من لهم صلة بالزوجين [١].

٧- عدل ﷻ عن قوله: (تواب رحيم) إلى قوله: (تواب حكيم) حيث أراد الله ﷻ الستر على العباد بتشريع اللعان بين الزوجين، فلو لم يكن اللعان مشروعاً لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه، ولو اكتفى بلعانه لوجب على الزوجة حد الزنا، فكان من الحكمة للزوجين أن شرع هذا الحكم، ودرأ عنهما العذاب بتلك الشهادات، فسبحان الله ما أوسع رحمته، وأجل حكمته !! [٢].

المقطع الثاني: حديث الإفك

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمَ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآَيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:١١-٢٠].

أولاً: المناسبة:

بعد بيان حكم قذف النساء الأجنبيات غير المحارم، وحكم قذف الزوجات، أبان الله تعالى في هذه الآيات العشر براءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مما رماها به أهل الإفك من المنافقين وذكر فيها جملة من الآداب التي كان يلزمهم الإتيان بها، والزواجر التي كان ينبغي عدم التعرض لها [٣] .

فهي تمثل أنموذجاً واقعياً للوقوف على أخطار القذف وأضراره، ولرصد آثاره على الفرد والمجتمع.

---

(١) انظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٨٧/٥-١٨٨.

(٢) انظر: "صفوة التفاسير"، للصابوني، ٣٠٢/٢.

(٣) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٧٧/١٨، و"التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ١٩٢/٥.

ثانياً: سبب النزول:

أخرج البخاري وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه أيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة رضي الله عنها فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، وإنما تأكل العلفة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السنة، فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها دلّ ولا مجيب، فأقمت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي.

فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل [1] السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني معرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: (كيف تيكم) ثم ينصرف، فذاك الذي يريبني ولا أشعر، حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهي متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

---

(١) صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي أبو عمر، سكن المدينة، وشهد الخندق والمشاهد وقيل أول مشاهده المريسيع، وفيها ذكر في قصة الإفك، وقتل في خلافة عمر بن الخطاب في غزاة أرمينية شهيداً، سنة تسع عشرة هجري، انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة"، ٦/٥٥-٥٦.

فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة [١] فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعيس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً، قالت: أي هنتاه، أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي.

فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله ﷺ تعني سلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة، عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: قلت: سبحان الله، ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله، أهلك وما نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعاء رسول الله ﷺ بريرة، فقالت: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن [٢] فتأكله، فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله وهو على المنبر: (يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقال سعد بن معاذ الأنصاري:[٣] يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج

---

(١) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، كان اسمه عوفاً، أما مسطح فهو لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر ﷺ أسلمت وأسلم أبوها قديماً وكان أبو بكر يمونه لقرابته منه، فلما خاض مع أهل الإفك حلف أبو بكر ألا ينفعه، فنزلت: [وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ...] {النور:٢٢} ، فعاد للإنفاق عليه، مات مسطح سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان، ويقال عاش إلى خلافة علي، وشهد معه صفين ومات في تلك السنة سبع وثلاثين، انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة"، ابن حجر العسقلاني، ٧٤/٦، و"أسد الغابة"، لابن الأثير، ١٥٠/٥.

(٢) الداجن: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، لسان العرب، لابن منظور، ١٤٨/١٣.

(٣) سعد بن معاذ الأنصاري بن النعمان الأشهلي، سيد الأوس، أبو عمرو، شهد بدراً، ورمى بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهراً، حتى حكم في بني قريظة، وأجيبت دعوته في ذلك ثم انتفض جرحه فمات سنة ٥هـ، وقال النبي ﷺ عنه: (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ)، انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة"، لابن حجر العسقلاني، ٧٠/٣-٧٢.

أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة [1] وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير [2] وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا وسكت يوحى إليه في شأني، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد: يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: وما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة، لتصدقوني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، قالت: ثم تحولت فاضجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذ ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان [3] من العرق، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت: فلما سُري عنه رسول الله ﷺ سُرِّي عنه وهو يضحك، فكانت

---

(١) سعد بن عبادة بن ديلم بن حرام الأنصاري سيد الخزرج، يكنى أبو ثابت، وأبو قيس شهد العقبة وكان أحد النقباء، كان يكتب بالعربية، ويحسن العوم والرمي، فكان يقال له الكامل، وكان مشهوراً بالجود، فكان يعشي كل ليلة ثمانين من أهل الصفة، مات في الشام بحوران سنة ١٥هـ، وقيل ١٦هـ، انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة"، ابن حجر العسقلاني، ٣/٥٥-٥٦.

(٢) أسيد بن حضير بن سماك الأنصاري الأشهلي، أبو يحيى، كان من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، أسلم على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ، آخى الرسول ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وكان ممن ثبت يوم أحد، وجرح سبع جراحات، قال عنه الرسول: (نعم الرجل أسيد بن حضير)، توفي سنة ٢٠هـ، وقيل ٢١هـ، انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة"، ابن حجر العسقلاني، ١/٢٣٤-٢٣٥.

(٣) حبات اللؤلؤ الصغار، وقيل: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ، وفيه تشبيه عرق الرسول ﷺ بحب اللؤلؤ، لسان العرب ١٣/٩٢.

أو كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما والله ﷻ فقد برأك، فقالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ﷻ وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ ... وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:١١-٢٠]"[١] [٢].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

﴿بِالإِفْكِ﴾: الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته، والإفك الكذب[٣]

﴿عُصْبَةٌ﴾: هم من الرجال عشرة، ولا يقال لما دون ذلك عصبة، وقيل هم ما بين العشرة إلى الأربعين[٤].

﴿بُهْتَانٌ﴾: الكذب، ومنه بهته: أي قال عليه ما لم يفعل [٥].

﴿تَشِيعَ﴾: الشين والياء والعين أصل يدل على البث والإشادة، وشاع الحديث: إذا ذاع وانتشر [٦].

رابعاً: البلاغة: [٧].

حذف جواب (لولا) للتهويل في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾وذلك حتى يذهب الوهم في تقديره كل مذهب، فيكون أبلغ في البيان وأبعد في التهويل والزجر.

(لولا) في المواضع المختلفة، بمعنى هلا و يقصد بها التوبيخ على التقصير والتسرع في الاتهام كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي هلا جاءوا وغرضه التوبيخ واللوم.

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ طباق بين الشر والخير.

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ طباق بين الهين والعظيم.

﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أسلوب التفات من الخطاب إلى الغيبة، فالأصل أن يقال: ظننتم، وإنما عدل عن ذلك مبالغة في التوبيخ، وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين.

---

(١) "صحيح البخاري"، باب تعديل النساء بعضها بعضاً، ١٧٣/٣ ح(٢٦٦١)، و"صحيح مسلم"، باب في حديث الإفك وقبول توبة، ٢١٢٩/٤ ح(٢٧٧٠).

(٢) "لباب النقول في أسباب النزول"، السيوطي، ١٤٠/١، و"المحرر في أسباب النزول"، ٧٤٣/٢-٧٤٨.

(٣) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ١٨٨/١، و"مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ١٩/١.

(٤) انظر: مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٣٣٩/٤.

(٥) انظر: "مختار الصحاح"، لزين الدين الحنفي الرازي، ٤١/١.

(٦) انظر: "مقاييس اللغة"، لابن فارس، ٢٣٥/٣.

(٧) انظر: "التفسير المنير"، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٦٩/١٨، و"صفوة التفاسير"، للصابوني، ٣٠٢/٢.

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا﴾ فيه إيجاز بالحذف، أي ألا يؤتوا، حذفت منه (لا) لدلالة المعنى عليها.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فيه تهييج وتقريع.

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) استعارة، شبه سلوك طريق الشيطان بمن يتبع خطوات غيره خطوة خطوة.

* قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ فيه تعجب ممن يقول ذلك، والأصل في ذكر هذه الكلمة (سبحانك) أن يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب .

خامساً: القراءات:

القراءات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ :

١- قرأ يعقوب: (كُبْرَهُ) بضم الكاف.

٢- قرأ الباقون: (كِبْرَهُ) بكسر الكاف [١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى جمهور أهل اللغة أن القراءتين لغتان، وأيضاً بمعنى واحد، قال الألوسي في تفسيره (كُبره) بضم الكاف وهو مكسورها مصدران لكبر الشيء عظم ومعناها واحد [٢].

وقال ابن عاشور: "والكِبر بكسر الكاف في قراءة الجمهور ويجوز ضم الكاف وقرأ به يعقوب وحده، ومعناها أشد الشيء ومعظمه فهما لغتان عند جمهور أئمة اللغة" [٣].

ومما سبق نجد أن قراءة الضم (كُبْرَهُ) أفادت أن المقصود هو عبد الله بن أبي بن سلول فهو من كبراء قومه وتولى معظم قول الإفك وأشده، ومعلوم أن الأمر إذا صدر عمن له مكانة في قومه يكون صداه وأهميته أكبر مما لو صدر عن شخص لا مكانة له في قومه، فدلت هذه الآية على عظم الحدث، وأما قراءة الكسر (كِبْرَهُ) فأفادت أن عبد الله بن سلول أول من بدأ باختلاق حديث الإفك ونشره بين الناس[٤] .

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن عبد الله بن أبي بن سلول هو أول من بدأ حديث الإفك، وأول من تولى إشاعته بين الناس فهو يتحمل معظم إثمه وشره؛ لذلك توعده الله ﷻ بالعذاب العظيم في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: "النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، ٣٣١/٢.

(٢) "روح المعاني"، ٣١٢/٩.

(٣) "التحرير والتنوير"، ١٧٣/١٨.

(٤)" الدر المنثور"، للسيوطي، ١٤١/٦.

سادساً: المعنى الإجمالي:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمَ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآَيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:١١-٢٠].

أولاً: الهدف من النيل من القادة المسلمة:

هذه الآيات نزلت كلها في شأن براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية الشنيعة التي غار الله تعالى لها ولنبيه ﷺ فأنزل ﷻ براءتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ أي جماعة منكم ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه حين دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزوه آخرين منهم، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن في شأن عائشة رضي لله عنها [1].

ثانياً: البعد عن مظان التهمة واجب أساس على الصف المسلم:

إن قصة الإفك كما روتها سورة (النور) وكما فصلتها كتب الصحاح، تمثل أنموذجاً عملياً لأخطار القذف وأضراره، خاصة عندما يمس رموز الأمة وقادتها، ويصيبها في مثلها العليا وقدوتها، فقد روَّج المنافقون وعلى رأسهم ابن سلول شائعة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عندما اتهموها بارتكاب فاحشة الزنا، تلك الشائعة التي سببت للرسول ﷺ آلاماً رهيبة مدة شهر كامل، قبل أن ينزل الوحي ببراءتها رضي الله عنها وهذه التجربة رغم مرارتها كانت خيراً للمسلمين، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لأنها كانت سبباً في نزول سورة (النور) التي تحمل في

(١) انظر:" تفسير القرآن العظيم"، ابن كثير، ٢٥/٦.

طياتها العشرات من التشريعات الربانية الكفيلة بتنشئة المسلمين وتربيتهم على أعظم القيم الأخلاقية وكانت خيراً لهم عندما كشفت لهم عن بعض مكائد المنافقين، الذين أثاروا هذه الفتنة لإلحاق الهزيمة بالمسلمين في ميدان الأخلاق، الذين تفوقوا فيه على غيرهم، وكانت خيراً لهم، عندما بينت الأخطار الجسيمة العظيمة التي تترتب على إطلاق الألسنة للخوض في أعراض الناس، مما استدعى تشريع عقوبة مناسبة لهذا الأمر الخطير [١].

ثالثاً: عدم الأخذ بالإشاعة:

ولا تحسبوه شراً لكم أيها النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة وصفوان رضي الله عنهم بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم، وظهور كرامتكم على الله تعالى بإنزال قرآن فيكم ببراءتكم، وتعظيم شأنكم، وتهويل ووعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً، وتشير الآيات الكريمة إلى جزاء أولئك الخائضين في ذلك الإفك [٢].

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي الذي تولى معظمه هو ابن سلول، بدأ به وأذاعه عداوة للرسول ﷺ، أو هو حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة إنهما شايعاه بالتصريح، وأولئك لهم عذاب في الآخرة، أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أُبي مطروداً مشهوراً له بالنفاق، وحسان أعمى، أشل اليدين، ومسطح مكفوف البصر [٣].

رابعاً: المنهج القويم الواجب اتباعه بين المؤمنين في معالجة الإشاعة:

ثم بينت الآيات الكريمة المنهج السليم القويم الواجب إتباعه بين المؤمنين، والذي يقوم على مبدأ الظن المؤمن بأخيه، وعدم التسرع في اتهامه والظن السيء به، فإن من مقتضيات الإيمان ألا يصدق مؤمن على أخيه قول طعن ونقص، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [٤].

قال ابن كثير: "هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضي الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيء وما ذكر من شأن الإفك فقال تعالى: (لولا) أي هلا، (إذ سمعتموه) أي ذلك الكلام الذي رُميت به أم المؤمنين رضي الله عنها (ظن المؤمنون والمؤمنات

---

(١) انظر:" التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، إعداد نخبة من المفسرين، ١٩٣/٥.

(٢) انظر:" أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، للبيضاوي، ١٠٠/٤، و"تفسير المراغي"، للمراغي، ٧٩/١٨.

(٣) انظر: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، للبيضاوي، ١٠٠/٤.

(٤) انظر: "فتح الباري"، للعسقلاني، ٤٧٠/١٨، و"جامع البيان"، للطبري، ١١٧/١٩،و"المحرر الوجيز"، لابن عطية، ١٧٠/٤.

بأنفسهن خيراً) أي قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم، فأم المؤمنين أولى بالبراءة منهم بطريق الأولى والأحرى" [١].

ويبدو أن هذا الموقف الإيمان كان موجوداً بين المؤمنين الذين سارعوا إلى رفض تلك الشائعات، كما حدث بين أبي أيوب الأنصاري وزوجته رضي الله عنهما عندما قالت له يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم!! ذلك الكذب أكنت ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك [٢]، وهذا تحريض على ظن الخير، وزجر وأدب وفيه تنبيه على ظن الخير ببراءة أخيه المؤمن كما يقول المستيقن المطلع على الحقيقة [٣].

وهذا هو المنهج الجدير واللائق بمنزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لأنها فوق التهمة وبمجرد سماع المؤمن لمثل تلك الشائعات فالواجب عليه المسارعة إلى تكذيبها، ووصفها بأنها إفك مبين وأدلة كذبه واضحة ظاهرة لكل عاقل.

يقول ابن كثير: "وقوله تعالى: (قالوا) أي بألسنتهم، (هذا إفك مبين) أي كذب ظاهر على أم المؤمنين رضي الله عنها، فإن الذي وقع لمن يكن ريبة، وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، ولو كان الأمر فيه ريبة لم يكن هذا فيه جهرة، ولا أقدموا على ذلك على رءوس الأشهاد، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت، والزور والرعونة الفاحشة الفاجرة والصفقة الخاسرة" [٤].

قال رسول الله ﷺ : **(كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع)** [٥]، وقال ﷺ : **(... بئس مطية الرجل زعموا)** [٦] ومعناه: أن من أكثر من الحديث بما لا يصح عنده، ولا يعلم صدقه لم يؤمن عليه الكذب، والمقصود أن الإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت ويكون على ثقة من ذلك لا مجرد حكاية عن ظن وحسبان وفي المثل زعموا مطية الكذب [٧].

---

(١) "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٢٧/٦.

(٢) انظر: "البحر المحيط"، لأبي حيان الأندلسي، ٢١/٨.

(٣) انظر: "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٢٧/٦.

(٤) "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٢٧/٦.

(٥) "صحيح مسلم"، كتاب مقدمة الإمام المسلم، باب النهي عن الحديث عن كل ما سمع، ١١/١، ح (٥).

(٦) سنن أبي داود"، كتاب الأدب، باب قول الرجل زعموا، ٢٩٤/٤، ح (٤٩٧٢)، حكم الألباني، صحيح.

(٧) "عون المعبود شرح سنن أبي داود"، محمد أشرف الصديقي الأبادي، ٢١٥/١٣.

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ وبعد بيان الخطوة الأولى في ذلك المنهج تأتي الخطوة التالية التي تطالب بالأدلة والبراهين التي تثبت التهمة عن طريق أربعة من الشهود، فإن لم يتوفر ذلك العدد ولم يسارعوا إلى تكذيبه وإنكاره ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي لولا أني قضيت أني أتفضل عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال بالتوبة، وأنا أترحم عليكم بالآخرة بالعفو والمغفرة والرحمة، لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم من حديث الإفك [1].

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ بينت الآيات الكريمة قبح ما فعله الخائضون في الإفك عندما أطلقوا العنان لألسنتهم كل يتلقى عن الآخر ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ وهذا التعبير يوحي بأن ذلك الخبر تلقاه أولئك الخائضون بلا تدبر ولا روية، ودون عرضه على العقل، والقلب غافلين عن عظمة ذلك الذنب المترتب على الخوض في عرض زوجة النبي ﷺ الطاهرة البريئة، وظننتم ذلك يسيراً سهلاً، وهو في شرع الله تعالى وحكمه أمر عظيم من عظائم الأمور وكبائرها ولما فيه من تدنيس بيت النبوة بأقبح الفواحش، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] [2]، وقال ﷺ : **(إن العبد ليتكلم الكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه بها درجات، وإن العبد ليتكلم الكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم)** [3].

قال القرطبي: "هذا عتاب من الله تعالى، بليغ لمن خاضوا في الإفك، ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا، ويرحم في الآخرة من أتاه تائباً" [4]، وقال الكلبي في التسهيل: "عاتبهم تعالى على ثلاثة أشياء: الأول تلقيه بالألسنة، أي السؤال عنه، والثاني: التكلم به، والثالث: استصغاره حين حسبوه هيناً وهو عند الله تعالى عظيم، وفائدة قوله تعالى: (بألسنتكم ... بأفواهكم) الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب، لأنهم لم يعلموا حقيقته بقلوبهم" [5].

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ عتاب لجميع المؤمنين، أي كان ينبغي عليكم أن تنكروه أول سماعكم له وتقولوا لا ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد، وهنا تعجب من

---

(١) انظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل"، للخازن، ٢٨٨/٣.

(٢) انظر: "الدر المنثور"، للسيوطي، ١٦٠/٦.

(٣) "صحيح البخاري"، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ١٠١/١٨، ح (٦٤٧٨).

(٤) "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، ٢٠٢/١٢.

(٥) "التسهيل في علوم التنزيل"، ٦٢/٣.

سلوك بعض المؤمنين الذين لم يسرعوا إلى تكذيب ذلك الخبر مجرد سماعه لكمال وضوحه في الكذب، والبهتان .

قال الزمخشري: "هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر، والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يُسبّح الله تعالى عند رؤية العجائب" (١).

﴿يَعِظُكُمَ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ هذا من الزواجر، يحذر الله تعالى فيه المؤمنين من العودة لمثله، أي ينهاكم الله تعالى متوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا مستقبلاً ما دمتم أحياء مكلفين، إن كنتم من أهل الإيمان بالله تعالى وشرعه، وتعظيم رسول الله ﷺ والائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه، والله ﷻ يوضح لكم الأحكام فهو عليم بما يصلح عباده مطلع على أحوالهم، فيجازي كل امرئ بما كسب (٢).

خامساً: دور المنافقين في نشر القبح في المجتمع الإسلامي:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إن الذين يريدون نشر الفعل القبيح المفرط في القبح كإشاعة الفاحشة والرذيلة والزنى وغير ذلك من المنكرات في المؤمنين الأطهار، لهم عذاب موجع مؤلم في الدنيا بإقامة الحد، وفي الآخرة بعذاب جهنم (٣)، (عني بهذا الوعيد واللعن المنافقين، فإنهم أحبوا وقصدوا إذابة الرسول ﷺ وذلك كفر وملعون صاحبه) (٤)، والله تعالى عالم بالخفايا والنوايا وأنتم لا تعلمون ذلك، قال الإمام الفخر الرازي: "وهذه الجملة فيها حسن الموقع بهذا الموضع، لأن محبة القلب كافته، ونحن لا نعلمها إلا بالإمارات، أما الله ﷻ فهو لا يخفى عليه شيء، فصار هذا الذكر نهاية في الزجر، لأن من أحب إشاعة الفاحشة، وإن بالغ في إخفاء تلك المحبة فهو يعلم أن الله تعالى يعلم ذلك منه ويعلم قدر الجزاء عليه" (٥).

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾أي لولا الفضل الإلهي والرحمة بكم لكان أمر آخر، وهو لهلكتم، أو لعذبكم الله تعالى واستأصلكم ولكنه ﷻ رءوف بعباده، رحيم بهم، فتاب عليهم وأرشدهم لما فيه الخير والصلاح، فالله تعالى يدفع عن عباده شرور الحاقدين المتربصين بالمسلمين الدوائر(٦) .

---

(١) انظر: "الكشاف"، ٢٢/٣.

(٢) انظر: "التفسير المنير"، أ.د: وهبة الزحيلي، ١٨١/١٨-١٨٢.

(٣) انظر:" صفوة التفاسير"، للصابوني، ٣٠١/٢.

(٤) انظر: "البحر المحيط"، لأبي حيان الأندلسي، ٢٤/٨.

(٥) "التفسير الكبير"، للإمام فخر الدين الرازي، ٣٤٦/٢٣.

(٦) "انظر المرجع السابق"، نفس الصفحة.

سابعاً: من هدايات الآيات: [1].

١- قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له.

٢- بشاعة الإفك وعظيم جرمه.

٣- العقوبة على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة.

٤- يجب على المؤمن أن يحسن الظن بأخيه المؤمن، فلا يظن به إلا خيراً.

٥- قررت الآيات الكريمة قاعدة في الاتهام والمرافعة تقوم على أساس أن كل اتهام لابد له من دليل وبينة، فعندما لا تتوفر الأدلة والبينات والشهداء لتوثيق الاتهام فأولئك عند الله هم الكاذبون.

٦- تعتبر حادثة الإفك دليلاً ساطعاً على نبوة محمد ﷺ.

٧- نزول القرآن الكريم ببراءة السيدة عائشة رضي الله عنها مما رماها به أهل الإفك، دليل قاطع على عفتها وطهارتها، ومن خاض في عرضها بعد ذلك فهو كافر مرتد عن الإسلام لإنكاره أمراً صريحاً جاء في القرآن الكريم.

٨- لشدة قبح الزنا وضع الله ﷻ لمقاومتها أموراً كثيرة منها: وضع حداً شرعياً للواقع فيها، منع تزويج الزاني من عفيفة، أو عفيفة من زانٍ إلا بعد التوبة، شهود عدد من المسلمين إقامة هذا الحد، حرمة ظن السوء بالمؤمنين وغير ذلك.

٩- يجب عدم تعاطي الذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيده حسبانه شيئاً، ولا يخفف عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه مواقعته مرة أخرى.

١٠- تعظيم حرمة عرض المسلم بحيث لا يجوز الإقدام على رميه، ومن دون نصاب الشهادة بالصدق.

---

(١) انظر: "أيسر التفاسير"، لأبي بكر الجزائري، ٣/٥٥٥-٥٥٨، و"التفسير الموضوعي لسور القرآن"، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين، ٥/٢٠٠-٢٠١، و"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، للسعدي، ١/٥٦٣ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبوات والرسالات، أحمده سبحانه وتعالى أن أعانني ووفقني الى إتمام هذا العمل المتواضع سائلة المولى ﷻ أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

وهذه أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت اليها خلال البحث:

أولاً: أهم النتائج:

١- علم المقاصد يعين على فهم كتاب الله ﷻ فهما صحيحا ويعين على استخراج دقائق معانيها وتدبرها، ويوصل الى معرفة الحق في تفسير كلام الله، فمقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع اليه.

٢- اشتمل القرآن الكريم على العديد من القضايا العقدية والأحكام والأخلاق والوعظ والقصص وغيرها من مقاصد القرآن الكريم التي جعلها الله سبحانه هداية للبشر، والتي تدور جميعها على الدعوة الى الله، والقرآن يبث هذا المعنى من خلال المقاصد والأهداف والأغراض الموزعة على كافة الآيات.

٣- بيان سنن الله تعالى في إرسال الرسل ، وما تبتدئ به دعوتهم ، وهو لا إله إلا الله.

٤- إيتاء الزكاة طهارة للقلب والمال، إذ هي تأمين اجتماعي للأفراد، ووقاية للجماعة كلها من التفكك والانحلال .

٥- الكرامة والمكانة للعبد عند الله عز وجل ليست بالمال والولد ولكن بالتقوى والعمل الصالح .

٦- لا يمكن للحق أن يدور مع الهوى ، فبالحق تقوم السموات والأرض ، وبالحق يستقيم الكون كله، فالحق واحد ثابت ، والأهواء كثيرة متقلبة .

٧- فند القرآن الكريم الشبهات التي تصرف العباد عن الإيمان شبهة شبهة ، وهذا منهج قرآني فريد يتعلم منه الدعاة إلى الله أساليب الرد على أعداء الإسلام وخصومه .

٨- من أساليب أعداء الإسلام إطلاق الشائعات ضد الرسل والدعاة واتهامهم بالكذب والافتراء، فإن تعرض الدعاة لمثل هذا فعليهم الصبر واحتساب الأجر من الله تعالى والاستمرار في الدعوة وعدم الالتفات إلى النتائج .

٩- تعليم الأمة تفويض الأمور لله تعالى بعد الأخذ بالأسباب ، والدفع بالتي هي أحسن .

١٠- استخدام أسلوب العذاب المعنوي في العقاب ، فالعذاب الحسي على فظاعته أهون من التأنيب والخزي الذي يصاحبه، وهو اعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة .

١١- قصر مدة المكث في الدنيا، فعلى العبد استغلالها للقيام بالطاعات والتقرب بالقربات، واجتناب المحظورات والمنهيات .

١٢- عظم أهوال يوم القيامة وشدة الفزع فيه ، واتقاء هول ذلك الموقف يكون بالإيمان والعمل الصالح لنيل مرضاة الله سبحانه .

١٣- أبرز البحث أن الكلمة من أخطر أنواع المسؤوليات التي يتحمل العبد تبعاتها في الدنيا والآخرة .

١٤- نزول القرآن الكريم ببراءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما رماها به أهل الإفك دليل قاطع على عفتها و طهارتها ، ومن خاض في عرضها بعد ذلك فهو كافر مرتد عن الإسلام.

١٥- عدم تعاطي الذنوب على وجه التهاون بها لأن حساب العبد لا يفيده ، ولا يخفف من عقوبة الذنب ، بل يضاعفه ، ويسهل عليه مواقعته مرة أخرى .

ثانياً: أهم التوصيات:

في ضوء هذه الدراسة التي قمت بها، والنتائج التي توصلت إليها، فإنني أود أن أشير الى بعض التوصيات:

١- أوصي نفسي وأخواتي بتقوى الله ﷻ والعمل على مرضاته، واتباع هدي النبي ﷺ والعمل بمقاصد وأهداف آيات كتابه الكريم فان في ذلك الفوز والنجاح.

٢- دعوة علماء الأمة وقادتها الصادقين أن يتسلحوا بالصبر ، ومواجهة الفتن المبرمجة لإحكام التيه بوضع الخطط الحكيمة ، وتوظيف طاقات الأمة ، وتعاونهم في مواجهة الفساد والفاسدين وإخراج الأمة من الظلمات إلى النور ، ومن التيه إلى الهدى والعمل الصالح تحت راية الإسلام .

٣- حث الطلبة على إكمال المسيرة التعليمية ، والغوص في غمار البحث العلمي، وعدم الاقتصار على مرحلة البكالوريوس ، فالعلم بحر خضم زاخر واسع لا ينتهي ، وفوائده عظيمة.

٤- التحذير من إهدار هذه الدراسات والجهود بوضعها على الرفوف، وما شابه ذلك، لذا لا بد من وضع آلية من قبل المعنيين لتوصيلها إلى الناس بطريقة سهلة موجزة.

٥- أوصي الدعاة وطلاب العلم بضرورة التركيز على الجانب الأخلاقي في عباداتنا، ومعاملاتنا، فالإسلام منهج قائم على الأخلاق.

وختاما أسأل الله ﷻ أن أكون قد ساهمت في خدمة كتابه العزيز، وأن يتقبل مني هذا الجهد الطيب، فإن كنت قد وفقت للوصول إلى ما كنت أصبوا إليه، وأتمنى تحقيقه فما توفيقي إلا بالله، وإن كنت قد أخطأت أو قصرت أو زللت فمن نفسي، ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم على كل خطأ وأتوب اليه من كل زلل، وأدعوه ﷻ أن يتقبل مني ما قدمت وأن يغفر لي ما قصرت، وأن يرزقني الإخلاص في السر والعلن والسداد في القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، نهاية لا تزال تبدأ، وبداية لا تنتهي

الفهـــارس

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	١٧٢	٩٦
٢-	﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾	٢٥٥	١٢٢
سورة آل عمران			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣-	﴿فَآَتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآَخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٤٨	١٠٣
سورة النساء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤-	﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لُهُنَّ سَبِيلًا ...﴾	١٥-١٦	١٥٦
سورة الأعراف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥-	﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾	٥٩	٩
سورة الأنفال			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٧	٤٦
سورة هود			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧-	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾	٢٥	٧٣

٨-	﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ ...﴾	٢٧	٧٣
٩-	﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾	٤٠	٦٦
١٠-	﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾	٥٦	١٢٢
سورة إبراهيم			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١١-	﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾	٤٤	١٣٤
سورة الحجر			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٢-	﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	٣	١٠٠
سورة النحل			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٣-	﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٩	٢٥
١٤-	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ...﴾	٤٣-٤٤	٣٥
سورة الإسراء			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٥-	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	٧١-١٤٠
سورة مريم			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٦-	﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾	٢٤	٩٤

١٧-	﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ ...﴾	٥٤-٥٥	٦
سورة الحج			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨-	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ...﴾	٥	١٠-٥٠
١٩-	﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ...﴾	٧٨	٨
سورة المؤمنون			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠-	﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *...﴾	١-١١	٣٨
٢١-	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ...﴾	١٧-٢٢	٥٦
٢٢-	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ *فَقَالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾	٢٣-٣٠	٦٥
٢٣-	﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾	٢٧	٧٤
٢٤-	﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ...﴾	٣١-٤١	٧٦
٢٥-	﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ...﴾	٤٢-٤٤	٨٣
٢٦-	﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ...﴾	٤٥-٤٩	٨٩

٢٧-	﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾	٥٠	٩٢
٢٨-	﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ...﴾	٥١-٥٦	٩٦
٢٩-	﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾	٥١	٩٦
٣٠-	﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ...﴾	٥٧-٦٢	١٠١
٣١-	﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ * حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ...﴾	٦٣-٧٧	١٠٥
٣٢-	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٧٨-٨٠	١١٤
٣٣-	﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ...﴾	٨١-٩٠	١١٦
٣٤-	﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٩١-٩٢	١٢٥
٣٥-	﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظَّالِمِينَ ...﴾	٩٣-٩٨	١٢٨

٣٦-	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ...﴾	١٠١-١١١	١٣٥
٣٧-	﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ...﴾	١١٣-١١٨	١٤١
سورة النور			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٨-	﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	١	١٥٠
٣٩-	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾	٢-٣	١٥٢
٤٠-	﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	٣	١١
٤١-	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٤-٥	١٦٠
٤٢-	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ ...﴾	٦-١٠	١٦٧

٤٣-	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ...﴾	١١-٢٠	١٧٥
٤٤-	﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	٣٥	١٤
٤٥-	﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾	٤٠	١٤
٤٦-	﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...﴾	٥٥	١٧
٤٧-	﴿أَلَا إِنَّ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٦٤	٢١
سورة الفرقان			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٤٨-	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٢١
٤٩-	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾	٦٨	١٥٩
سورة القصص			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٥٠-	﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٤٣	٩١
سورة العنكبوت			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٥١-	﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	٢	١٤٦
٥٢-	﴿...وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾	١٧	٥٠

سورة الروم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٣-	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾	٥٥	١٤٦
سورة لقمان			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٤-	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾	٢٥	١٠٣
سورة يس			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٥-	﴿يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	٣٠	٨٦
٥٦-	﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	٤٠	١١٦
٥٧-	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾	٧٨-٧٩	١٢١
سورة الصافات			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٨-	﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾	٢٧	١٣٩
سورة ص			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٩-	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾	٢٩	د

سورة الزمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٠-	﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾	٣	١٢١
٦١-	﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾	٤٢	١١٦
سورة الزخرف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٢-	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ...﴾	٢٢	٩٩
٦٣-	﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا القُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	٣١	٩١
٦٤-	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾	٤٤	١١٢
سورة الجاثية			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٥-	﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٢٩	١٠٤
سورة الأحقاف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٦-	﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾	٢٦	١١٥
سورة الطور			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٧-	﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾	٣١	٦٧
سورة القمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٨-	﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾	١٢	٦٦

سورة الحديد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٩-	﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤	٦١
٧٠-	﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ ...﴾	١٦-١٧	٨٨
سورة التحريم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧١-	﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ﴾	١٢	١٠٢
سورة القلم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٢-	﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الجَنَّةِ﴾	١٧	٦٦
٧٣-	﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ...﴾	٤٤-٤٥	١٠٠
سورة الجن			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٤-	﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾	٣	١٢٧
٧٥-	﴿... مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾	٤٢	٦٦
سورة المزمل			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٦-	﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾	١١-١٢	١١٠

سورة عبس			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٧-	﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾	٣٤-٣٧	١٣٩
سورة المطففين			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٨-	﴿... الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	٣٤-٣٦	١٤١
سورة الطارق			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٩-	﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾	١٧	١٠٠
سورة التين			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٠-	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	٥٤

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	طرف الحديث	الكتاب	الحكم	الصفحة
١-	"تعلموا سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحج، وسورة النور فإن بهن الفرائض.....	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه	١٧
٢-	... بئس مطية الرجل زعموا.....	سنن أبي داوود	صححه الألباني	١٨٣
٣-	اجتنبوا السبع الموبقات	صحيح البخاري		١٦٤
٤-	إذا زنى العبد خرج من الإيمان وكان كالظلة ...	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه	١٥٥
٥-	إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس	صحيح البخاري		٤٧
٦-	استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه	٤٧
٧-	أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت.....	شعب الإيمان للبيهقي	انظر السلسلة الصحيحة للألباني	٣
٨-	ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟	سنن الترمذي	صححه الألباني	٤٥
٩-	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً	صحيح البخاري		٥٤
١٠-	إن أحدكم يجمع في بطن أمة أربعين يوماً	صحيح البخاري		١٠٩
١١-	إن العبد ليتكلم الكلمة من رضوان الله	صحيح البخاري		١٨٤
١٢-	إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً	صحيح مسلم		٩٦

١٣-	أن رسول الله ﷺ (كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه	٣٨
١٤-	أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ	صحيح البخاري		١٦٧
١٥-	إنما الأعمال بالنيات	صحيح البخاري		١٠٤
١٦-	آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد ...	صحيح البخاري		٤٦
١٧-	تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح الإسناد ولم يخرجاه	١٣٩
١٨-	ثلاثة لا يدخلون الجنة، ولا ينظر الله إليهم	سنن النسائي	حسن صحيح	١٥٨
١٩-	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي	سنن أبي داوود	صححه الألباني	١٥٨
٢٠-	حبب إليَّ من الدنيا الطيب والنساء	مسند أحمد	صححه الألباني	٤٤
٢١-	خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً..	صحيح مسلم		١٥٦
٢٢-	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...	صحيح البخاري		١٥٦
٢٣-	صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بمكة فاستفتح سورة (المؤمنين)	صحيح مسلم		٣
٢٤-	عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به ويضجرون به فأنزل الله تعالى: مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح الإسناد ولم يخرجاه	١٠٥
٢٥-	عن عمر ﷺ قال: "أنه لما تزوج أم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب –رضي الله عنهما– قال: أما والله ما بي إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح الإسناد ولم يخرجاه	١٣٩
٢٦-	قال ﷺ: (ألا إني أُوتيتُ القرآن ومِثْلَه مَعَهُ)	مسند أحمد	مشهور صحيح	٣٥

٢٧-	قلنا لعائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين، كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: (كان خلق رسول الله ﷺ القرآن	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح الإسناد ولم يخرجاه صححه الألباني	٦
٢٨-	كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج	صحيح البخاري		١٧٦
٢٩-	كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن	سنن أبي داوود	حسنه الألباني	١٣١
٣٠-	كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.....	صحيح مسلم		١٨٣
٣١-	كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة....	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح الإسناد ولم يخرجاه	٦١
٣٢-	**قلت :" يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟...**	صحيح البخاري		٤٥
٣٣-	**يا رسول الله : ما النجاة؟ قال:.....**	سنن الترمذي	صححه الألباني	٤٥
٣٤-	لا يا بنت أبي بكر، أو لا يا بنت الصديق	مسند أحمد	حسنه الألباني	١٠٣
٣٥-	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ..	صحيح مسلم		١٥٦
٣٦-	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	صحيح البخاري		١٥٦
٣٧-	اللهم اشدد وطأتك على مضر	صحيح البخاري		١١٠
٣٨-	والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد	صحيح البخاري		١٥٧
٣٩-	وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة	سنن الترمذي	صححه الألباني	١٥٢
٤٠-	يا رسول الله أنؤاخذ بكل ما نتكلم به؟	سنن الترمذي	حسن صحيح	١٦٥
٤١-	يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله	صحيح البخاري		٤٦
٤٢-	يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز – يعني الوبر والدم– فأنزل الله ﷻ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ	المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري	صحيح الإسناد ولم يخرجاه	١٠٦
٤٣-	يا محمد قل تُسْمَع، وسَلْ تُعْطَ، قال: قلت	المستدرك على الصحيحين	صحيح على شرط بخاري	١٣٠

ثالثاً: فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١-	ابن زنجلة:	٥٣
٢-	ابن عامر الشامي:	٥٢
٣-	ابن كثير المكي:	٤٢
٤-	ابن منظور:	٣٣
٥-	أبو جعفر المدني:	٥٧
٦-	أبو جعفر بن الزبير:	١١
٧-	أبو عمرو بن العلاء البصري:	٥٧
٨-	أبوبكر بن أبي شيبة:	٥٥
٩-	أسيد بن حضير:	١٧٨
١٠-	بشريك بن سحماء:	١٦٧
١١-	ثوبان بن يجدد:	١٣٠
١٢-	حفص بن سليمان بن المغيرة:	٦٨
١٣-	حمزة الكوفي:	٤٣
١٤-	الخطيب التبريزي:	٦٠
١٥-	خلف:	٤٣
١٦-	الراغب الأصفهاني:	١٣٧
١٧-	رويس:	٥٨
١٨-	الزمخشري:	٥٩
١٩-	سعد بن عبادة:	١٧٨
٢٠-	سعد بن معاذ:	١٧٧

٢١-	شعبة بن عياش:	٥٢
٢٢-	صفوان بن المعطل:	١٧٦
٢٣-	عبد الله بن السائب :	٣
٢٤-	عكرمة القرشي الهاشمي:	١٣٠
٢٥-	الفراء:	١٦٩
٢٦-	قنبل:	١٥٤
٢٧-	الكسائي:	٤٣
٢٨-	المبرد : محمد بن يزيد:	٩٨
٢٩-	مرثد بن أبي مرثد:	١٥٢
٣٠-	مسطح بن أثاثة:	١٧٧
٣١-	المسور بن مخزمة:	١٧
٣٢-	محمد دراز.....	٢٩
٣٣-	نافع المدني:	٥٧
٣٤-	هلال بن أمية:	١٦٧
٣٥-	يزيد بن بانوس :	٦
٣٦-	يعقوب الحضرمي البصري:	٥٩

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ.

٢. أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣. أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٩. إعراب القرآن الكريم، المؤلف: أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٠. إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥هـ.

١١. إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

١٢. إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

١٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٤. الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

١٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

١٦. أهمية علم المقاصد، د. محمد بن عبد العزيز الخضيري، الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن.

١٧. أوضح التفاسير، المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ – فبراير ١٩٦٤م.

١٨. إيجاز البيان عن معاني القرآن، المؤلف: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت.

١٩. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٢٠. بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٢١. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٢٢. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٤. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، المؤلف: عبد الفتاح ابن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

٢٥. البرهان في تناسب سور القرآن، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، عام النشر: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٦. البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٢٧. بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل، المؤلف: الشاطبي.

٢٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٢٩. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، المؤلف: د. فاضل السامرائي، الناشر: دار عمار – عمان، الطبعة: الأولى (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

٣٠. بيان المعاني، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٥م.

٣١. البيان في عدّ آي القرآن، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

٣٢. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٣٣. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، المؤلف: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: ٤٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٣٤. تأملات في تفسير سورة النور، المؤلف: د: محمد أحمد يوسف القاسم، الناشر: دار الطباعة المحمدية ،الأزهر بالقاهرة، الطبعة: الأولى (١٣٩٩هـ –١٩٧٩م).

٣٥. التبيان في إعراب القرآن، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٣٧. تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

٣٨. التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.

٣٩. التعبير القرآني، المؤلف: د. فاضل السامرائي، الناشر: دار عمار – عمان، الطبعة: الأولى (١٩٩٨م).

٤٠. تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٤١. التفسير الحديث، المؤلف: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣هـ.

٤٢. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٤٣. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (النور – الفرقان – الشعراء – النمل)، إعداد: هدى رشيد جاد الله، إشراف الدكتور / رياض محمود قاسم.

٤٤. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (طه – الأنبياء – الحج – المؤمنون)، إعداد: آمال محمود الفلاح، إشراف الدكتور/ زهدي محمد مطر أبو نعمة.

٤٥. التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٤٦. تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

٤٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ.

٤٨. التفسير الموضوعي لسور القرآن، إعداد نخبة من العلماء والمفسرين.

٤٩. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٠. التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣هـ.

٥١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٥٢. التفسير الوسيط، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢هـ.

٥٣. تفسير آيات الأحكام، المؤلف: محمد علي السايس، المحقق: ناجي سويدان، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١م.

٥٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٥٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

٥٦. الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

٥٧. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد

زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٩. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٦٠. الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.

٦١. حجة القراءات، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، عدد الأجزاء: ١، الناشر: دار الرسالة.

٦٢. الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١هـ.

٦٣. الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٦٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

٦٥. الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٦٦. روائع البيان تفسير آيات الأحكام، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٦٧. روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٦٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٦٩. زاد المحتاج بشرح المنهاج، المؤلف : العلامة الشيخ عبد الله الكهوجي، الطبعة: الأولى.

٧٠. زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ..

٧١. زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

٧٢. السلسلة الصحيحة محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ،

٧٣. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٧٤. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٧٥. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٧٦. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٧٧. سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، (المتوفي: ٧٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٧٨. السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٧٩. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المؤلف: محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف، (المتوفى: ١٣٦٠هـ، الناشر: دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٨٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨١. شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٨٢. صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

٨٣. الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، المؤلف: أبو عبد الله محمد ابن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: زياد محمد منصور، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.

٨٤. طبقات خليفة بن خياط، المؤلف: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ)، رواية: أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري (ت ق ٣ هـ) ، محمد بن أحمد بن محمد الأزدي (ت ق ٣ هـ)، المحقق: د سهيل زكار، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨٥. طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، المؤلف : محمد صادق القمحاوي، الناشر : دار العقيدة، الطبعة : الأولى (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

٨٦. علم مقاصد السور، المؤلف: لمحمد عبد الله الربيعة، جامعة القصيم، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

٨٧. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

٨٨. غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية.

٨٩. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.

٩٠. غريب الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٩١. غيث النفع في القراءات السبع، المؤلف: علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: ١١١٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، المحقق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٩٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٩٣. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٩٤. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.

٩٥. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، المؤلف: نعمة الله ابن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٩٦. في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢هـ.

٩٧. القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة في هامش القرآن الكريم، فكرة علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه، اعداد محمد كريم راجح، طبعة ثالثة :(١٤١٤-١٩٩٤م)، دار المهاجر، المدينة المنورة.

٩٨. القراءات واثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة)، اعداد: محمد بن عمر بن سالم بازمول

٩٩. القراءات وأثرها في علوم العربية، المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

١٠٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

١٠١. الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها وحججها، المؤلف: ابي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (المتوفى :٤٣٧ هـ)، المحقق: د: محيي الدين رمضان، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة: الثالثة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) والطبعة الخامسة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

١٠٢. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

١٠٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥هـ.

١٠٤. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

١٠٥. مباحث في علوم القرآن، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٠٦. مجمع البيان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو علي الطبرسي.

١٠٧. المجموع شرح المهذب، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

١٠٨. محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

١٠٩. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

١١٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

١١١. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، المؤلف: خالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

١١٢. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١١٣. مختصر تفسير ابن كثير، المؤلف: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.

١١٤. مخطوطة الجمل (معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن)، المؤلف : د.حسن عز الدين الجمل، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: (٢٠٠٥م).

١١٥. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.

١١٦. المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة – الإعراب – التفسير، المؤلف: د. محمد سالم محيسن، الناشر : دار الجبل – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).

١١٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

١١٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١١٩. مشكل إعراب القرآن، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.

١٢٠. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

١٢١. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٢٢. معاني الأبنية، المؤلف: فاضل السامرائي.

١٢٣. معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٢٤. معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

١٢٥.معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٢٦.معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب كحالة الدمشقي، (المتوفى: ١٤١٥هـ)، الناشر: مكتبة المثنى-بيروت دار إحياء التراث العربي.

١٢٧.معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٨.معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٢٩.مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٣٠.المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، المؤلف: د. محمد سالم محيسن، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة : الثانية (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

١٣١.المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.

١٣٢.مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

١٣٣.مقاصد الشريعة، مجموعة من المؤلفين، حوار مع الدكتور: طه جابر العلواني، الناشر: دار الفكر بيروت، الطبعة: الأولى (٢٠٠٢م).

١٣٤.المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المؤلف : د. يوسف حامد العلم، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي -الرياض، الطبعة : الثانية (١٩٩٤م).

١٣٥. المقتضب، المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب – بيروت.

١٣٦. الملخص في اعراب القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن المعروف بالخطيب التبريزي، تحقيق: د. يحيى مراد، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م).

١٣٧. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المؤلف: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين

١٣٨. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧هـ).

١٣٩. الموضح في وجوه القراءات وعللها، للإمام ابن ابي مريم، تحقيق: د. عمر الكبيسي، الناشر: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، الطبعة: الأولى (١٤١٤ –١٩٩٣م).

١٤٠. الميزان الكبرى، المؤلف: عبد الوهاب الأنصاري، المعروف بالشعراني، الناشر: دار الفكر،

١٤١. الناسخ والمنسوخ، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت.

١٤٢. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، المؤلف: محمد عبد الله دراز، (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع.

١٤٣. نظام الأسرة في الإسلام، المؤلف د. عدنان زرزور، الناشر: مكتبة الفلاح، الطبعة: الثانية (١٤٠٦م).

١٤٤. نظرية المقاصد عند ابن عاشور، المؤلف: لإسماعيل الحسيني، المعهد العالمي للفكر الاسلامي' الطبعة الأولى ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.

١٤٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٤٦. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، دار النشر: دار الكتب العلمية، تاريخ النشر: ٢٠٠٣/٠١/٣٠م.

١٤٧. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٤٨. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

١٤٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

خامساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	د
أولاً: أهمية الموضوع	د
ثانياً: أسباب اختيار الموضوع	هـ
ثالثاً: أهداف البحث	هـ
رابعاً: الدراسات السابقة	هـ
خامساً: منهج البحث	و
سادساً: خطة البحث	و
التمهيد	١
المبحث الأول: التعريف العام بسورة المؤمنون	٢
المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية	٣
المطلب الثاني: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية	٥
المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها	٦
المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة	٧
المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة	٨
المطلب السادس: المناسبة في سورة المؤمنون	١٠
المبحث الثاني: التعريف العام بسورة (النور)	١٣
المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية	١٤

المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية	١٦
المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها	١٧
المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة	١٩
المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة	١٩
المطلب السادس: المناسبة في سورة (النور)	٢٠
المبحث الثالث: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها	٢٣
المطلب الأول: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً	٢٤
المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً	٢٥
المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف	٢٧
المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات	٢٩
المبحث الرابع: تعريف الدراسة التحليلية	٣١
المطلب الأول: التعريف بالدراسة التحليلية	٣٢
المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية	٣٣
الفصل الأول **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة "المؤمنون"**	٣٥
المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة "المؤمنون" من آية (١-٢٢)	٣٧
المطلب الأول: خصال المؤمنين	٣٨
المطلب الثاني: من أدلة وجود الله ﷻ خلق الإنسان ومراحله	٤٨
المطلب الثالث: خلق السموات، وإنزال المطر وتسخير الأنعام	٥٦
المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة المؤمنون من الآية (٢٣-٥٠)	٦٤
المطلب الأول: قصة نوح عليه السلام	٦٥
المطلب الثاني: قصة هود عليه السلام	٧٦
المطلب الثالث: قصة صالح ولوط وشعيب وغيرهم -عليهم السلام-	٨٣

المطلب الرابع: قصة موسى وهارون – عليهما السلام– مع فرعون وملئه	٨٩
المطلب الخامس: قصة عيسى عليه السلام وأمه	٩٢
المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة المؤمنون من آية (٥١–٩٠)	٩٥
المطلب الأول: من مبادئ التشريع أكل الطيبات	٩٦
المطلب الثاني: صفات المسارعين في الخيرات	١٠١
المطلب الثالث: إنكار أعمال الكفار ومشركي قريش وأسبابها	١٠٥
المطلب الرابع: من نعم الله تعالى على عباده	١١٤
المطلب الخامس: إثبات بالأدلة القاطعة وإنكار المشركين له	١١٦
المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة المؤمنون من آية (٩١–١١٨)	١٢٤
المطلب الأول: نفي الولد والشريك لله تعالى	١٢٥
المطلب الثاني: إرشادات إلى النبي ﷺ	١٢٨
المطلب الثالث: تمني الإنسان عند الموت الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً	١٣١
المطلب الرابع: موازين النجاة في حساب الآخرة	١٣٥
المطلب الخامس: قصر مدة اللبث في الدنيا وعقاب المشركين ورحمة المؤمنين	١٤١
الفصل الثاني **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة النور من الآية (١–٢٠)**	١٤٨
المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة النور من الآية (١–٥)	١٤٩
المطلب الأول: مكانة سورة النور، وعظم شأنها	١٥٠
المطلب الثاني: حد الزنا وحكم الزناة	١٥٢
المطلب الثالث: حد القذف	١٦٠
المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة النور من (٦–٢٠)	١٦٦
المطلب الأول: حد اللعان	١٦٧
المطلب الثاني: قصة الإفك	١٧٥

الخاتمة	١٨٧
أولاً: النتائج	١٨٧
ثانياً: التوصيات	١٨٨
الفهارس	١٩٠
أولاً: فهرس الآيات القرآنية	١٩١
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية	٢٠١
ثالثاً: فهرس الأعلام	٢٠٤
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع	٢٠٦
خامساً: فهرس الموضوعات	٢٢٢

ملخص الرسالة

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه إتمام هذه الرسالة التي بعنوان: **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والثلاثين من القرآن الكريم (سورة المؤمنون من الآية -١- إلى آخر السورة، والنور من الآية ١-٢٠)**، والمكونة من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

تحدثت الباحثة في التمهيد عن التعريف بسورتي (المؤمنون) و(النور)، وبيان فضلهما، وكذلك بيان المناسبات فيهما، تم تحدثت في الفصلين حول الدراسة التحليلية لمقاصد ولأهداف، السورتين مقسمة الفصلين لعدة مباحث، مشتملة على عدة مطالب كل مطلب منها يحمل هدفاً أو مقصداً من مقاصد وأهداف القرآن الكريم في السورة ، وكذلك استنباط أهم الهدايات منها.

وقد سلكت الباحثة المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير، حيث تناولت في كل مطلب من المطالب، وبعد ذكر الآية المراد تحليل هدفها و مقصدها عدة عناوين موجزة لتسهل على القارئ إيجاد المعلومة بشكل سهل ومريح، وهي على الترتيب: مناسبة آيات المطلب مع ما سبقه، ثم التحليل اللغوي لغريب الألفاظ فيها، وما تشتمل عليه من قضايا بلاغية، وإعراب، وقراءات قرآنية، وهدايات مستنبطة.

وفي نهاية الرسالة ذكرت الباحثة أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال البحث.

ABSTRACT

Was all praise to Allah Almighty to complete this letter titled: analytical study of the purposes and objectives of the thirty-fifth party of the Koran (Surat Al-momenoon of verse -1- to last surat, and El-noor of verse 1-20), consisting of an introduction and boot the two chapters and a conclusion.

A researcher talked about the boot from the definition two Surat Al-momenoon El-noor and the statement of benefits, as well as the statement of co-oharence in which was spoken in the chapters about the intents and purposes, the two suras divided into chapters for several Investigation, inside several demands every demand of which carries a goal or destination of the purposes and objectives of the Qur'an in Sura as well as the aims of the most important gaidence it.

The researcher followed analytical and objective method of interpretation, where addressed in every demand of demands, and after mentioning the verse meant to highlight the object and purpose of which several addresses brief to make it easier for the reader to find the information is easy and comfortable, which is on the order: suitable verses demand with its predecessors, and analysis language of the strange words, and it involves a rhetorical issues, and parsing, and Koranic readings, and benefits derived.

At the end of the message according to the researcher the most important findings and recommendations reached during the search.